عامان في عمان

مذكرات عامين في عاصمة شرق الاردن

بقلم

خير الدين الزركلي

صفحة من التاريخ الحديث،
شرق الاردن في العصر الحاضر،
وثائق رسمية لم تنشر،
عجائب أمير وحكومته!

عني بنشره

يوسف توما البستاني

صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م

المطبعة العربية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

اضيت الى قارىء « مارايت وما سمعت (١) » بخلاصة ما أُتيح لي الاطلاع عليه في الديار الحجازية من خبر أو أثر . ووعدته بنشر ماشهدته أو علمت به في خـلال عامين اقمتها بعمّان قاعدة « حكومة شرق الاردن » أو « حكومة شرقي الاردن » أو « عبر الاردن » أو « الشرق العربي » أو « حكومة الشرق العربيـة » أو غير ذلك من مختلف الاسماء والنعوت التي اعتادت ان تُسمى بها حكومة هذه المنطقة الصغيرة !

وها أنا ذا أُلقي بين يدي القارئ ماوعدته به ، راجياً أن أكون أصبت شاكلة الصواب فيه ، وحسب العامل في هذه الحياة أن يتخذ من مناحيها هدفا يصوّب إليه بصره ، فان رمى فأصاب أفلح وإن رمى فأخطأ أعذر ، « ومُبلغ نفس عذرَها مثلُ مُنجح » !

القاهرة : يوليو (تموز) ١٩٢٥ — « خير الدين »

(١) كتاب للمؤلف مطبوع

من مكة الى عمان

سبب الأوبة — يومان في القدس — ليـلة في الصلت

دار الحديث عشية يوم الاثنين ٨ جمادي الاولى ١٣٣٩ — ١٧ كانون الثاني ١٩٢١ بين ثلاثة هم: الامير زيد أصغر أنجال الملك حسين ، والسيد يوسف ياسين ، وواضع هذا الكتاب ، وقد جلسنا جميعاً لتناول الطعام . فقال الامير زيد : لا أظن بمكة من الاخوان غيركما .. فقلت : وسموك! فضحك وقد أدرك ما أردت . ذلك لان لفظ الاخوان يراد به في مكة غير ما اعتدنا أن نطلقه عليه في سواها ، وما كان الامير يريد إلا المعنى الثاني وهو الاخاء الحزبي الناشيء عن اشترا كنا في حزب «الاستقلال العربي» أما المكيون ولا سيما سكان القصر (قصر الملك حسين) فالاخوان في عرفهم أتباع السلطان ابن السعود ، والويل لمن كان منهم في أم القرى ، أولئك المغضوب عليهم المستهدفون لكل نكال !

واستمر الحديث عن « الحزب » وأعضائه ومن بقي منهم في بلاد الشام ومن نزح ، فقال الأمير : ترى « مظهر الرسلان » من الحزب ؟ فلم نستطع النفي ولا الاثبات ، ولكن مال بنا الوهم الى ترجيح انتسابه اليه ، فانطلق الأمير يوجه كلمات السخط الى مظهر هذا ، وأردنا الدفاع عنه ، فأسكتتنا برقية لاسلكية تلقاها جلالة الملك (حسين) من ابنـه الامير عبدالله ، ومصدرها معان ، يقول فيها « كتب اليّ مظهر الرسلان وكيل متصرف السلط (١) يحمّلني تبعة إقامتي في معان قريباً من حدود شرق الاردن ويقول

(١) الصواب في اسم هذ البلدة «هو الصلت» وسيأتي الكلام عليها في مكان آخر

ان القبائل أخذت تمتنع عن دفع الضرائب ، ويدعوني الى الابتعاد»

وجهنا .. وما كنا نحسب مظهراً وهو من بقايا موظفي حكومة الشام العربية في تلك الديار ، يجرؤ على أن يعترض عبد الله وهو المتقدم لنصرة البلاد وانقاذها — كما كان يدعى ويعلن — فيقف في سبيله ، ثم ذهبنا إلى ان الكتاب لم يكتبه مظهر وإنما كتبه المندوب البريطاني في فلسطين وأكره مظهراً على إمضائه . وشف الحديث عن قلق يعانيه الملك من مقاومة مظهر لعبدالله، وكان الختام أن قال الامير : لو صح عندنا أن مظهراً من أعضاء حزب الاستقلال لهان علينا إقناعه في العدول عن معارضة أخي . .

وفى اليوم الثاني كان الحديث في سمع الملك حسين ، واتفقنا على أن أقوم أنا ويوسف برحلة الى شرق الاردن لنستعين بمن فيها من إخواننا على مظهر الرسلان إقناعاً أو إكراهاً .

وعلى هذا برحنا مكة ، وهبطنا مصر، واتجهنا الى فلسطين ، فبلغنا القدس في الساعة الاولى بعد ظهر الاربعاء أول جمادى الثانية ١٣٣٩ (٩ شباط ١٩٢١)

* * *

كان أول من لقينا في القدس نبيه بك العظمة، ومنه علمنا أن الامير عبد الله ما زال في معان يتحين الفرص لدخول عمان

وفي القدس عرفنا أن حكومة فلسطين البريطانية لم تتلق حتى ذلك الحين وحي لندن في ما يجب أن تقابل به حركة عبد الله وأنصاره بل أنها كان يخيل اليها أن لعبد الله مندوبا في القدس هو نبيه بك

يؤيد هذا أن ضابطا عربيا عرض نفسه على حكومة فلسطين للخدمة فى جيشها فسئل عن ماضيه في الجندية فانتسب إلى جيش الثورة، فأجيب

بأن عبد الله في معان..وله وكيل في القدس هو نبيه بك

* * *

وهناك كان الاستاذ الشيخ كامل القصاب والاصدقاء عثمان قاسم وعوني القضماني ورمضان البعلبكي وشكرى الطباع يتأهبون للسفر الى عمان ، فانخرطنا فى زمرتهم ، وركبنا عربتين يجرّ كلا منهما بغلان ، وما كانت السيارات يومئذ لتستطيع بلوغ عمان

* * *

برحنا القدس صباح الجمعة ٣ جمادى الثانية ١٣٣٩ (١١ شباط ١٩٢١) قبيل شروق الشمس ووجهتنا الصلت . واجتزنا نهر الاردن قبل انتصاف النهار ، وتخطينا نهر شعيب والشمس تغرب ، ودخلنا الصلت بعد الساعة الثامنة مساء ، فالتمسنا فندقاً نأوى اليه ، فاذا هي لا فندق فيها ، وأرشدنا احد أبنائها الى منزل المتصرف فلم نتردد ، وبتنا ليلتنا في دار صاحبنا مظهر الرسلان وكيل متصرف الصلت .

كنا قد عرفنا أن لا علاقة لمظهر بحزب الاستقلال ، فلم نر أن نفاتحه في شأن كتابه الى عبدالله ، ولكن الحديث — وهو شجون ، كما يقولون — اتصلت شعابه بالكتاب ، فسألنا مظهراً سؤال العاتب عن إنذاره ، فانتحل أعذاراً سماها ادارية ، وظهرت لنا من كلامه مواربة دلتنا على ضعف أوجدته فيه قوة من كان في تلك المقاطعة ومن سبق اليها من أحرار البلاد . وكانوا قد خضدوا شوكته وتغلبوا على ما كان يبثه هو ومتبوعوه من فكرة صد الامير عن دخولها

* * *

وأصبحنا يوم السبت متجهين الى « عمان » حيث كان الشريف على ابن الحسين الحارثي يعمل مشتركا مع الوطنيين لتمهيد السبل أمام الامير عبدالله ، فاستقبلنا قبل بلوغها قائم مقامها وقائد دركها وجمهور من الخيالة والرجالة ، كانوا يهتفون بحياة العرب والاستقلال ، وينشدون الاناشيد الوطنية التي كانت تعيد لنا ذكرى « النادى العربى » في دمشق وأيامه المحجلة الغر !

* * *

لم تكن عمـان في ذلك الحين أكثر من قرية، قليلة السكان ، ضئيلة المباني ، مظلمة السبل ، لايصل بينها وبين تاريخ مجدها إلا ماشخص من آثارها ، ولايدل على إمكان الحياة فيها غير توسطها بين قبائل بنى صخر وبني حسن وعباد والعدوان ، يردون عليها بين الفترة والفترة فيبيعون فيها بعض ماتنتجه ماشيتهم ويبتاعون منها مايكتسون، فللتجارة فيها شبه سوق ، ولولا ذلك لانفرد بسكناها جماعات من الشراكسة نزحوا اليهـا حوالي سنة ١٢٩٠ للهجرة كما انفردوا بكثير مماحولها من قرى ومزارع ، هم أصحابها اليوم غير منازعين . ولكن ابتغاء الربح وطلب الكسب همـا اللذان حملا الى عمان تجاراً من دمشق ونابلس افتتحوا فيهـا حوانيت صغيرة فقصـــدها أهل الخيام والاكواخ من البداة الضاربين حولها والمقيمين في ماجاورها من القرى ، فأصبحت ولها شيء من الشأن .

* * *

دخلنا عمان قبيل ظهر السبت ٤ جمادى الثانيه ١٣٣٩ وقصدنا منزل الشريف الحارثى ، وهو فتى فيه رقة وأدب وشجاعة ، عرفناه باسمه يوم كان في حملة الاميرفيصل قبل خروج الترك من الشام ، ثم عرفناه في دمشق ،

وأخيراً في عمان . فأنس بنـا وأنسنا به ، وعلمنا منه أنه طليعة عبدالله ، وأنه زار الصلت ، وأن قلوب الناس معه فاستبشرنا خيراً .

* * *

أحب هنا ، والحديث عن الحارثى، أن أورد قصة كانت له في نهايتها يد ، ولعلها لا تخلو من أثر تتركه في نفس القارىء ينبه الى ما كان عليه أهل تلك المقاطعة ، قبل استيلاء الامير عبد الله

قال لي صديقي المرحوم كامل البديرى[1] يوما وقد جلسنا في احدى الخيام : إن وزارة « أم العَمَد » لاقوى والله من هذه التى ألفهـا الافرنسيون في سورية . . فقلت : وماوزارة أم العمد ؟ قال : تلك وزارة ألفناها فى قرية من قرى بنى صخر اسمها أم العمد وقد عاشت أياما . . فعجبت ، فاسترسل يحـدثنى عنهـا ، قال : نشأ خلاف بين بني جابر أصحاب مزرعة اليادودة ومثقال الفايز على أرض ادعى الاول ان الثاني اغتصبها ورفع أمره الى حكومة الصلت ، فطلبت محكمتها مثقالا ، فامتنع ، فرأى وكيل المعتمد البريطاني ومفتش درك شرق الاردن بيك بك ان الفرصة سانحة لاذلال بنى صخر في شخص شيخهم ، فألح بوجوب جلبه وساعده على فكرته وكيل متصرف الصلت ، ثم زحف بيك بقوة الى اليادودة القريبة من أم العمد (قرية مثقال) ورأى وهناً في من معـه فاضطر أن يعدل عن فكرة الضرب ، وذهب منفرداً الى أم العمد ، فحجزه مثقال في مخزن التبن ، وأعلنّـا استقلالنا عن عمان!

(١) شاب متعلم ناهض من أعيان القدس ، أصدر جريدة « الصباح » وقتـل سنة ١٣٤١ هـ بين عمان ونجد في طريقه الى الرياض .

قلت : وماذا صنعتم ببيك ؟ فقال : لم نسيء معاملته ولكن عبداً من عبيد مثقـال أراد أن يركب فرس بيك فأخرجه من مخزن التبن وأمره أن يساعده على الركوب لانه لم يمارس ركوب السرج الافرنجي ! قلت : وهل أذعن بيك ؟ قال : إي والله ونحن نشهد ونضحك ! قلت وهل لبث طويلا في هـذا الاسر ؟ قال: يوما واحداً ، وقد توسط الحارثي في الصلح ، فأطلقه مثقال

* * *

مكثنا في عمان أياما جاء في خـلالها أمين بك التميمي وعوني بك عبد الهـادي ورجال آخرون ، وكأن معتمدي فلسطين البريطانيين في شرق الاردن تلقوا « التعليمات » من مراجعهم فكفوا عن معارضة الامير عبد الله في دخوله ، فكتب الشريف الحارثي الى أميره يدعوه ، وداخلت الامير الخشية فتردد ، فعقد الوطنيون اجتماعا في عمان قرروا فيـه ايفاد أربعة الى معان هم : الشيخ كامل القصاب ، وأمين بك التميمي ، وعوني بك القضماني ، وعوني بك عبـد الهادي ، لا زالة ما علق في نفس الامير . وقد تعهد مثقال الفايز (الذي أصبح بعـد ذلك مثقال باشا) بأن يحمي سمو الامير من كل اعتداء ، وأقسم فريق من زعماء البـلاد كانوا قد توافدوا على عمان بانهم يدافعون عن الامير بكل ما فيهم من قوة . وبينما الوفد مزمع أن يقصد معانا أقبل مظهر بك الرسلان من الصلت فانضم اليه ـ متطوعا ـ وذهب الخمسة مساء الاربعاء (٢٣ شباط ١٩٢١) على أن يعودوا بالامير صباح السبت ..

الامير في معان

تاريخ وصوله . تضارب الاقوال في سبب قدومه . حديثه مع أبي تايه . أقواله للوطنيين . جريدته . منشوره العام . قدومه الى عمان

وصل الأمير عبد الله الى معان ، مقبلا من مكة عن طريق المدينة ، يوم ١١ ربيع الاول ١٣٣٩ — ٢١ نوفمـبر ١٩٢٠ تصحبه قوة من بدو الحجاز ، فضرب الخيام فيها على مقربة من محطة السكة الحجازية ، بينه وبين المدينة المنورة إلى الجنوب ٨٣٨ كيلو متراً ، وبينه وبين دمشق إلى الشمال ٤٦٥ كيلو متراً ، وهو على ٧٢ كيلو متراً من عقبة أيلة احدى موانىء البحر الاحمر . وهرع أشياخ القبائل للسلام عليه ، وذهب الناس مذاهب في تعليل هذه الرحلة وأسبابها ، ولم يقتصر غموض ذلك على أهل البادية بل تعداهم الى أهل الحواضر حتى اضطرت حكومة فلسطين البريطانية أن تذيع منشوراً في منتصف كانون الاول ١٩٢٠ هذا نصه :

« تروج اشاعات في شرقي الاردن بان قوة عربية تقصـد مهاجمة الفرنسيين . وأيضاً تروج اشاعات بأنه إذا حدثت هذه الحركات فالحكومات البريطانية تستحسنها . فليكن معلوما بان هذه الاشاعات كذب وبهتان وإذا حدثت هذه الحركات فالحكومة البريطانية بالعكس لا تستحسنها ولا توافق عليها مطلقاً بل تحتقر الذين يشتركون فيها . . »

ونشرت جريدة (يقظة العرب) رسالة بعث بها اليها كاتب من القاهرة مؤرخة في ٢١ ـ ١٠ ـ ١٩٢٠ جاء فيها ما نصه :

« .. أفيدكم بصورة مختصرة الآن أن سمو الامير عبد الله الذي

عرض عليه عرش العراق فرفضه ثلاثا .. لاسباب معلومة . . يجهز اليوم حملة حجازية جديدة كبيرة وينظمها وسيقودها بنفسه الى سورية لتوحيد الحركات القائمة في حوران وجبل الدروز على قدم وساق ، وجعلها حركة منظمة قانونية وإلباسها ثوبها السياسي الحقيقي ، لان أكثر الدروز والحوارنة متفقون اليوم على مقاومة الغاصبين . »

واستفحل الخطب حتى اعتقد الافرنسيون أن الجماعات التي أخذت تجتمع في شرق الاردن لاستقبال الامير عبد الله انما هي عصابات تتألف للقيام بحركات وثورات فاضطرت السلطة الافرنسية في بيروت أن تسكن الافكار ببرقية وردت عليها من رئيس وزارة باريس أشارت اليها جريدة المقطم في ٢٧ ديسمبر ٩٢٠ بقولها :

« ذكرنا في الاسبوع الماضي ان سمو الامير عبد الله مقيم في معان ثم علمنا بعد ذلك انه يزمع السفر شمالا الى عمان . وقد اطلعنا في صحف دمشق على تلغراف أرسلته القومسيرية العليا في بيروت الى البعثة الفرنسوية في دمشق وفيه ان القومسيرية تلقت تلغرافا من المسيو لايج رئيس الوزارة الفرنسوية جاء فيه ان اللورد هردنج سفير بريطانيا بباريس أبلغه أن اللورد كرزن أفهم فيصلا أن الحكومة البريطانية تنظر بعين الاستياء الى الحوادث التي تقع شرقي الاردن في منطقة عمان ولا تصبر على تأليف العصابات التي تؤلف في تلك الجهات وطلب من الامير فيصل أن يرسل تلغرافا بهذا المعنى الى جلالة والده الملك حسين . »

هذا بعض ما تناقله الناس والمراجع السياسية في الغاية التي يعمل لها الامير عبد الله وهو في معان . وهناك من ذهب الى غير ذلك .. كأحد

مكاتبي « الاهرام » في سورية فقد جاء في رسالة له تاريخها ٤ نوفمبر سنة ١٩٢٠ ما نصه :

« شاع وصول الامير عبد الله الى المدينة . وعرفنا من الثقات أن سموه آت لاصلاح الحال هناك . لا لامر آخر كما يقول الرجعيون » . . !

***

وخلاصة القول ان قدوم الامير عبد الله الى معان على أثر عصيان حوران وقتلها اثنين من وزراء حكومة الشام هما عبدالرحمن بك اليوسف وعلاء الدين بك الدروبي ، كان له أثره في النفوس ، بل كان مدعاة لحومان الشكوك الكثيرة حوله .

***

كتبت من عمان الى صديق لي في معان أسأله عما هناك من حوادث وأخبار ، فتلقيت كتابا منه أثبته هنا بحروفه ، قال :

«استغرق سفر الامير عبد الله من المدينة المنورة الى معان مدة سبعة وعشرين يوما ، ومنشأ بعض هذا التأخر حاجة القطار الى الوقود ، وبعضه نشأ عن ميل سموه الى الراحة اذ كان يأمر بتوقيف القطار بسبب وبغير سبب ليريح أعصابه من صوت الآلات واهتزاز العجلات .

« وكان ينتظره في معان من السوريين غالب الشعلان وفؤاد سليم ومحمد مريود ومنير عبد الهادي قائم مقام معان المنصوب بأمر جلالة الملك حسين خلفا لعبد السلام كمال قائم مقامها السابق الذي كان تابعا لحكومة دمشق العربية

« وقدم مع سمو الامير مرافقه القائد حامد الوادي وثلاثة ضباط عراقيين أحدهم اسمه سعيد الكلاك . ومن الاشراف شاكر بن زيد

وعلي بن الحسين الحارثي وأخوه محسن — وهما عندكم بعمان الآن —
ومن غير الاشراف الشيخ مرزوق التخيمي وصنداح خادم الملك فيصل
سابقاً ونفر من العبيد والخدم البيض وعدد من البدو جلهم من عشيرة
عتيبة شيخهم يقال له راجي ، وشيخ من أهل شنقيط كان مجاورا في المدينة
المنورة(١) ، وكاتب خاص لسموه اسمه محمد علي خويقير ، وآخرون.

« ابدى سمو الامير ساعة وصوله رغبة في أن يقابل زعماء الجوار
من البدو وشيوخ معان ووادى موسى ، وأمر أن يكتب الى شيوخ
الشمال برغبته هذه ، وقد لبى الدعوة كثيرون ، وقدم من الشمال احمد
مريود ومعه مثقال الفايز وشيخ العيسى وحديثة الخريشة وغيرهم من
من رجال البدو . وقد أوعز أيضاً بان يكتب عن لسانه الى كل ذى
رئاسة أو نفوذ من أهل البلاد الموالين للقضية العربية بأن يقدموا عليه
ليفاوضهم ، وارسلت الكتب واكثرها مذيل بامضائه . وبلغني الساعة ان
مشايخ الكرك والشوبك ووادى موسى والبلقاء وعجلون يصلون اليوم
أو غداً .

« سمو الامير متشوق للعمل .. ويقول أنه سيتدارك ما عجز أخوه
عن عمله . وهو لا يفتر عن التصريح امام المحيطين به من رجال البلاد
ولا سيا مفكرى الحضريين منهم بأنه ما جاء إلا منقذاً لسورية وما حولها.
وهو كثير البشاشة والانس لا يحبس خاطراً يمر في مخيلته ، واكثر حديثه
عن الثورة ووجوب التضحية ولعل سموه مستند الى قوة عظيمة
هو واثق منها وثوقا لا يدع ضرورة للتوقي والاحتراس أو كتمان ما هو
عازم عليه .

(١) هو الشيخ محمد الخضر الشنقيطي ، عارف بالفقه والحديث ، وله مشاركة في الادب .

« وقد اجتمع أمس عند سموه كثير من السوريين ، وكنت في
جملتهم ، فعرضوا عليه لزوم البدء بتنظيم قوة عسكرية تكون نواة للحركة
في المستقبل ، ولم يكتموا عن سموه أن قوة الاحتلال في سورية قوامها
الفن والنظام ولا يمكن أن تثبت أمامها الفوضى . وبحث أحد العارفين
بالشؤون العسكرية فيما تحتاج اليه الحركة المباركة من المال بادىء ذى
بدء لتأسيس التشكيلات على قواعد ثابتة

« ولا أخفى عنك أنني رأيت في سموه شيئاً من التناقض ، وأرجو
أن لا أكون مصيباً في رأيي ، فالامير بينما كان متحمساً يذكر الثورة بكل
ما فيه من قوة النطق ، اذا به قد عاد فصرّح لنا بأن كل ما يملكه لا
يتجاوز ثلاثة آلاف جنيه .. وقال إنه سيقبض أربعة آلاف جنيه أخرى
تأتيه بعد أيام عن طريق العقبة . . فكيف يمكن التأليف بين ترديده أنه
آت للقيام بحركة كبيرة وبين تصريحه بقلة ما معه من المال وهو أساس
كل عمل ؟

« ولم يكتم حاجته الى المال عن شيوخ البدو أيضاً . وقد ثارت
الحماسة في صدر الشيخ عوده أبي تايه فتبرع للثورة بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه
من ماله وقدّم لمعية سمو الامير مقادير كبيرة من السمن. والذى تأكدته
أن سموه بعد ان استلم المبلغ من أبي تايه قال له : انني أقبل يا شيخ عودة
أن اتناول منك هذا المال وأشكرك على شهامتك وانما أحب ان يكون
قرضا لك عندي أرده عليك في سورية .. فأجابه الشيخ عودة : ياسيدى
لحم أكتافنا من خيركم ، فالمال منكم ولكم ، والتوفيق على الله . » اه

* * *

وحمل إليّ البريد من معان عدداً من جريدة صغيرة كانت تطبع على « البالوظة » في خيام الامير ، اسمها « الحق يعلو » وقد كتب تحت الاسم ﴿ جريدة عربية ثوروية تصدر مرة في الاسبوع ﴾ رأيت فيها أبياتا من الشعر نظمها الامير عبد الله متأففا من معان وإقامته فيها ، ومطلع هـذه الابيات :

«مالي وما لصياح السلك في بلد   لا السهل يشبهه كلا ولا الجبل

وهو يعني بالسلك « سلك التلغراف» وقد أضعت ذلك العدد المنشورة فيه الابيات ، ولولا ذلك لما فاتني أن أتحف بها القارىء . .

وظفرت بعدد آخر من الجريدة نفسها صدر يوم قدوم الامير الى عمان ، وهو العدد الخامس منها ولا يزال عندي — والحمد لله — وهو مفتتح بمقالة أولى عنوانها « تشريف ركاب نائب جلالة الملك المعظم وبطل الامة العربية سمو الامير عبدالله » وفي آخر هذا العدد خبر أرى أن أعيد نشره هنا ، قالت الجريدة الفريدة :

« لاتزال الوفود تؤم المقر لعرض اخلاصهم (كذا) بالنيابة عنهم وعن البلاد الى منقذ سورية ومحررها . . سمو الاميرعبدالله نائب جلالة الملك ولتقديم طاعتهم . .»

وهذه الجريدة لاتكاد تنعت الامير بغير لقب الجلالة فقد جاء في العدد نفسه : « وفاه جلالته بخطاب . . وألقي على جلالته . . وقد أنعم جلالته . . وبقي جلالته . . وبين يدى جلالته . . الخ الخ »

أما عنوان ادارة الجريدة فهو « المقر » أى « مقر سمو الامير » .

والمراد بلقب « نائب جلالة الملك» ما كان يذيعه في معان — ثم في عمان — من أنه جاء لينوب عن أخيه الملك فيصل في إنقاذ سورية . وأما

نعت سموه بالجلالة فذلك إشارة الى احتفاظه بعرش العراق وسنتكلم عن هذا في موضع آخر .

* * *

ولم يكتف الامير ، وهو في معان ، بالكتابة الى الزعماء والضباط وغيرهم من الوطنيين ، ودعوتهم الى تجشم المصاعب والسير الى معان لمقابلته ومذاكرته ، بل زاد على ذلك نشره بيانا عاما لأفراد الامة كافة ، موقعا بامضائه ، نثبته في مايلي بنصه :

الى كافة اخواننا السوريين

سلام لا اجد في نفسي ادنى ريب او اقل شبهة في ان ابناء الوطن السوري سيتلقون بياناتنا التالية بقلوب ملؤها التصديق والاخلاص . فليعلم ابناء سوريا ان ما اصابهم من الضياع المحزن من اعتداء رجال الاستعمار الافرنسي على وطنهم ومبادرتهم بسرعة فظيعة غريبة لهدم عرشهم في أول سعيهم لتشكيل حكومتهم التي وضعت اساسها على سياسة الولاء والصداقة لكل الامم على الاطلاق قد اثر على حواس كل عربي على وجه الارض . وفي الوقت نفسه نعلم علما يقينا ان ابناء سوريا الكرام هم من جملة المفاخر العربية وركن من اركان الجامعة القحطانية والعدنانية لا يرضون بالذل ولا ينقادون الى من جاء لاهانتهم في عقر دارهم وانهم لا يعذرون أبناء جنسهم اذا منعوا عنهم يد المعاونة والمدد في مثل هذه الآونة الخطيرة

كل عربي يعلم انكم يا أبناء سوريا تستنصرون وتستثيرون حميته ليأتيكم مسرعاً ملبيا مقبلاً غير مدبر، ومن حيث قد توالت علينا الدعوات وصخت آذاننا الصرخات فها أنا ذا قد أتيت مع أول من لباكم لنشارككم في شرف دفاعكم لطرد المعتدين عن أوطانكم بقلوب ذات حمية وسيوف عدنانية هاشمية، ليعلم من أراد اهانتكم وابتزاز أموالكم واهانة علمكم واستصغار كبرائكم ان العرب كالجسم الواحد اذا شكا طرف منه اشتكى كل الجسم وان الله سبحانه وتعالى لم يترك الامة سدى بداد متفرقة مفتونة بالباطل مغرورة بالكذب وواهن القول .

ليعلم أبناء سوريا أن هؤلاء المعتدين قد عدوكم من جملة من أدخلوه تحت عار استعمارهم ووضعوهم في مصاف الزنوج والبرابرة وظنوا انكم لستم من ذوى الغيرات وأصحاب الحميات

كيف ترضون بان تكون العاصمة الاموية مستعمرة فرنسية . ان رضيتم بذلك فالجزيرة لا ترضى وستأتيكم . غضبى وان غايتنا الوحيدة هي كما يعلم الله نصرتكم واجلاء المعتدين عنكم وها أنا ذا أقول ولا حرج بانني قد قبلت تجديد بيعة مليككم فيصل الاول عن الاكثرية الغالبة التي جددت تلك البيعة على يدى وانى سأعود ان ابقاني الله حيا الى وطني يوم نزوح عدوكم من بلادكم وعلى هذا

اليمين بالشرف وأمركم حينئذ لكم وبلادكم بين يديكم متعكم الله فيها بالعز والسؤدد والرفاهية والمجد

أتينا لبذل المهج دونكم لا لتخريب البلاد كما يفترى علينا وكفانا دليلا صدق بلائنا في الله والجنسية والوطن وتعريض النفس والاخطار(١) والمحن وما وضعه عليكم ذلك المستعمر من الضمانات المثقلة اثر اعتدائه عليكم لدليل يحتاج الى دليل(٢) .

اتاكم ذلك المستعمر ليسلبكم النعم الثلاث : الايمان والحرية والذكورية .

اتاكم ليسترقكم فتكونوا غير أحرار . أتاكم ذلك المستعمر ليأخذ منكم أسلحتكم فتكونوا غير ذكور أتاكم ليخيفكم بقوته وينسيكم ان الله بالمرصاد فتكونوا غير مؤمنين. لذا ندعوكم للحياة والاجتماع والذب عن الوطن وعدم الاصغاء لكل دسيسة تفل عزمكم وتبدد جمعيتكم واستعين الله لى ولكم فيما نحن بصدده

حرر في ٢٥ ربيع اول سنة ١٣٣٩

الامير : عبد الله

(١) كذا في الاصل ولعلها « للاخطار »
(٢) كذا في الاصل ايضاً

وقد وزع عدد كبير من هذا المنشور في سورية وفلسطين وحوران وشرق الاردن ، وكانت من نتائجه حوادث لم تأت بخير ، أفدحها خطباً حادثة « الزوية (١) » التي أثر في أهلها منشور الامير وما تبعه من كتب خاصة بعث بها يضرب لهم فيها مواعيد سيره اليهم ويستفز حميتهم ويدعوهم الى الثورة ، فقد ثاروا على السلطة الافرنسية وانتظروا نجدات معان فخابت الآمال ، وأصيبوا بنكبات لا يزال كثيرون منهم يتجرعون غصتها حتى اليوم وهو معرض عنهم !

***

وصل وفدنا المرسل من عمان ، الى معان ، والمسافة بينهما عشر ساعات في القطار ، وقابل أعضاؤه الامير عبد الله ، فتلقاهم ببشاشته وأنسه وحدثهم بما كان يدور على لسانه . . ، وخفف ما كان يعروه من خفقان القلب حين تقدموا اليه باسمائهم وفيهم مظهر الرسلان ، فعرف من وراء حجاب أن القوم راضون عنه . . ، ولم يشك في أن مظهراً لم يأت مندفعاً بل جاء مدفوعا..ولم يتردد بعد ذلك في ازماع السير « الى الامام »

***

وبينما آية النهار تتضاءل بين يدي آية الليل ، وقد غابت الشمس وبدأ الظلام ينشر سرادقه ، كان الامير يتقدم الى القطار وقد اصطف من معه من الجند يحيونه التحية العسكرية ، وتقدم لوداعه من كان قد لحق به من ضباط سورية وفلسطين وشرق الاردن ، فخطبهم قائلا (٢) :

(١) مديرية تابعة للقنيطرة

(٢) نقل هذه الخطبة بنصها الرشيق عن جريدته الثورية « الحق يعلو » عدد ٢٧ جمادى الثانية ١٣٣٩

خطبة الامير عبد الله

في محطة معان

(لعدم سعة القطارات اضطررنا ان نكون السابقين وان شاء الله تعالى قريباً تلحقون بنا .

(كلكم يعلم ما حل بالبلاد واننا نرى دماءنا وأموالنا رخيصة في سبيل الوطن وتخليصه . ولقد قطعتم الفيافي والقفار والتحقتم بنا للذب عن البلاد والأعراض . وقد كان سعيكم سعيا مشكوراً وعملا مبروراً بارك الله فيكم وحيي شعوركم الصادق .

(انني الآن مودعكم وأود أن لا أرى بينكم من يعتزي الى أقليمه الجغرافي ، بل أحب ان أرى كلا منكم ينتسب الى تلك الجزيرة التي نشأنا فيها وخرجنا منها ، والبلاد العربية كافة هي بلاد كل عربي .

(انني ذاهب الآن ، وأرغب أن تواظبوا على أعمالكم ، وأحب ان لا أسمع بأن أحدكم تقاعس عن واجبه اذ الواجب لم ينته ولن ينتهي . . وان شاء الله تعالى قريبا نجتمع بكم ، ونرجوه أن يوفقنا لما فيه خدمة الامة والسلام .)

***

ووصفت جريدته الرسمية « الثورية » رحلته من معان الى عمان بما خلاصته :

ـ ركب القطار عشية يوم الاثنين .

ـ تحرك القطار صباح الثلاثاء ووصل الى القطرانة في منتصف الساعة الخامسة غروبية .

— كانت وفود الكرك والطفيلة ومشايخها بانتظاره وصـدرت « ارادته » بمقابلتهم!

— القى بين يديه الشيخ محمد المعايطة قصيدة بدوية فأنعم عليه بخنجر ذهبي وفروة (!)

— تحرك القطار من الطفيلة الساعة الخامسة

— وصل الى محطة الجيزة الساعة السابعة

— كانت مشايخ الصخور والعجارمة تنتظره للسلام عليه

— صدرت « اردته » بالبقاء تلك الليلة في الجيزة طلبا للراحة من وعثاء السفر (كذا)

— تحرك به القطار في الساعة الثانية من صباح الاربعاء فوصل الى عمان في الساعة الرابعة .



للتـــاريخ

شيء عن معان . الحجازية والشامية . وعشائرهما

قبل الانتقال من الكلام عن رحلة الامير من معان الى عمان ، أرى أن أسوق للقـارىء — وقد يكون من المولعين بالتاريخ — شيئا عن « معان » في حاضرها . أما ماضيها فمن أراد الاحاطة به أمكنه الرجوع الى ما كتبه أسلافنا الاقدمون عن البلدان، وماذلك بعسير .

معان — قرية ، أو بلدة صغيرة ، شاخصـة في الجانب الغربي من الخط الحجازي ، تبعد عن المحطة نحو ثلاثة كيلومترات ، يكتنفهـا من جهتيها الجنوبية والشرقية واد يسيل فيه ماء الشتاء ، وعلى أطراف هذا الوادي بساتين معان ومزارعها التي تمتد مسيرة نصف ساعة . وأبنيـة القرية كلها من اللبن ، يشرب أهلها من آبار لايزيد عمق البئر منها عن أربعة أمتار ، ولا كثر أبنيتها الحديثة حدائق صغيرة يسمونها « قصائل » والواحدة « قصيلة » ، ماؤها عذب وهواؤها نقي جاف ، وفيها عين جارية تسمى « عين سويلم » .

وهناك قريتان تعرف كل منها باسم «معان» احداهما التي أشرنا اليها وهي تسمى اليوم « معان الحجازية » والثانية «معان الشامية». وهذه تبعد عن الاولى نحو ثلاثة كيلو مترات ، مرتفعة على قمة جبل يحوطها من غربها وشمالها الشرقي واد يسمى « وادي المغارة » . وعلى جانبيه مزارعها وهي أكثر من مزارع معان الحجازية .

ينقسم أهلها الى أربع عشائر ، هي « عيال الحصان » و « الخورة » و « الحاميد » و « القرامصة » والنفوذ فيها لعيال الحصان ، لأنهم اكثر عدداً وأملاكا ، ومناخها أفضل من مناخ الاولى لارتفاعها . يكثر فيها الرمان والدراقن . ويغلب على أهل القريتين الفقر لقلة حاصلاتهم ومحل اراضيهم وهم أقرب الى الحضارة منهم الى البداوة ولكل عشيرة دار ضيافة هي ناديهم الذي يجتمعون فيه ويسمرون

وأهل معان الحجازية أربع عشائر أيضا . هي « الكراشين » و « عيال أم خطاب » و « الفناطسة » و « البزايعة »

وليس في هاتين القريتين من الآثار القديمة ما هو أهل للذكر ، إلا أنقاض قرية صغيرة في الجهة الشرقية فيها بركة ماء مستطيلة الشكل ضخمة البناء طولها نحو اربعين متراً وعرضها ثلاثون ، وعمقها عشرة أمتار .

ولفظ معان يطلق اليوم على جميع اراضى الشراة ، ومنها قرى كثيرة أكبرها « اذرح » و « الجرباء » . وفي كلتيهما أنقاض أبنية وطواحين كثيرة وبقايا سور قديم متهدم . وعلى مقربة من « الجرباء » مكان مرتفع يسمونه « قصر الصحابة » .

ومن قرى معان « ملقان » وهي في الجهة الشمالية الغربية وفيها انقاض بيوت وطواحين . و « وادى العرجاء » وهي خربة قديمة العهد . و « البسطة » على طريق وادى موسى و « ايل الكبيرة » و « ايل الصغيرة » و « الدرباس » و « الصدقة » و « قرين » و « الدلاغة » و « غرندل » و « الحياض » و « الرميل » — وأكثر هذه القرى دارس لاسكان فيه .

وفي معان الحجازية دار حكومة وثكنة عسكرية وبناء مدرسة أميرية واسعة كان عودة ابو تايه قد احتلها وأنشأ فوقها غرفاً وجعلها مسكنا لاهله ومستودعا لذخائره . وفيها مسجدان .

أما معان الشامية ففيها مدرسة ومسجد مهملان وثكنة قديمة هدمها الترك فى أواخر أيامهم للاستفادة من أخشابها في تسيير القطار ، فلم يبق منها غير جدرانها .

وتقيم في أطراف معان عشائر الحويطات وهى تنقسم الى فرق متعددة لكل فرقة شيخ تنقاد اليه . ولها جميعا شيخ مشايخ ينتخب غالبا من أبناء (جازى) أحد مشايخها الاقدمين

ومن فرق الحويطات « المطالقة » وهم من سلالة « جازي » وشيخهم « حمد بن جازي » و « العودات » وشيخهم « نهار العودات » و « الذيابات » وشيخهم « ضيف الله بن صالح » و « الدراوشة » وشيخهم دحيلان الدراوشة ، و « العطون » وشيخهم عودة العطون ، و « النواصرة » و « المراعية » وشيخها دبور الرصاعى ، و « النعيمات » وشيخهم على بن خلف ، و « السميحين » وشيخهم ابو سميح ، و « المصبحين » وشيخهم عودة بن مصبح ، و « الفريجات » وشيخهم محمد بن دحيلان ، و « الركيبات » وشيخهم أبو ركيبة ، و « ولد سليمان » شيخهم صباح ابو نوير ، و « الدمانية » وشيخهم هويمل بن العاطل ، و « الفتة » وشيخهم ابوفتة ، ولايتجاوز عدد رجالهم جميعا أربعة آلاف مقاتل . وهم اذا نشبت الحرب بينهم وبين عشائر غريبة عن منطقتهم ، ينقسمون الى فرقتين إحداها فرقة « ابن جازى » والثانية فرقة « عوده ابي

تايه » ولهم في هذا اصطلاح لا بأس بايراده : ذلك أنهم يسمون كل فرقة من هاتين « علما » — بكسر العين وسكون اللام — ويريدون بالعلم صف الحرب . ولكل علم « عليم » وهو كالقائد العام لعلمه (اي فرقته) اذا أشار بالاغارة أغار علمه وإن أشار بالصلح كان الصلح .

أما العشائر التي تدخل في « علم » ابن جازي ، من الحويطات ، فهي : المطالقة والدراوشة ، والدمانية، والعودات، والذيابات، والنعيمات ، والمراعية ، والعطون والهدبان .

وأما التي تدخل في « علم » أبي تايه ، فهي : الفريجات، والنواصرة، والركيبات ، والسميحين ، والمصبحين ، والفتة.

وأكثر عشائر معان عدداً الركيبات . وبين هذه العشائر أصحاب فلاحة وزراعة كالنعيمات والمراعية وهما تقطنان أراضي الشراة وتقتنيان الابل والمواشي وتغزوان كغيرهما إلا أنهما لا تبعدان المدى .

والرحالة من هذه العشائر تنزل — اذا كان الفصل صيفاً — في جوار معان واراضي الشراة والكرك والطفيلة والشوبك ووادي موسى . وتتحول في الشتاء الى الحفير وباير ووادي السرحان والغور . وكلها تغزو وتغزى وتحمي اللاجيء وتقري الضيف ، وقد رزقت نصيباً وافراً من الشجاعة فاقت به غيرها من أعراب الجنوب .

* * *

ومن النواحي المرتبطة بقضاء معان ناحية « الشوبك » وهي قلعة في ذروة جبل شامخ ، لا تدخل إلا من طريق واحد ، تبعد عن معان مسيرة تسع ساعات الى الشمال . بناؤها مستطيل الشكل ، ذات أبراج عالية ضخمة البنيان لم يزل أكثرها ماثلا للعيان في جهتيها الشمالية والجنوبية .

وفي أعالي الابراج كتابة قديمة في مواضع مختلفة ، لا تقرأ لارتفاعها . وفي القلعة حجر مربع مكتوب عليه (قد أمر بانشاء هذه القلعة حسام الدين لاجين) وتاريخ الكتابة غير مقروء . وفي الجانب الجنوبي من هذه القلعة بئر ينحدر اليها بسرداب ذي درجات عرضه نحو ١٥٠ سانتيمترا وارتفاعه كذلك ، يلتوي بطريقة هندسية الى ان يتصل بقعر البئر ، يسهل عبوره إلا أنه مظلم ولا منفذ له غير مدخله . وفي القعر بركتان مساحتهما أربعة أمتار مربعة ، ينصب فيهما ماء من ينبوع يتفجر من أعلاهما ثم يتسرب في داخل الارض .

وأهالي الشوبك اربع فصائل : الهباهبة ، والملاحيم ، والطورة ، والرفايعة . ولكل فصيلة قرية تسكنها ومزارع تستغلها . وفيهم من يسكن بيوت الشعر . وهم لا يقتنون الابل

***

والى الجنوب الغربي من قلعة الشوبك قرية « نجل » وهي قرية قديمة فيها ماء غزير يجري في واديها، وعلى مقربة منها أثر بال يسمونه « قصر الدوسق »

***

وأشهر القرى التابعة لمعان « وادي موسى » بل هو أشهر ما هنالك من بلدان وأماكن ، لكثرة ما فيه من قديم الآثار ، وقد كتب الافرنج كثيراً عنه. وقريته تبعد عن معان مسيرة سبع ساعات الى الغرب ، وطريقها سهل إلا منتهاه ففيه شيء من الوعوثة . وهي الآن قرية صغيرة فيها نحو ثلاثين داراً في سفح جبل تحوطها بساتين ومزارع ، وأهلها ثلاث فصائل : الفرجات ، والسعادنة ، والعمر . وهم فقراء فقراً مدقعاً

يسكنون بيوت الشعر، وفي هذه القرية ينابيع كثيرة أشهرها « عين موسى » .

أما آثارها فلم يُتح لي أن أراها فأصفها، ولم أرَ أن أعتمد في وصفها على النقل عمن شهدها ، غير أن هذا لا يمنعني من أن أشير الى ما ذكر لي عن ملعبها الكبير من انه أفخم من ملعب عمان، وقصرها الصخري الذي يسمونه اليوم « سراى فرعون » وما هنا لك من تماثيل اكثرها منقوش على الصخور ، وأن بينها تمثال فتاة تحمل في يدها وردة ، الى غير ذلك مما تركه الاولون عبرة للآخرين

* * *

أظنني أتعبت القارىء في ايرادي له ما اشتمل عليه هذا الفصل من اسماء ونعوت وتقاسيم، ولكن ما الحيلة وقد عانيت في استقصائها الحصول عليها الامرّين ، أأهملها أم أثبتها ؟ بل إثباتها أولى وأفضل . .

* * *

وكنت أحب أن لا تفوتني هنا تسمية شاب مهذب، من أهالي تلك الانحاء ، أفادني الرجوع اليه في استيضاح بعض ما ذكرت عن معان وأطرافها ولكني خشيت أن يتهم بغير ذلك ، فيساء اليه وهو بريء

الامير في عمان

هبط الامير عبد الله مدينة عمان قبل ظهر الاربعاء ٢٢ جمادي الثانية ١٣٣٩ (٢ مارس ١٩٢١) واستقبله في المحطة جمهور كبير من أهل عمان وغيرها ، يهتفون ويحيون ، واجتاز الامير ومن معه المسافة بين المحطة والبلدة على الجياد ، فنزل في دار رئيس بلديتها وتقدم الناس للسلام عليه مستبشرين متفائلين خيراً

* * *

وعصاري يوم الخميس احتشد في ساحة عمان ، أمام ملعبها التاريخي الوف من الناس للاحتفال بالامير القادم (منقذ سورية ومحررها) وجلس الامير على كرسي عال لا أدري من أين أتت به عمان ، واصطف حوله الناس وأقربهم منه الشريف شاكر بن زيد ، فتليت خطب وقصائد اعتاد الناس أن يسمعوا أشباهها في مثل هذه المواقف ، وكان خطيب الحفلة الاول الاستاذ الشيخ كامل القصاب المعروف بجرأته وصراحته ، فبحث في مايجب للامير على الناس وما يجب للناس على الامير، وكأنما أُلهم من عالم الغيب ان يقيد الامير بعهد يسأل عنه ولو بعد حين، فقدم مقدمات جعل نتيجتها وجوب تبادل العهد بين الامير والحضور ، ثم عاهد الامير بلسان الجمع المحتشد على تأييده والالتفاف حوله ما حافظ على المصلحة القومية وسعى اليها . . وانتظر الناس أن يسمعوا كلمة الامير، فلم ينطق بها واكتفى بأن جمجم قليلا وأطرق طويلا . .

غير أن الخطيب استمر يطالب منه العهد بصوته الجهوري ، لقد

عاهدتك الامة يا سمو الامير ، وهى تنتظر ماستعاهدها عليه !

ولم يجد الامير مناصاً من كلمة يقولها ، فوعد بان تكون الختام ...

وبعد ان استفرغ الخطباء ما عندهم من منظوم ومنثور، وقف الامير ، وتلا الهتاف سكون وإصغاء ، فقال:

كلمة الامير عبد الله (١)

«سروركم بنا وترحيبكم لنا واجتماعكم علينا أمر لايستغرب، أنتم لنا ونحن لكم ، وانى لم أغفل كلمة مما جاء بها خطباؤكم ، ووطنيتكم أمر لايخفى على الكون كله ، وضالتكم المنشودة هى عبارة عن حقكم الذى تطلبونه ، ويمكننى أن أقول بأن الله لايترككم هكذا. مليككم(٢) لايزال يجاهد لاجل مجدكم وبلادكم وله في الغرب أصحاب لهم نفوذ وكلمة يسعون في تحقيق أمنيته وأمنيتكم ، وآمالي أكيدة بأنه لايرجع خائبا ، وسروري من حسياتكم القومية والحماس عظيم جداً وذلك مما يوجب الافتخار ، وانى أقول لكم بأنه اذا جاء الوقت لاستعمال ماتستعمله الامم من القوة عند ذلك تثبتون بأنكم وجدتم ضعفاء ولكن لاتموتون بلاشرف . فلاأريد منكم الا السمع والطاعة فان أمرتم بالتقدم تتقدمون أو بالتأخر تتأخرون فان الآمال بيد مليككم .

«بهذا الموقف يريد الشيخ كامل منى العهـــد . وماجاءبى إلا حميتى وماتحمله والدى من العبء الثقيل ،فالواجب علىّ أفهمه ولو كان لى سبعون نفسا بذلتها في سبيل الامة لما عددت نفسى انى فعلت شيئا ، كونوا على

(١) نقلنا هذه الخطبة بنصها الفائق عن جريدتها الشورية الرسمية التي سبقت اشارتنا اليها

(٢) يعني الملك فيصلا .

راحة تامة بأننا نبـــذل الانفس والاموال لاجل الوطن ونطلب السمع والطاعة وعدم الشك والريب منى

كثير منكم جاء لاستقبالنا . أشكركم ، ووفقنا الله جميعا لما فيه خير الامة والسلام» .

* * *

تفرق الناس، وحديثهم عهد الامير، أو تفلت الامير من قيد العهد!

وبات سموه تلك الليلة فى محطة عمـان ، حيث فرش له بيت كان يسكنه أحد موظفي السكة الحديدية

* *

واصبحت البلاد بعد وصول الامير عبد الله الى عمان وسكناه المحطة، في حال هى الى الفوضى أقرب ، بل ربما صحت تسميتها بالفترة ،وان كان الناس قد سبقوا الى إطلاق هذا اللفظ — أيام ظهور الانبياء وقيامهم باصلاح الجماعات — على ما بين النبيين من عصور وأعوام .

أما وقد مضى زمن وازع النبوات وقام مقامه وازع الحكومات فلنا أن نسمي ما بين سقوط حكومة وقيام أخرى فترة ، لفقدان من يرجع اليه في الامور .

على أن الحال في شرق الاردن لم تكن حال الفترة الخالصة فهناك حكومات مختلفـة احداها في الصلت ورئيسها وكيل المتصرف مظهر بك الرسلان الذى أقره على الحكم ـــ وسماه حاكما ـــ منـدوب فلسطين البريطانى الاعلى السر هربرت صموئيل ، وثانية فى عمان كان ارتباطها بالصلت وحل الرباط منذ قدمها الشريف على بن الحسين الحارثي فأصبح قائم مقامها الامير محمود الشهابي لا يعرف متبوعه الاعظم أهو مظهر أم

الحارثي ، وثالثة في الكرك رئيسها رفيفان المجالي أحد زعماء عشائرها ، ورابعة في جرش على رأسها محمد علي بك المغربي المرتبط بأهاليها وعشائرها ارتباطا لا يحله إلا مخالفته لعبد من عبيدهم في أمر يوعز به اليه ، وخامسة في اربد يحمل زمامها على خلقي بك أحد زملائنا في حمل وسام حكم الاعدام من دولة فرانسا الفخمة ، وسادسة في الطفيلة تسلم الحكم فيها عدد من متنفذيها ، وسابعة في الكورة يرئسها زعيمها الثائر الشيخ كليب الشريدي ، وسابعة في عجلون يديرها قائممقام اسمه علي نيازي ، ولعل هناك تاسعة وعاشرة وحادية عشرة منبثات في هذه القرية وتلك المزرعة وذلك الحقل !

نعم ، كانت في شرقي الاردن قبيل وصول الامير اليها وبعيد وصوله حكومات ، شأنها ماذكرت ، وكان في كل من الصلت وعمان واربد والكرك وجرش ، قبعة بيضاء كبيرة ذات اطار أشبه بالعمامة ، يستتر تحتها ضمير تربطه أسلاك سحرية بمدينة اسمها لندن ووزارة يدعونها وزارة المستعمرات البريطانية. أما صاحب هذه القبعة فيحمل في محفظة أوراقه سطوراً تدل في جملتها على أن له صفة رسمية هي أنه معتمد حكومة بريطانيا العظمى في تلك البلدة وأنه يرجع في أمهات أموره الى شخص من فصيلته يقيم في الصلت ، وقد يتنقل بينها وبين عمان ، يمتاز بلقب رئيس المعتمدين البريطانيين في منطقة شرق الاردن . .

وكان يغلب علي هؤلاء المعتمدين الانزواء ، كراهية أن يستثقل الناس ظلهم . ولكن أصابعهم لم تكن هادئة . كانت طويلة ، كثيرة الحركة كألسنتهم .. وهم في الحقيقة أصحاب التأثير الذي كان يضؤل وينمو ، ويضعف ويقوى ، صعوداً وهبوطاً كالبارومتر ، أمام اشتداد الاهالي

ولينهم . وهم كانوا في كل حال مصدر كل فكرة لا يأبه أغبياء الزعماء في المنطقة لنتائجها ، هم بثوا في كل بلدة روح الانفصال عن الاخرى ، وهم حرضوا كل جماعة على أن يكون لها شبه مجلس تمثيلي أو هموها أنه يستطيع ان يدير شؤونها ، وهم كانوا اداة التفريق في المنطقة ليستطيعوا الاستفادة من إضعافها ، وهم كانوا الكرماء الضاربين خيامهم بمدرجة الطريق ، يتسابقون الى قِري الزعماء !

كانت حكومات في المنطقة ، وكان حكام ، وكان معتمدون بريطانيون ، ولكن مجموع هذه الحكومات وأولئك الحكام والمعتمدين أصبح والحيرة تملك عليه مسالك الرشد بعد أن دخل الامير عبد الله منطقة شرق الاردن ، وهو لا صفة رسمية له . .

ظلت القضايا في تلك الفترة لا مرجع ثابت لها ، وفيها ما يرفعه المتخاصمان الى مرجعين في وقت واحد ، أحدهما يلجأ الى من يسمي نفسه الحاكم ، والثاني الى سمو الامير منقذ سورية ومحررها . .

* * *

كان هناك اضطراب ولكنه لم يلبس رداء الفتنة ، وكانت هناك حكومات ولكنها مشدودة الايدي الى الاعناق ، وكانت هناك فوضى ولكن زمنها لم يطل ، لان من يعنيهم أمر سورية وفلسطين ويعرفون أن الفوضى على حدهما تكبدهم إنفاق مال وبذل رجال ، لم يسرهم دوامها ..

أضف الى هذا أن الانكليز ، وهم أخبر الناس بطرائق الاستعمار في بلاد العرب ، لم يكونوا يجهلون أن الامير عبد الله ، اذا سلس لهم قياده ، اعتاضوا به عن عشرة آلاف جندي لا مناص لهم منها لاخضاع منطقة

تشرق الاردن وقتل نفوسها الهائجة . .

وزد على ما تقدم ان الانكليز اعتادوا أن يسيروا فى سياستهم مع الامر الواقع ، بغية تحويله الى الوجهة التى لا تخالف وجهة مصالحهم .

اذا عرفنا هذا كله لم يصعب علينا أن ندرك أن الانكليز بعد رؤيتهم الامير عبد الله يسرح ويمرح فى معان المتاخمة لشرق الاردن ، وزعماء البلاد يتهافتون عليه تهافت الفراش على السراج ، ومنشورات الحض على الثورة والتهيؤ للثورة توزع باسم الامير عبد الله في كل مكان، عمدوا الى النار يحولونها الى أقراصهم — كما يقول المثل الشامى — وقد بدا أثر ذلك بعد أقل من شهور . .

* * *

لم يكن فى عمان آنئذ سيارات تحمل الناس منها الى المحطة ، ومن المحطة اليها ، والمسافة بينهما ثلاثة كيلو مترات ، وانما كان الركوب على عجلات الخيل هو كل شيء هناك من وسائل النقل والتنقل ،

ورأى المقيمون فى عمان المضطرون لزيارة الامير فى كل يوم — دفعاً لعتبه وتجنباً لسخطه — أن اضاعة ساعتين من كل صباح ، بين الغدو والرواح ، حال غير محمودة ، فاتفقوا — وأنا فى زمرتهم — على النقلة الى المحطة أيضاً . .

وصباح الخميس (٣٠ جمادى الثانية ١٣٣٩ — ١٠ مارس ١٩٢١)
كانت الحقائب والاخراج تنقل تباعاً الى الوادي الخصيب المجاور للمحطة، وفى جملتها حقيبتان إحداهما لى والثانية ليوسف ياسين ، الصديق الصدوق، ألقيتا على مقربة من نهر هناك ، ثم أقيمت عليهما خيمة كانت مأوانا بضعة أسابيع، ولله ما أحلى حياة الخيام !

سر الامير قرب الناس منه، وساءه تكأكؤ أهل الجد عليه ، وهو كما عرفت وكما ستعرف ملول سؤوم، في فطرته حب الراحة والاخلاد الى العبث ، فلم ير للانفراد بمن يألف إلا أن يتخذ الحجاب ، وقد قال له أحدهم يوماً: ياسمو الامير إن البيت الذى تكثر حجابه تفرغ أبوابه !.

***

وان أردت أن تكتشف شيئاً مما وراء الحجاب ، فاقرأ :

عصفت الرياح ليلة ، وقرص البرد ، وانهمر المطر ، فأحكمنا منافذ الخيمة سداً ورتقاً ، وكاد الكرى يأخذ بمعاقد الأجفان، واذا بمناد يصيح باسمي صياحاً متتابعاً ، فأجبت ، وقمت الى أحد أطرف الخيمة فحللت رباطه بعد أن أوقدت الشمعة ، وقلت : من ؟ فاذا انسان يقول : سيدنا يبغاك !
فعرفت أن الرجل حجازى ، وأهل الحجاز كلهم يقولون بغاه يبغاه (والصواب يبغيه) وقد يأكلون عين هذا الفعل في المضارع فيقولون « ويش تبي مني ؟ » يريدون « ماذا تبغي مني »

ولم يسعني إلا أن أجيب الدعوة، فألقيت عباءتي على رأسي ، استتاراً من ماء المطر، وهرولت كالجذع[1] أخب في الوحل وأضع .. حتي بلغت بيت الامير ، ودخلت ، فنظرت ، فاذا هو جالس على بساط وقد اتكأ على قتب ، وإذا أمامه كرسى صغير عليه رقعة شطرنج ، وقد جلس في الجانب الآخر مرافقه حامد بك الوادى ، وأحدهما يقول « شاهك ! »
فسلمت وجلست ألحظ الشطرنج وأرقب انتهاء الشوط — كما يسمونه —

(١) الجذع — بفتحتين وبالذال المعجمة — الشاب الحدث ، ومنها قول العامة فى مصر « جدع » بالدال المهملة ، وفي أراجيز العرب :
ياليتني فيهـا جذع أخب فيها وأضع !

ولم يخالجني ريب في أن للامير حديثاً يريد أن يفضى به إليّ بعد لعبه ،
وتمت الغلبة لحامد ، ونادى الامير : الشاهي ياعيال ! (يريد : الشاي ياخدم)
فشربنا الشاهيّ ، وتجاذبنا أطراف الحديث فكان موضوعه الشطرنج
وماقيل فيه ، وكان قد حضر غالب الشعلان وهو من مرافقي سموه أيضاً
وأخيراً استأذن حامد وغالب بالانصراف فاستأذنت معهما ، فأذن
الامير ، وخرجنا . .

قلت لحامد ونحن في طريقنا : لماذا دعاني الامير ؟ فقال : لتشهد
على الظافر منا في الشطرنج ، قلت ولمَ لم يقل ؟ قال : لاني كنت أنا
الغالب ! فضحكنا . .

* * *

بل مالنا ولهذا ، ألم يقل لنا لورنس — وهو الذى كانوا ينعتونه بملك
العرب غير المتوج — : أتطمع بلادكم بالخير من عبدالله وقد قذف به أبوه
مع أخويه علي وفيصل ، فدخل علي المدينة وأوغل فيصل في ماوراء حلب ،
وهو قابع في وادى الليمون يلعب بالشطرنج ثلاث سنين !!



الاماني !

تناقل الناس منشورات الامير التي كان يبعث بها من معان ، واطلعوا
على جريدته الثورية ، وفيها نعته بمنقذ سورية ومحررها ، وتناول من كتب
اليهم في فلسطين وسورية رسائله التي كان يدعوهم بها للقدوم الى معان ،
وقرأوا في الصحف بلاغات الانكليز والفرنسويين عن الثورة في وادى
اليرموك وأطراف حوران ، ودلهم انقطاع القطار عن السير بين دمشق
وحيفا على حادث جديد ، وجاءهم نبأ اقتلاع أمتار من خطوط السكة
الحديدية بين درعا وخربة الغزالة ، وأتاهم بالاخبار من زودوا — ومن لم
يزوّدوا — مذيعاً أن جسر المقارن بين درعا وسمخ قد نسف ، فعلموا
أن وراء الاكمة ما وراءها ، وبنوا قصور الآمال والامانيّ ، وتقدم فريق
منهم — وما هو بقليل — يضع الخطط ويوجه الاقتراح تلو الاقتراح
من مصر والقدس والشام ، وهاك نبذة من كتاب ورد عليّ من بعضهم
بتاريخ ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٢١ والامير لا يزال في معان :

« ملخص المقاصد المطلوب تنفيذها في معان لدى المقام الاكبر . . ما يأتي :

« ١ — تقديم مذكرة بريدية أو تلغرافية الى المندوب السامي في
فلسطين ببيان المقاصد الاساسية للحركة ، وذلك لمناسبة الجوار ومنعاً
لتشويش سياسي يستوجب التدخل الدولي .

« ٢ — اتخاذ معان مركزاً للحركة لا عمان ، حذراً من المشاكل .

« ٣ — عقد مؤتمر في معان يدعى اليه جميع رجال سورية وأحرار
العرب لتشكيل اتحاد عام وتقسيم الاعمال وتعيين خطة ثابتة .

« ٤ — تخصيص مبلغ لجلب الثلاثمائة ضابط وشاب في سورية المتهيئين للالتحاق بعمان ، وغير خاف ما لالتحاقهم من التأثير سياسياً فى موقف السلطة الفرنسوية خاصة والعالم السياسى عامة ..

« ٥ — تأسيس مكتب مخابرة في القدس كمركز إداري وسياسى للحركات وتلقى تقارير أوربا وأميركا وسورية ومعان ومخابرة الجرائد الكبرى بالاعمال الواجب ذيوعها وتلخيص التطور السياسي العام وتسفير الواردين ، وعندنا أن ذلك أس الاساس للتوفيق فى الاعمال تشكيلا وتنفيذاً .

« ٦ — تشكيل حكومة سورية مشروعة في نظر العالم

« ٧ — تأليف وفود ترسل الى أميركا وألمانيا وتركيا وغيرها

« ٨ — تعيين نقاط مواصلة بين معان وهنانو وحاجم وصالح العلي (١)

« ٩ — إمداد الثورة القائمة في جوار درعا ودمشق، بالمال والسلاح

« ١٠ — تنظيم برد خاصة بين معان وأماكن الحركات . اه

* * *

هذا نموذج مما كانت تخيله الامانى لكثيرين ممن دوى في أسماعهم صوت الامير عن بُعد ، ولو طاف في تلك الآونة طائف في سورية لسمع دقات القلوب سروراً وابتهاجا ، ولأوشك ان يلمس الآمال متجسمة في الجماعات والافراد ، اغتباطا بقرب يوم الخلاص والنجاة من شرك الاستعمار الآخذ منهم بالايدى والاعناق !

* * *

وحسبك برهانا على أن صهباء الآمال ، لعبت في الرؤوس

(١) الثلاثة من كبار أصحاب الثورات على الافرنسيين في سورية

وصورت السراب ماء والوهم حقيقة ، توافد المتوافدين من كل صوب وناحية ، إجابة لدعوة الامير إذ دعاهم فلم يكن يمضى يوم واحد وعمان خالية من قادمين جدد : ضباط ، وجنود ، واداريين ، وذوى رأي ، يتأبط اكثر المعروفين منهم بالاشتغال في القضية العربية كتبا إن اختلفت مصادرها فمنبعها واحد ، بعضها من الامير نفسه، وبعض آخر من أنصار حركته الاقربين منه ، وبعض ممن تطوعوا للخدمة وبادروا تسوقهم النية الصالحة الى دعوة من يعتقدون فيه الخير للحركة المزعومة .. غير أن المنبع الحقيقى لفكرة استدعاء الناس ، قاصيهم ودانيهم ، كان هو الامير عبدالله عينه ، كاتباً بيده ، أو مملياً بلسانه ، أو موعزاً باشارته ..

وهكذا لم يكد ينجلي الغبار، حتي كانت عمان محتشد الجموع ومزدحم الاقدام ، فالدور غاصة والخيام متراصة ، والناس من كل حدب ينسلون :

واذا بعمان ، ومن يسمع يخل ،   بلد تحط به الرحال وتوضع

حشرت بها من كل موطن عزة   فئة لها فى كل أمر إصبع

* * *

لولا البقية من أمانى أنفس   ملتاعه لتفرق المتجمع ..

في مهب الريح !

لم تكن مقاطعة شرق الاردن ، بعد احتلال الافرنسيين دمشق ، في حال يصح ان تعتبر طبيعية ، بل كانت ادارتها واوضاعها وأقسامها كلها أدلة ناطقة علي أنها غير ثابتة ، وإن تناولتها الايدى بالترقيع ..

واقد ظلت أياما ، بعد خروج الملك فيصل من سورية الشمالية ، لا يعرف حكامها اين مرجعهم الحقيقى أهو فى دمشق أم فى القدس ، حتي حل المشكل السر هربرت صموئيل المندوب البريطانى الأعلى فى فلسطين بزيارته الصلت فى اغسطس سنة ١٩٢٠ والقائه بيانه الذي نقلتـه برمته شركة روتر الانكليزية وهذا نصه :

بيان هربرت صموئيل

قالت شركة «روتر» فى اغسطس ١٩٢٠ ما معناه نقلا عن الصحف :

استقبل العرب في الصلت المندوب السامي في فلسطين السر هربرت صموئيل استقبالا شائقا على عادتهم وتوافد عليه شيوخ العشائر كعشيرة المجالي والعدوان وبني حسن وبنى حميدة وعجلون والبلقاء وعشائر أخرى فألقى عليهم خطبته الآتية في ساحة المدينة وكانوا نحو ستمائة — قال :

« زارني في القدس كثيرون من الوجهاء ورؤساء عشائر شرق الاردن منذ احتل الفرنسيون دمشق وجاءتني رسائل من سواهم ومن وجهاء السلط (الصلت) طالبين تمديد الادارة البريطانية الى بلادهم . علي انكم تعلمون انه قد تم الاتفاق من زمن طويل بين الحكومتين علي ان هـذه البلاد هي

ضمن منطقة النفوذ الانكليزى لا الفرنسى . وقد جاءتني برقية منذ بضعة أيام من لندن تقول ان الحكومة الفرنسوية كررت تأكيداتها بأنها لا تريد أن تتدخل بأى شكل كان في شؤون هذه المقاطعة . وبما ان الحكومة الفرنسية قد عززت نفوذها في دمشق فقـد أصبح من الضرورى فصل هذه المقاطعة عن ادارة دمشق

« تسألونني عن نوع المساعدة التي تريد انكلترا ان تقدمها لكم فأجيبكم أنها لا تريد ان تضمكم الى الادارة الموجودة الآن في فلسطين بل تنشيء لكم ادارة منفردة تساعدكم على ان تحكموا انفسكم بأنفسكم

« وسترسل اليكم عدداً قليـلا من الضباط السياسيين ورجال القضاء ذوي الخبرة الواقفين وقوفا تاما علي اللغة العربية وأحوال الشعب العربي فيسكنون البلدان الكبرى في هذه المقاطعة وأنتم تعرفون اكثرهم شخصيا

«وسيساعدونكم على تنظيم الدفاع تجاه أى هجوم خارجي وتنظيم البوليس الذى يصون الامن في الداخل وترقيـة التجارة وتأييد العدالة وانفاق ما تدفعونه من الضرائب بأمانة تامة علي مصالحكم واحتياجاتكم ويستشيرونكم فى الغاية التي تدفع لاجلها الاموال واصلاح الطرق وترميمها وانشاء المدارس وتقديم المعاونات الصحية

«وستكون لكم حرية الاتجار التـامة مع فلسطين ويرسل البترول والارز والسكر وبقيـة الحاجات اليكم كما يرسل الى اهالى فلسطين على نفس القاعدة ولكن نسألكم اتخاذ التدابير لمنع اخراج هـذه الحاجات القليلة في هذه الايام الى البلاد المجاورة ونبذل جهدنا لاجراء التسهيلات لبيع ما تريدون بيعه ونتخذ الوسائل اللازمة لافتتاح بنك يساعد التجارة بأقرب ما يمكن . ونعزز وسائل نقل البريد مع فلسطين والبلاد الاخرى

ونقدم لكم النصائح النافعة في إنشاء الطرق والشؤون الاخرى التي تهمكم

«وسيؤخذ الموظفون الذين يشتغلون في البلاد بارشاد العدد القليل من موظفي الانكليز من أبناء البلاد وليس فى النية انشاء أى نظام اجبارى للخدمة فى الجيش ولا نزع السلاح بأى وسيلة كانت

«ولكن لا يسمح بادخال السلاح الى فلسطين كما هي الحالة الآن فاذا كنتم تريدون المساعدة الانكليزية أليس هذا الشكل أفضل أشكال المساعدة.

«وستكون التعليمات العمومية التي ترسلها الحكومة البريطانية الى موظفيها هنا مبنية على قاعدة مساعدة أهالي البلاد ليحكموا انفسهم بانفسهم فمراعاة هذه المبادىء المؤسسة على العدل والشرف اللذين تمتاز بهما الادارة البريطانية فى جميع أنحاء العالم هي الاسس الصالحة لكل حكومة صالحة فعسى ان تكون نتائج هذا الاجتماع لخير البلاد وفلاحها وأضرع الى الله أن يبارك هذه البلاد وسكانها»

* * *

وقد قوبل هذا البيان من أهالي المنطقة بفتور دل عليه أن زعماءهم جمدوا بعد أن سمعوه، جمود الحيرة، لا يدرون أشر أريد بهم أم أراد بهم ربهم رشداً . .

ولما سئلوا عما يجول في نفوسهم وقف أحدهم وقال: يظهر أن أوروبا عدلت عن فكرة اعتبار الكفاآت في الامم، ورجعت الى القرعة، فهي بينما تمنع سورية ولبنان وفلسطين الاستقلال تعترف به لشرق الاردن . . !

* * *

وهكذا عرفت منطقة شرق الاردن ان زمامها فى احدى أصابع المندوب البريطانى الاعلى بفلسطين، وانفلتت تحكم نفسها بنفسها، فألفت

حكومة الصلت مجلساً سمته «مجلس الشورى» لم يعرف له عمل أو رأى غير قرار أبرمه بتغيير لقب «المتصرف» وجعله (الحاكم الادارى العام!) وأبت حكومتا الكرك وعجلون أن يكون لها ممثلون فى هذا المجلس فاقتصر عمله على النظر فى شؤون الصلت وعمان المحلية، يراقب سيره معتمد بريطانى برتبة (ميجر) اسمه (كامب) كما كان يراقب شؤون إربد وعجلون والمزار الميجر «سمرست» وشؤون الكرك والطفيلة الكابتن «كاركبرايت» وشؤون جرش المستر «مانكون» وشؤون عمان «كاركبرايت» الصغير، وهو شقيق معتمد الكرك، ولعامة المناطق مفتش درك عام هو «فريدريك بيك» المعروف يومئذ باسم (بيك بك)

* * *

لم يكن للمنطقة نظام خاص فى ذلك الحين، وانما كان الحكم فيها يميل الى العرف، ولو كان الحكم العرفى شاملا كل انحائها لسميناه نظاما، ولكن الفروق كانت كبيرة بين كل بلدة أو قرية وأخرى، فقانون مدنى، ونظام عسكرى، وقضاء عشائرى، وشرع، وعرف، وقرعة، واستبداد، وشورى . . كلها شبكة واحدة وقعت فى أسرها مقاطعة شرق الاردن المنكودة الحظ!

ولم يحل دون تعدد أشكال الحكم فيها، وجود افراد من بقايا موظفي الحكومتين السابقتين التركية والعربية عرفوا شيئا من القانون والفوا الاخذ ببعض مواده، فقد سلب اكثر هؤلاء نفوذهم، وفيهم من اكتفى بلقب قائم المقام او المدير واعتكف ببيته ملقياً حبل الامور على غارب أهلها، فاستراح واراح . . !

* * *

وما كان ذلك في نظام الحكم فقط ، بل في المعارف أيضا — إن كان في الناس من يهتم لامر المعارف — فقد كانت في المقاطعة كتاتيب مبثوثة فى مدنها وقراها ، دخلت إحداها في قرية « صويلح » فنهض معلمها صائحاً : «قاق» (١) فوقف التلاميذ ، وجاء بكرسى فجلست وجلسوا ، ثم نظرت فى مابين أيديهم من الكتب الابتدائية ، وسألت أحدهم سؤالا منها فلم يحر جوابا ، فسألته ثانياً وثالثاً فلم يجب ، فتوسط المعلم بيننا ، فألقى السؤال نفسه باللغة الشركسية فأجابه التلميذ بها ولم يتلعثم ! واعتذر المعلم بأن أكثرهم شراكسة وأنه مضطر أن يلقي عليهم الدروس بلغتهم ويذاكرهم بها . . وزرت مدرسة رسمية أخرى فى « مادبا » — وكنت مفتشاً للمعارف — فجاءني كبير معلميها يحدثني بنشاطه واهتمامه مثبتاً ذلك بوضعه نظاماً نافعاً للتعليم فى المدرسة ولما سألته عن الدروس التى قرر تدريسها عرفت أنه قسم التلاميذ قسمين احدهما قسم « المسلمين » والثانى قسم « المسيحيين » وأنه اكتفى بتعليم الاول « القرآن » والثانى « الانجيل » متناً وشرحاً . . !

* * *

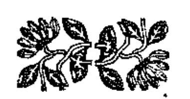
ومثل هذا يقال عن « الامن » وقد كان لما يسمونه «الدخالة» شأن يذكر فيه ، وهى أن يجنى الجانى أو يسرق السارق فتطلبه الحكومة فيلجأ الى أحد شيوخ البدو فيقال « دخل على فلان » وللحكومة بعد ذلك ـ لو كان ثمة حكومة ـ أن تسوق جيشا تضرب به القبيلة كلها أو أن تصبر على مضض والمجرم فى أمان !

(١) كلمة تركية أصلها « قالق » أى : قف

وناهيك بما أسلفناه من قصة مفتش الدرك البريطانى العام فى المقاطعة وقبض رجال « أم العمد » عليه ..

* * *

خلاصة القول في هذا الباب ان المنطقة كانت في ادارتها ومعارفها وأمنها ، ريشة فى مهب الريح لا تستقر على حال ، واستمرت وذلك شأنها الى أن بدلها الله من فوضاها شبه نظام



من حال الى حال

غص مجلس الامير عبد الله يوم السبت ٢٥ جمادى الثانيـة ١٣٣٩ (٥ مارس ١٩٢١) وبدأ سموه يحلم بالاستيلاء على سورية والاقتصاص ممن خان بلاده وأمته فيها، فقال لاحد الجالسين وكان من أهل الفتوة : ما قولك يا أبا فلان إذا دخلنا الشام وأبحت لك أن تعاقب الخونة ، كيف تقتلهم؟ — قال سموه ذلك ويده تعبث بلحيته الشقراء — فابتهج سامعه وقال: خنقا يا سيدى كما تخنق الدجاج . . !

* * *

والتفت سموه الى من كان حاضراً من الصحافيين فقال : وأنتم ، لا تقولوا لى غداً ، بعد أن ندخل الشام ، حرية ودستور ! شرطي عليكم من الآن ان اغلق كل جريدة في سورية مدة ستة أشهر الى ان تهدأ كل ثائرة ويتم كل شيء . . وبعـد ذلك لا أكتفي بأن أطلق اقلامكم بل أضيف اليها قلمي . . !

* * *

وبينا الحديث يمطرنا وابلا من هذه الاماني . دخل احد مرافقي سموه يحمل ورقة في يده ، فتنـاولها سموه وقرأها منعما بصره فيها ، ثم عطف بنظره علينا وقال : ايه ! برقية من والدى .. فأصغينا ، وتلاها فاذا جلالة الملك حسين يقول ما خلاصـته ان وزير المستعمرات البريطانية المستر إيستون تشرشل على أهبة السفر الى الشرق وسيقابلك ويفاوضك . . .

* * *

قرأ الامير البرقية وأعقبهـا بقوله : على أى شيء يفاوضنا ؟ . . نحن والله ما جئنا لنشتغل في السياسة . . ! ؟

* * *

وفى اليوم الثانى كان عوني بك عبد الهادى يحمل رسالة من الامير متوجها بها الى القدس حيث قابل السر هربرت صموئيل « مقابلة رسمية » وعاد صباح الاثنين (١٤ مارس ١٩٢١) فحل ضيفا عليّ وبات تلك الليلة في خيمتي ، ولم يكتم انه سيحمل رسالة اخرى صباح الاربعاء الى مصر حيث يقابل المستر تشرشل وقد كان ذلك ولم أتمكن من الاطلاع على الرسالة .

* * *

وسافر بعد ظهر الجمعة (١٨ مارس ٩٢١) الاستاذ الشيخ كامل القصـاب الى مصر يحمل تفويضا باستحثاث السوريين فيها وحضهم على مؤازرة الحركة ، وقد عهد اليه الامير بمباحثة الاحزاب العربية فيها وأصحبه كتاباً هذا نصه بحروفه :

حضرات الافاضل أعضاء حزب الاتحاد السورى واحزاب الجالية السورية العربية بمصر حفظهم المولى

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد حملت اليكم الانباء ولا ريب خبر قدومى الى عمان الذى لم يبعثنى عليه غير رغبتى بتحرير البلاد السورية وانقاذها مما ألم بها وقد نشطنى جداً ما رأيته من الوطنيين الكرام هنـا وفى كل مكان مررت به من مظاهر الالتفاف حول هذه الحركة الثابتة الدعائم بمعونته تعالى .

ولا يداخلنى الشك فى أنكم ما زلتم فى طليعة الساعين وراء الغاية نفسها ، ويمكننى بهذه المناسبة أن أستفز حميتكم وأدعوكم الى واجب وطنى

أؤمل أن تلبوني اليه وهو بذل الجهد في سبيل هذه النهضة ومؤازرتها بمساعيكم الناجحة ان شاء الله ، وستعلمون من القادمين عليكم ما يؤكد لكم ثقتي بنشاطكم واعتمادي على همتكم . واقبلوا في الختام تحيتي والسلام .

عمان ٥ رجب ٣٣٩ (١٥ مارس ٩٢١)

« عبد الله »

* * *

ودعاني سموه يوم الجمعة (١١ مارس ١٩٢١) فجئته وعنده بعض من يثق بهم من الحجازيين ، فافتتح الحديث بذكر القضـية العربية وما عرض لها من تقلبات وأطوار ، وحصر الكلام بعد ذلك في قضية العراق وأن اهله بايعوا له (مشيراً الى منـاداة بعض أهل العراق به ملكا ، وهم في دمشق وهو في مكة يوم ٩ مارس ١٩٢٠) ثم اشار الى انه غير واثق من أن اخاه (الملك فيصلا) سـيقبل تاج العراق . . وأورد أدلة على انه هو صاحب عرش العراق الشرعي ، وأن من يتعرض له لا يكون الا غاصبا . . واخيرا قال وهو هائج : ألا تكتب لنا سلسلة مقالات في الموضوع يا خير الدين ؟ .

لم أدر بماذا أجيبه ، أأعده بالكتابة وفيصـل يقلّب تاج العراق بين يديه ؟ ام اعارضه وهو مسترسل في حدته واستشاطته ؟

موقف حرج ! أيكون في العراق مأمون وأمين آخران ؟ أنأتي الناس بأضحوكة جديدة هي تزاحم الاخوين على عرش لا يزال يصنع في معامل لوندرة ؟ .

خير لي ان لا أدخل المعترك ، وخير لي أن أخرج بالصمت عن لا ونعم ! فلا أتقيد بالوعد ، ولا أصدم التيار . . وقد استطعت ذلك .

* * *

كان الامير عبد الله قد كتب من « معان » الى رشيد بك طليع مدير الداخلية ثم والي حلب في عهد الحكومة العربية بالشام — يدعوه اليه ، فأجابه بأن بقاءه في جبل حوران يوحد الصفوف ويجمع الكلمة ويعرقل مساعي الافرنسيين افضل من ذهابه الى معان ، فأعاد الامير الطلب وأعاد رشيد بك الجواب مع عدد من الفرسان أوعز اليهم بأن يلتحقوا بسموه .

وبعـد أن انتقل الامير الى عمان كتب الى رشـيد بك يدعوه ، على أن يمكث أياما ثم له يعود إن لم تقض المصلحة ببقائه ، فلم يسع رشيد بك الا الموافقة ، فأقبل على عمان في جمع كبير من فرسان الجبل . واتفق وصوله يوم ٢٧ مارس (آذار) ٩٢١ والامير متهيىء للسفر الى القدس للاجتماع بالمستر ويستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية ، فطلب الامير الى رشيد بك ان يصحبه في رحلته هذه ، فأجاب بالقبول

* * *

وفي اليوم نفسه خرجت جماهير الناس من القدس لاستقبال الامير في أريحا[1] ، وضربوا له سرادقاً فخماً في مكان بينها وبين القدس . وأقبلت سيارة الامير ووراءها بضع سيارات كان فيها رشيد بك طليع واحمد بك مريود وامين بك التميمي وعوني بك عبد الهادي وغالب بك الشعلان

(١) قرية قديمة العهد ، كان لها شأن في اجيال النبوات الخالية . وهي اليوم عدة بيوت مبنية حول قلعة ، على نحو ١٥ ميلا من شرق القدس وستة أميال من غرب ضفة الاردن .

ومظهر بك الرسلان، وآخرون، فهتف الحشد للامير وللعرب وللاستقلال..
وكان الجمع مؤلفا من أعيان فلسطين ووجوه علمائها وخيار رجالها العاملين المعروفين باخلاصهم للقضية العربية الحقيقية وتفانيهم في سبيل الذود عن وطنهم العربي ، وتقدموا من الامير يدعونه الى التريث دقائق معدودات، غير أن الامير كف بصره عنهم ، وعدت به سيارته تسابق الريح لا تلوي على أحد ، حتى بلغت الطور وأنزلته ضيفا في دار المندوب السر هربرت صموئيل..

أما امتناع الامير عن التعريج على مستقبليه فقد ترك في النفوس أثراً غير حميد ، وتبين بعد ذلك أنه كان عملا باشارة وردت عليه من حكومة فلسطين التي كانت تخشى أن ينقلب الاستقبال الى مظاهرة عامة..

* * *

وزار القدس في ذلك اليوم المسيو روبير دي كاي وكيل المندوب الفرنسوي الأعلى في سورية ، لمفاوضة المستر تشرشل في أمور تتعلق بسورية وفلسطين وشرق الاردن . فضم قصر الطور أربعة لكل منهم شأن يعنيه ، هم الامير عبدالله ، والمستر تشرشل ، والمسيو دي كاي ، والسر صموئيل . وما اجتمع مثل هؤلاء إلا لأمر !

* * *

وبعد أن أتم تشرشل حديثه مع دي كاي أشار اليه مسكنا اضطرابه ، ثم ودعه وجلس في غرفته ينتظر دخول الامير عبدالله وقد حان الموعد .

* * *

خلا تشرشل بعبدالله ، ومع الاول سكرتيره ، ومع الثاني كاتبــه الخاص عوني بك عبدالهادي يترجم له مايقال . وافترق الوزير والأمير

بعد ساعة متفقين على كتمان مادار بينهما ، وخلاصته :

١ — أن تؤسس في شرق الاردن حكومة وطنيـة يرئسها الامير عبدالله .

٢ — أن تكون هذه الحـكومة مستقلة استقلالا اداريا تاما .

٣ — أن يساعد البريطانيون هذه الحكومة بما يكفي لنفقات قوة تستطيع توطيد الامن فيها .

٤ — أن تعمل هذه الحكومة مسترشدة برأي مندوب بريطاني يقيم في عاصمتها « عمان »

٥ — أن يتعهد الامير عبدالله بالمحافظة على حدود فلسطين وسورية من كل اعتداء بدوي أو حضري

٦ — أن يعتبر هذا المشروع (كتجربة) مدة ستة أشهر فان أُحسن تنفيذه استمر والا أعيد النظر فيه

٧ — أن يتعهد الامير بالمحافظة على مركزين للطيران تنشئهما الحكومة البريطانية في عمان والكرك

٨ — اقترح الامير مساعدة البريطانيين على تحسين العلائق بينه وبين السلطة الافرنسية في سورية فوعده تشرشل خيراً ..

* * *

هذه خلاصة ما نقل إليّ عن اتفـاق « تشرشل — عبد الله » في اجتماعهما بالقدس، وقد دارت مذاكرات ابتدائية في شؤون أخرى تناولت واردات الجمارك وحصة شرق الاردن منها ، فعهد المستر تشرشل باتمامها الى السر هربرت صموئيل

حكومة الثائر !

ظل الامير عبد الله محافظاً على كتمان نص «المعاهدة» بينه وبين وزير المستعمرات البريطاني المستر تشرشل، ولم يستطع أحد من رؤساء حكومته الذين تعاقبوا واحداً بعد آخر أن يطلع على موادها، حتى ذهب الاكثرون الى أنها كانت شفهية لم تكتب، ولكنه كان يحدث من شاء بشيء منها يمزجه بما يوافق هوى السامع ، ولولا ما كان يحرج موقفه في الأزمات الداخلية والخارجية مما يضطره الى تذكير حكومة فلسطين بوعود تشرشل ، لما عرف أحد منها إلا ما كان يرويه من متناقضات هو ابن بجدة اختراعها . .

* * *

خرج الامير من حضرة الوزير، وتهافت عليه من كان في القدس من أهل شرق الاردن وغيرها يسألونه عما انتجته المقابلة، فأجاب بعضهم بأن الانكليز تنازلوا له عن المنطقة.. واستأذنوه في أن يكون بين يديه واحد منهم يسمونه « مستشاراً » لسموه، فلم ير بأساً في قبوله . .

وأكد لبعض أهل الكرك بالقدس أن النتيجة باهرة وأن مستقبل البلاد زاهر بتحقق الآمال!

* * *

وجلس الامير بعد يوم واحد ، في الصلت، يحدث رشيد بك طليع بأن البريطانيين مستعدون لان يعضدوا القضية العربية بعد أن رأوا حلفاءهم الافرنسيين يتفقون مع الترك ، وأنهم — أي البريطانيين — سوف يسعون لاعادة سورية الداخلية حكومة مستقلة كما كانت في أيام

أخيه فيصل ، وأنهم طلبوا منه أن ينتظر ستة أشهر على الاكثر فان لم يتمكنوا في خلالها من إقناع الافرنسيين بما يريد ، لم يعارضوه في اقتحام سورية واعداد الوسائل لبلوغ الغاية ، وأن المستر تشرشل قد وافق بلسان حكومته على أن تكون منطقة شرق الاردن بلاداً مستقلة حرة يؤمها من أراد من رجال العرب الاحرار المحكوم عليهم من السلطة الافرنسية وغيرهم .
ثم طلب من رشيد بك أن يقوم بتأسيس حكومة في المنطقة بينما يتقدمون الى سورية ، فوافق على طلبه واشترط شرطين: الاول أن تكون الحكومة دستورية ذات مجلس نيابي ، والثاني أن يبقى حراً بالعمل في جبل حوران محافظة على الحالة الولائية التي كان قابضاً على ناصيتها ، فوافق الامير . .

* * *

وبعد إياب الامير عبدالله ومن معه الى عمان ، كلف رشيد بك رسمياً أن يؤسس له حكومته (الموقتة) وسماه « الكاتب الاداري» كما سمي أعضاء الحكومة «مشاورين» ورغب اليه أن يكون مظهر الرسلان في جملتهم..

* * *

وشمر رشيد بك طليع ، الكاتب الاداري للامير عبدالله رئيس حكومة شرق الاردن ، عن ساعد الجد ، فنظم الحكومة في أوائل شهر ابريل (نيسان) سنة ١٩٢١ تنظيماً كان أساسه الاقتصاد في النفقات بحيث لم يزد أكبر مرتب على أربعين جنيهاً في الشهر ولم يحدث من الوظائف إلا ما لابد منه لمصلحة البلاد ، مراعياً في ذلك (١) قلة واردات المنطقة (٢) تجنب إرهاق الاهالي بالضرائب (٣) الاستغناء عن طلب المساعدة المالية من الحكومة البريطانية (٤) الاحتفاظ بقسم من الواردات يرصد لتأليف قوة عسكرية وطنية تقوم في المستقبل مقام القوة التي وعد المستر

تشرشل بالانفاق عليها .

* * *

تأسست الحكومة الاولى فى عهد الامير عبد الله برئاسته ، وقوامها الآتية أسماءهم :

(١) رشيد بك طليع: الكاتب الادارى ورئيس مجلس المشاورين ووكيل مشاور الداخلية .

(٢) الامير شاكر بن زيد: نائب العشائر

(٣) احمد بك مريود : معاون نائب العشائر وأحد أعضاء مجلس المشاورين .

(٤) أمين بك التميمي : مشاور الداخلية ومتصرف لواء عجلون .

(٥) مظهر بك الرسلان : مشاور العدليـة والصحة والمعارف ، وعضو في مجلس المشاورين .

(٦) على خلقي بك : مشاور الامن والانضبـاط وعضو في مجلس المشاورين .

(٧) الشيخ محمد الخضر الشنقيطي : قاضى القضاة وعضو فى مجلس المشاورين

(٨) حسن بك الحكيم : مشاور المالية وعضو في مجلس المشاورين (وكان مقيما في مصر ، فدعي الى عمان ، فجاء)

رد الزيارة

— صموئيل في عمان —

للانكليز ولع بالمجاملات، وان تكن فارغة في ظاهرها، ولهم اسلوب خاص فى الصداقة والموالاة يحسنون به استثمارهما ، فان ابتسم الانكليزى لك فالله يعلم كم يستوفى منك ثمن ابتسامته ، وان زارك فقـدر كل خطوة من خطواته بما شئت من مال وعقار ، وبالغ ما استطعت فما أنت بواهم !

* * *

والسر هربرت صموئيل رقيق الحاشية ، لين الطبع — كما يصفـه بعض عارفيه — فكيف يزوره سمو الامير عبد الله ، نجل جلالة الملك حسين ، ويتقاعد هو عن رد الزيارة أو يبطىء بالقيام بهـذا الواجب ! خصوصاً بعد أن أصبح الامير جاره الادنى ، وحارس منطقته (فلسطين) وسيكون غداً صديقه الوفي وأحد عماله المخلصين ...

* * *

وقبل قيام السر صموئيل من القدس ، ببضعة أيام ، حلقت فى سماء عمان طيارتان ودارتا دورتهما اللولبيـة فانحدرتا ، فلم يرهما سمو الامير إلا رابضتين في مقره ، أمام سرادقه ، وكانت خيـام المقر قد نصبت في الرابية المسماة « مركة » المطلة على محطة عمان من الجهة الشرقية ، فتحدث الناس في أمر الطيارتين فقيل إنهمـا هدية من حكومة فلسطين ، وقيل زائرتان . . وقيل لخدمة الامير وحمل رسائله الى الكرك وعجلون بينما تربطهما أسلاك البرق بعمان، ولم يكن هناك من يدرى الحقيقة غير اثنين–

ظلا صامتين ـ أحدهما الامير عبدالله والثاني المستر « ابرامسون » المعتمد البريطانى الاعلى في مقاطعة شرق الاردن، وقد جاءها بعد الاتفاق الاخير

* * *

استطابت الطيارتان المناخ وأقبلت طيارتان أخريان ، وليس في الناس من يجسر على الاستريابة بهما أو السؤال عنهما ،وهما والسابقتان قيد ناظرى الامير وبين يديه، ولو كان فى وجود الطيارات الاربع بعمان ما يخالف قواعد الثورة (!) أو مقررات النهضة . . لما رضى عنها الامير ولبدأ بها ثورته فحطمها على أدمغة أصحابها . . !

* * *

واستقبل الامير عبد الله وحكومته ومستشاره البريطاني يوم ١٧ ابريل ٩٢١ (٩ شعبان ٣٣٩) زائرهم الكريم السرهربرت صموئيل المندوب البريطانى الاعلى في فلسطين ـــ وتوابعها ـــ يصحبه المستر ديدس سكرتيره المدني والكولونيل لورنس واللورد ادوارد هاي. فكان الاحتفاء عظيما دل على عناية الامير بأضيافه الفخام وكان السرور شاملا تعانق فيه الاحباب بعد طول غياب !!

* * *

وجلس القادمون في مضرب الاميرعبدالله ، برابية مركة ، يتحدثون الى بعض من كان هناك من أعضاء الحكومة الذين كانت صفتهم مشاورى سمو الأمير، ولم يمض على وصولهم نصف ساعة حتى نهض السرهربرت صموئيل والمستر ديدس (وهذا يحسن التركية كالامير) ونهض معهما الامير، فخرجوا من الخيمة يتسامرون في الهواء الطلق، ودام انفرادهم ـ أو خلوتهم ـ مدة ساعتين ، ثم عادوا بعد الغروب ، فتناولوا الطعام مع من حضر .

وبعد العشاء همس الأمير في أذن رشيد بك طليع (الكاتب الادارى) قائلا : ان المندوب سيلقي غداً خطبة يريد أن يحضرها جميع من في البلدة من رؤساء العشائر وسراة القوم وغيرهم . فأوجس رشيد بك خيفة وأبان للامير ان الخطبة قد تشتمل على مالا يوافق المصلحة فتغضب الرأي العام فتضطر الحكومة الى الرد عليها فلا تأتى بغير الشر ، فقال الامير : ولكننى وافقت .. قال : فنخلق سبباً يحول دون القائها ، فأبى . ثم اتفقا على طلب الاطلاع عليها قبل إلقائها، وطلبها الأمير من المندوب فوعده هذا بقراءتها عليهما في الصباح .

وأصبح اليوم الثانى فانفرد الامير برشيد بك والمندوب وديدس ، وقرئت الخطبة بينهم ، فاعترض رشيد بك على كثير من جملها وناقشه ديدس ، ثم وافق المندوب على حذف المعترض عليه ، فحذف .

* * *

وألقيت الخطبة بعد ذلك ، مهذبة مختصرة ، على ألوف ممن كانوا بعمان وفيهم كثير من رؤساء العشائر وشيوخها ، وأجابه الامير بما اقتضته المجاملة .. ونقلت شركة « روتر » الخطبتين بالتلغراف الى جميع أقطار الارض ، إلا أن خطبة المندوب نشرت بنصها الاول لم يحذف منها حرف واحد . . . !

* * *

خطبة المندوب السامي

— كما نقلها روتر —

عمان في ١٨ ابريل ٩٢١ — ألقى السر هربرت صموئيل المندوب السامي بفلسطين الخطبة التالية على بضعة آلاف من البدو أمام سرادق الامير عبدالله ، قال :

« كان من دواعي شرفي انى حظيت بمقابلة صاحب السمو الامير عبد الله بدار الحكومة في القدس بمناسبة زيارته لفلسطين كما حظيت بمقابلة المستر ونستون تشرشل أحد أعضاء الوزارة الانكليزية

« إن الحكومة البريطانية ترحب بالفرصة السانحة للتعاون فيما وراء نهر الاردن مع الامير عبد الله الذى لها في حسن نيته وصداقته كل ثقة . وهى تقدر قيمة الصداقة وحسن النية التى تجلت في خلال هذه الحرب الضروس التى دارت رحاها في كل هذه المدة الطويلة . وتعلم الحكومة البريطانية كما تقدر الخدمات التى قدمتها جيوش العرب في ذاك الكفاح وترغب في أن تتوطد في زمن السلم دعائم التحالف الذى بنى في خلال الحرب .

« يساعد الضباط البريطانيون منذ شهر اغسطس الماضي في ادارة شؤون البلدان الواقعة وراء نهر الاردن وسيواصلون العمل بصفتهم مستشارين بالنيابة عنى للامير عبد الله وموظفيه في انحاء البلاد المختلفة . وسيجد (الامير عبد الله) في المستر ابرامسون المندوب البريطاني الاكبر ضابطا ذا كفاءة وخبرة واسعة . والمستر ابرامسون ومن معه من الضباط في جميع انحاء المنطقة رجال يعطفون على السكان وعلى آداب اللغة العربية

وسيتمكنون من تقديم المساعدة على ترقية البلاد وإعلاء شأنها . وسيبذل كل مجهود لتقديم ما قد تحتاجون اليه ولجعل أسواق فلسطين مفتوحة لمحصولات بلادكم وحاجات السكان . وسندرس احوال سكان المدن والفلاحين ورجال القبائل على السواء بكل إمعان بقصد العمل لما فيه سعادتهم وعلى حسب حاجاتهم المتعددة . ولا ريب في أن حفظ النظام والامن العام من المسائل الجوهرية للوصول الى هذه الغاية . والآمال معقودة بان يحتفظ بقوة احتياطية أعظم كفاءة وقوة من الدرك للمحافظة على سلطة الامير عبدالله والحكومة المحلية . ويسرنا ان نحقق رغائب الامير عبد الله في إمداده — وقت الحاجة — بالطيارات وغير ذلك من المساعدة لاغراض محلية . وستفضى هذه الوسائل الى استتباب السكينة في المناطق، وفوق ذلك تساعد على اتخاذ التدابير اللازمة للضرب على أيدى كل من يعكر صفو السلام في الاماكن المجاورة في الغرب أو في الشمال . .

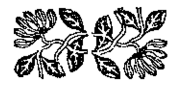
« وقد عولت الحكومة البريطانية على أن لا تكون البلدان الواقعة فيما وراء نهر الاردن مركزاً للعداء سواء ضد فلسطين أو سورية . .

« ويسرنا أن نعلم في تنفيذ هذا القرار أننا نستطيع الاعتماد على معاونة الامير عبد الله . ومن بواعث الارتياح العظيم لحكومة جلالة الملك أن تجد نفسها على وفاق تام مع ممثل للعرب فى العالم العربى . وما سياستنا فيما وراء الاردن ووجودى اليوم بصفتى ممثلا لجلالة الملك جورج إلا دليلان آخران على صدق هذا التحالف ومتانته .

« فأرجو أن تتخذ الآن الوسائل التى ترفع هذه البلاد الى مستوى من الرخاء والفلاح لا يقل عن مستوى البلدان المجاورة أو عما كانت عليه فى الازمنة السابقة . »

فرد الامير عبد الله قائلا :

« أشكر فخامتكم على خطتكم القويمة وأقول بالاصالة عن نفسي و بالنيابة عن الحاضرين انى واثق من ان الامة العربية ستبرهن على أنها قادرة على تحقيق الآمال التي وضعت فيها وأنها جديرة بكل ما تساعدهم فيه حليفتهم الكبرى . وأدعو الله تعالى ان يحفظ الملك جورج والملك حسينا وأن يديم سعادتهما ... »



اخبار

بعد ظهر ١٨ نيسان (ابريل) ٩٢١ طار الكولونيل لورنس و پيك بك في طيارتين ، فذهبا مشرّقين حتى الازرق وتجاوزاه قليلا ، لمعرفة الطريق التي تؤدى الى بغداد ..

* * *

في ٢٠ و ٢١ و ٢٢ نيسان ٩٢١ قرر مجلس المشاورين جعل إربد «لواء» و كانت «قضاء» وسافر اليها متصرفها امين بك التميمى . وألحقت بها جرش.

قبل نبيه بك العظمة تعيينه قائم مقام لعمان ولكنه لم يلبث أن استقال بعد أيام

عين رشيد بك المدفعي متصرفاً للصلت ، وكان قبل ذلك حاكما عسكرياً لمنطقة عمان في عهد الحكومة السورية العربية .

أراد الانكليز أن يجعلوا في المنطقة أربعة معتمدين يرئسهم أحدهم، فاعترضهم رشيد بك طليع، وبعد جدال اكتفوا باثنين أحدهما ابرامسون والثانى مفتش الدرك بيك .

وفد على المنطقة كثيرون في جملتهم قائم المقام العسكرى رشدى بك الصفدي .

* * *

في ٢٧ نيسان ٩٢١ : قرر مجلس المشاورين أن يكون اسمه « الهيأة المركزية » وأصدر قانونين أحدهما يبين أعمال أعضائه ويجعل رئيسه « الكاتب الادارى » مسؤولا أمام الامير ، ومرجعاً للمشاورين جميعاً .

والثاني في تسع مواد خلاصتها : تتألف مقاطعة شرق الاردن من ثلاثة ألوية (متصرفيات) الاولى الصلت ، والثانيـة الكرك ، والثالثة إربد، ويكون للمتصرفين ما للولاة من السلطة .

* * *

فاجأنا يوم ٣٠ ابريل ٩٢١ (٢٢ شعبان ٣٣٩) خبر مقتل الشيخ مشهور الفايز شيخ مشايخ عرب الصخور فتألمنا ، واليك تفصيل الحادث نقلا عن رسالة بعثت بها الى جريدة الاهرام ونشرت في ٩ مايو ١٩٢١

قبائل الصخور (أو بنو صخر) أمنع عشائر شرق الاردن جانباً ، تخرج نحو ثلاثة آلاف مقاتل مسلح ، منازلها في جنوب عمان وتمتد شرقا وغربا ، زعامتها لبطن منها هو المعروف بالفايز ، ومن بطونهـا المطيرات ويجاورهم بنو حميدة. وقد انجب فرع الفايز شاباً هو الشيخ « مشهور » ورث زعامة الصخور عن أبيه ونشأ موصوفا بالشجاعة وكرم الاخلاق ، ولعله المتعلم الوحيد في قبيلته ، وولع بالمطالعة بعد ان تلقى دروسه الاولية في مدرسة دمشق الاعدادية وامتاز بالذكاء فاشتهر قبل بلوغه العشرين من سنيه .

واتفق أن عهدت حكومة الامير الى الشيخ مشهور بجمع اسلاب كان المطيرات قد انتهبوها من بعض أهالى مادبا وأصحبته بقوة ، فلما بلغ المطيرات اتجه إلى مضرب الناهب المدعو « فناطل » فخرج اليه مسلحاً فانتهره مشهور وأمره بالقاء بندقيته ، فأبى ، وخرجت عروس فناطل وقد هاج عزة نفسها طلب مشهور من زوجها القاء سلاحه ، وهذا من أشد

أنواع الذل في العرب ، فزغردت تثير حمية زوجها، فلم يكن من فناطل إلا أن أفرغ بندقيته فى صدر مشهور فخر صريعاً ، وبادر عبد كان مع مشهور إلى بندقيته فرمى فناطل فقتله فى الحال ، ثم قتل العبد وانصرفت القوة ، ولجأ المطيرات بعد ذلك الى بنى حميدة فأجاروهم وتفاقم الشر الى أن حسمه تدخل الحكومة، وجلا المطيرات عن المنطقة على أن يعودوا بعد مدة

أما الحادث فى ذاته فما يقع كثيراً بين سكان البادية ، ولكنْ الذى يؤسف له هو خسارة ذلك الشاب المتقد وطنية ونباهة الذى كان يؤمل منه خير كثير في تحويل مجرى البداوة بين عشائره ، اذ شرع بارسال بعض أقاربه الصغار الاسنان الى مدارس القـدس وغيرها وكان يفكر بوجوب نشر التعليم بين القبائل،فقتل قبل أن يتجاوز الحادية والعشرين عليه الرحمة .

ألقاب مملكة ..

قل للعفاة اذا انتحوه خسئتمُ   عودوا بخيبتكم على الأعقابِ
إن الأمير أبا طلالٍ سيدٌ   منع الهباتِ وجادَ بالالقابِ !

أصبح الامير عبد الله رئيس حكومة، وكثر المتقربون منه والمزدلفون اليه، ورأى أن باباً كان قد فتحه وهو زعيم الثورة (١) في «معان» لا يمكنه إغلاقه وهو رئيس الحكومة في عمان.. ذلك هو باب الرتب والالقاب التي أخذت بعد ذلك تقوم عند الامير مقام العطايا والهبات، ولعله بعد أن رأى شغف المتهالكين عليها بها ندم على الفروة التي كان قد خلعها على الشاعر البدوي الشيخ محمد المعايطة وودّ لو أنعم عليه برتبة باشا أو فريق !

وكان من طليعة الفائزين بالالقاب في معان سعيد أغا خير رئيس بلدية عمان، كوفىء برتبة «باشا» على اتفاقه مع سائق قاطرة جاءت الى عمان من قاطرات السكة الحجازية (فرع الشام) وقد زحف بها السائق الى الجنوب ليسيرها الامير بين معان والمدينة. وكان ذلك من أسباب امتناع فرع الشام عن تسيير القطارات بين درعا وعمان

* * *

وبعد أن استقر بالامير المقام في عمان أمطر قاصديه وابلا من تلك النعمة، وتفنن في اختيار أنواع الرتب والالقاب، فمنح هـذا رتبة قائم مقام، وذاك رتبة قائد، وذلك رتبة زعيم، واليك أسماء طائفة ممن ازدانت صدورهم بشارات الرتب في مدة عامين أو أقل، وأكثرها فخرية :

الفائزون بلقب «باشا» وأكثرهم فخريون

العدد	الاسم	الرتبة	العدد	الاسم	الرتبة
١	أسد بك الاطرش	أميرلواء	٢١	سلامه المعايطه	أميرلواء
٢	سعيد أغا خير	»	٢٢	صالح العوران	»
٣	سلطان العدوان	فريق	٢٣	المحيسن	»
٤	برجي بك الاطرش	أميرلواء	٢٤	راشد الخزاعي	»
٥	كريم بن فارس المجالي	»	٢٥	عبد العزيز الكايد	»
٦	عطوى المجالي	»	٢٦	على الكايد	»
٧	حسين بك الطراونه	»	٢٧	سالم الهنداوى	»
٨	سلامه المعايطه	»	٢٨	فواز العلي	»
٩	نايف المجالي	»	٢٩	سعيد العلي	»
١٠	ميرزا بك الجركسي	»	٣٠	على الجركسي	»
١١	سليم مرار	»	٣١	هليل بن هرماس	»
١٢	محمد الحسين	»	٣٢	حامد الشراري	»
١٣	نمر	»	٣٣	غالب بك الشعلان	»
١٤	اسماعيل السالم	»	٣٤	حامد بك الوادي	»
١٥	صالح العيد	»	٣٥	رشدى بك الصفدي	»
١٦	سعيد أبو جابر	»	٣٦	رشيد بك المدفعي	»
١٧	فلاح الحمد	»	٣٧	مظهر بك الرسلان	»
١٨	سعيد العلي	»	٣٨	سعد الدين شاتيلا	»
١٩	ماجد العدوان	»	٣٩	رمضان بك شلاش	»
٢٠	مثقال الفايز	»	٤٠	بيك بك	»

الفائزون برتبة زعيم (امير ألاى) الفخرية :

١ — عبد الله بن خلف
٢ — شلاش بن فارس
٣ — زعل بك المجالي
٤ — دليوان المجالي
٥ — عطا الله السحيمات
٦ — عيسى المدانات
٧ — فايز المجالي
٨ — موسى المعايطه
٩ — اسماعيل صالح المجالى
١٠ — سالم محمد الطراونه
١١ — عودة القسوس
١٢ — جاد الله القطان

الفائزون برتبة قائم مقام الفخرية:

١ — مخاييل الصناع
٢ — على الطريره
٣ — عطوه الحباش
٤ — عطا الله الطراونه
٥ — عبد العزيز الصمور
٦ — سليمان العرود
٧ — مصطفى المبيض
٨ — موسى المعايطه
٩ — سليم المعايطه
١٠ — هويشل الشوارب
١١ — عبد الله العكشه
١٢ — عبد الحميد المجالي
١٣ — محمد القطاونة
١٤ — ابراهيم القسوس
١٥ — اسماعيل ذياب المجالي
١٦ — على خلاف الطراونه
١٧ — سليم السماعين
١٨ — ثلجي المجالي

الفائزون برتبة قائد (بيكباشي) الفخرية :

١ — يوسف بك الاطرش
٢ — تركي بك عامر
٣ — يحيي بك كيوان
٤ — عبد الله الشمايلي
٥ — نايف المجالي
٦ — موسى خليل المعاني
٧ — مترى الزريقات
٨ — خليل المدانات
٩ — جاد الله الصناع
١٠ — يوسف المعاني
١١ — عتيق بن طاعة
١٢ — الياس موسى الصناع

الفائزون برتبة رئيس (يوز باشى) الفخرية :

١ — غازي الشمايلي
٢ — محمد العسيلى
٣ — احمد الصموبى
٤ — حسن حسنى الشركسي
٥ — عيسى الحدادين
٦ — عبدالله العشي

حول الالقاب

ملاحظات وخواطر

لا يكفي أن يعلم القارىء اسماء جماعة ممن وجهت اليهم الرتب وفازوا بالالقاب ، بل اراه يطمح الى معرفة ما وراء ذلك ، وكأنى به يسألني : أليس لبعض هؤلاء الذين ملأت صفحتين من كتابك بقوائم اسمائهم الكريمة ، من حديث نتخذه قياسا ، أو خبر ينقلنا من ضجر النظر فى جداول لامعنى لها..؟ فاليه الحديث:

المعروف من أسباب منح الالقاب فى كل حكومة هو خدمة يقوم بها الممنوح ، أو مقدرة يبرزها ، أو زمن يقضيه . أما سمو الامير عبدالله فمبتكر مخترع ، ومن كان يسمي سعيه لرئاسة حكومة صغيرة — كشرق الاردن — ثورة وحركة وقياما الخ ، أيصعب عليه أن يجد وسيلة يبتكر بها أسبابا لمنح الرتب والالقاب لم يسبقه اليها سابق ؟ بل إنه على ذلك لقدير ، وما هو عليه بكثير !

أسباب منح الالقاب عند سموه ينحصر معظمها في اربعة :

١ — الارضاء ، كأن يسكت ناقما ، أو يسترضي عاتبا ، أو يستميل معرضا ..

٢ — المواساة ، كأن يجبر خاطراً ، أو يعزي منكوبا ، أو يعوض علي مصاب ..

٣ — الهدايا ، ولهذه كل الشأن عنده !

٤ — الخطأ : كأن يسبقه لسانه الى تلقيب رجل ، فيثبت اللقب وتصدر الارادة..

* * *

جلست يوما أنظر في عملي — وكنت رئيسا لديوان رئيس المستشارين — فبدا لي ظل رجل يحاول دخول الغرفة ويمنعه الخادم ، فاستدعيته فدخل ، فاذا هو من فلاحي البدو ، حافي القدمين ، في رأسه خرقة ممزقة ، وعليه رمة عباءة ، قد تمنطق فوقها بحبل، فسألته عن حاجته فمد يده الى الخرقة التي في رأسه فحل عقدة منها واخرج ورقة تناولتها منه فكانت من مقر الامير وفيها أن يسافر حاملها « هليّل بن هرماس » الى معان مجانا — على حساب الحكومة — لفقره . .

وما أتممت قراءتها حتى اقترب مني يهمس فى أذنى قائلا بلهجة تشهد ببلادة لا حد لها : « يسيدى .. هسع تجيك الباشية » يريد : ياسيدي الآن تأتيك رتبة الباشا .. فظننته يدعو لي ! . . وأشرت اليه أن يخرج فينتظر ورقته ، فخرج وجلس على عتبة الباب ، وعدت الى عملي ..

وحانت مني التفاتة الى الباب ، فرأيته يراقبني من شقوقه ، ثم رأيته يدفع الباب بحيلة ورفق ، حتى استطاع الدخول ، فجاءني يدلف (يخطو خطوة ويقف)

قلت : مالك ؟ فقال ببلادته : يسيدى .. شحذني سجاره ! فألقيت اليه سيكارة . فتناولها . وقال : يسيدي .. كبريته ! فناولته كبريتاً فعاد الي مقره . .

ولم يمض والله اكثر من ربع ساعة حتى كان بريد « المقر » قد أقبل وفي جملة ما يحمل بلاغ من كاتب ديوان الامير هذا نصه : —

صاحب الفخامة رئيس مجلس المستشارين الموقر

صدرت ارادة صاحب السمو الملكي سيدي ومولاي المفدي بالانعام على حضرة الشيخ هليل بن هرماس من مشايخ معان برتبة أمير اللواء الفخرية (باشا) فتفضلوا بابلاغه ذلك تنفيذاً للارادة المطاعة

واقبلوا فائق الاحترام .   (الامضاء) !!!

* * *

غالب بك الشعلان قائم مقام عسكرى ، رقاه الامير في معان الى رتبة زعيم (أمير ألاي) وبعد مدة قصيرة كان غالب في أربد وكيلا لمتصرفها . وجاءها الامير بحاشيته على أثر حادثة ، يصحبه بعض الوجوه وفي جملتهم رفيفان باشا المجالي وميرزا باشا الشركسي

ووقف غالب بك على تل اربد يستعرض جندها ، فتدخل رجل من هجانة الامير ، اسمه محماس بن دخيل العقيلي ، فزجره غالب ، فلم يزدجر ، فأراد ابعاده فلم ير إلا خيزرانة محماس في رأسه .. !

وبلغ الامير أن محماساً ضرب غالباً ، فتظاهر بالغضب ، وأمر بالقبض على الضارب الاثيم .. وبعد ساعتين كان الامير يقول أمام رفيفان المجالي : عجباً أمحماس بن دخيل ، بؤبؤ عيني ، يفعل هذا ؟!! فارتفع صوت رفيفان باشا بالرجاء من سمو الامير أن يخلي سبيل محماس ، و قبل الامير توسطه شاكراً ، فانطلق محماس ، ومضى رسول الى غالب بك يدعوه الى حضرة الامير ، فجاء مسرعاً ، فتلقاه الامير ببشاشته قائلا بالتركية : تبريك ايده رم باشا أولدك .. (أبارك لك صرتَ باشا !) ....

* * *

أكثر الامير من منح أهل الكرك لقب امارة اللواء (باشا) فعتب أهل الصلت ، فطلب أحدهم واستملاه أسماء جماعة منهم ، فسمى من مر بخاطره ، وصدرت الارادة المطاعة — كما يسمونها — باضافة لقب باشا الى أسمائهم .. وكان في جملتهم جاب في مالية السلط راتبه ثماني مئة قرش اسمه اسماعيل السالم، فقال الناس جرّت اسماعيل القافية ...!

* * *

وعلى ذكر أهل الصلت ومنحهم تلك النعمة السابغة ، أذكر أنه كان في جملة المرشحين للباشوية موظف من موظفي العدلية في عمان ، شعر بالخطر .. قبل وقوعه ، فهرول الى المقر يسأل سمو الامير أن يستره بتحويل الرتبة الى زيادة جنيهين في راتبه الذي كان عشرة جنيهات ...!

* * *

ولم يتناقل الناس سبب لقب ، كما تناقلوا قصة مظهر بك الرسلان ، وكيف لايكون ذلك والرتبة جاءت بالعصا !

وافق الريح مظهراً ، في وقت ، فأصبح رئيساً لمجلس المشاورين — وسيأتي تفصيل ذلك — وبينما هو جالس يوما يتمتع بكرسي الرئاسة اذا بفتى من فتيان الامير ، اسمه محمد الشهرى العسبلي، قد أرخى ذوائبه وأحسن كسوته وتمايل يختال إعجابا بمكانته عند أمير البلاد ، دخل عليه يفاتحه في أمر ..

وما كان من عادة مظهر بك أن يشارّ أو ينازع ، ولكن العسبلي غضب ، لبادرة فرطت من مظهر ، فجلله بالعصا .. وصاح مظهر، فأقبل من في ديوانه من كتاب وحجاب وخدمة وجند ، فكادت العصا تأخذ حظها من جلودهم ..

وخرج العسبلى فحدث سمو الامير بما فعل ، ولا أعلم ما كان هناك ، ولكني أعلم أن مظهراً تلقى البشرى على أثر الحادث من الامير بأنه سيكون لقبه «صاحب الفخامة مظهر بك الرسلان» وأعلم أيضاً بأن العسبلى أحنقه ابتهاج الامير مع مظهر خطة الارضاء ، فصدرت الارادة بمنح العسبلى رتبة رئيس (يوزباشى) ثم عززها بثانية جعلته قائداً (بيكباشى) على أن يتناول مشاهرة هذه الرتبة ويدخل اسمه فى ديوان الضباط العسكريين وإن لم يكن ضابطا .

ولم يلبث مظهر ان أصبح « صاحب الفخامة » ثم رأى الامير، بعد أن أضاف الى العسبلى رتبة ، أن يضيف الى مظهر مثلها، فصدرت الارادة بمنحه رتبة « امير اللواء » الفخرية وصار « باشا » وقال أحدهم :

وقالوا مظهر قد صار « باشا » ... وكان من « الفخامة » فى اعتزاز
فقلت : وليس من عجب فانى ... أرى الالقاب معيار المخازى !

* * *

وفى قائمة الباشوات اسم « سليم مرار » وهو من اهالى « مادبا » كان خادما للمرحوم الشيخ فواز الفايز من مشايخ بني صخر، وفاز بالرتبة فى وقت لم يكن يأمل فيه أكثر من نجاته .. واليك البيان :

بينما الامير ذاهب يوما بعقره الى « مادبا » بلغه ان سليما قد أهان قائم مقامها (المرحوم ابراهيم ابوالهدى) فحنق الامير وأمر بسجن سليم والتفت الى قائم المقام قائلا بازورار واشمخرار : أين كان مسدسك ؟ !

حدث ذلك قبل الظهر ، ولم ينته الامير من صلاة العصر إلا وسليم مقبل يجر وراءه مهرة حديدية ، فعجب الناس لانطلاقه وتقدم فقبل يد الامير وأشار الى الفرس .. فقال الامير : طيب ! خذها ياصالح ! فأخذها

صالح (من عبيد الامير) . . وبعد أيام صدرت الارادة (المطاعة) بمنح سليم مرار رتبة امير لواء (باشا) .. واصبح يقيد اسمه فى فنادق القدس «سليم باشا مرار جنرال في الجيش العربي » !

* * *

وضاقت ذات يد الامير يوم ١٩ أيار (مايس) ٩٢٣ فعمد الى صندوق الحكومة ، فرآه أفرغ من جيبه ، فتلفت يمنة ويسرة فدُل على شاب قدم حديثاً من بيروت اسمه سعدالدين شاتيلا يقول انه يحمل لقب « باشا » من الحكومة التركية ، فدعاه سمو الامير واستدناه منه ، ثم اقترض منه مئتين وخمسين جنيها ، وصدر مرسوم الديوان الاميرى بما نصه :

« بالنظر لما لسعادة سعدالدين « باشا » من الخدمات فقد صدرت الارادة المطاعة بالانعام عليه برتبة « باشا » .. » الخ

وفي اليوم الثانى كان الناس يدعونه بالباشا المثنّى !

* * *

وعلى ذكر الالقاب وقصص أصحابها لا أرى بأساً بأن أسوق القصة الآتية :

دعا الاميرعبد الله ، يوماً، أحد مرافقيه سعيد بك الكلاك ، فأمره بأن يتولى تسفير جماعة من الحجازيين سماهم له ، فأطاع

وبعد أيام كان سعيد بك في السويس (بمصر) يرافق الراحلين ، وتناول مأمور الجوازات المصرى جوازاتهم فلم يشأ أحدهم — واسمه عبد الله العشى، وكان من طهاة الامير — أن ينتظر بضع دقائق، فاقتحم غرفة المأمور واحتج على تأخيره ..

نظر المأمور المصرى الى الطاهي المحتج فرأى شبه انسان، على رأسه خمار أسود كالعمامة ، مرتديا سترة عسكرية لونها « كاكى » وتحتها سروال من الخام الازرق ، وفي رجليه خفان حجازيان بلا جوارب ، فقال له : وانت إيه يعني بتزعق كده ؟ ! — فأجابه : أنظر الى الجواز تعرف أنى ضابط في الجيش الحجازي ورتبتى رئيس (يوزباشى) . . فترك المأمور عمله وقام من وراء منضدته وأقبل على صاحبنا يطيل اليه النظر ، تصويبا وتصعيداً ، ثم قال: يا سلام ! كلكم كده ؟ ! !

* * *

وعلى سبيل الفكاهة أروى للقارىء نكتـة « يوسف باشا » وقد تداولها الانكليز قبل العرب :

قال پيك باشا للأمير عادل أرسلان — وهما على مائدة الملك حسين بعمان وحول جلالته نحو عشرين باشا — : من فضلك أعطنى ليمونة يوسف افنـدى . فأجابه الامير عادل : ومايدريك أنه لم يصر « باشا » بعد أن دخل شرق الاردن ؟ فضحك پيك ومن فهم الحديث . وبعد أيام كان وزير خارجية الحجاز على مائدة المندوب السامي بالقدس فتقدم منه مرافق المندوب معتذراً بقوله : لاتؤاخذنا فما عندنا يوسف باشا ...!

* * *

وفي أحد « الباشوات » بشرق الاردن يقول الفكه :

رأيت بجـانب الاردنّ شيخاً	عريض الذقن ينتفش انتفاشا !
فقلت له ، وقد ماثت شقاء :	أمستك الشقاوة ، قال : حاشا !
فقلت : أما ترى الاجناد فرت	وقد حُرمت من الرزق المعاشا ؟

ألست ترى الادارة كيف باتت	مقلقلة كأن بها ارتعاشا ؟
ألست ترى المذلة كيف أمست	بوجه القوم تنتقش انتقـاشا ؟
ألم تشهد فتى السكسون ينهي	ويأمر وهو يزداد انتعاشا ؟
ألم تعلم بأن الامر فوضى	وأن الشرَّ بين ذويك جاشا ؟
ألم تبصر لحـــاف الحر أضحى	يباع هنا وقد باع الفراشا ؟
فقال : نعم أرى هذا ، ولكن	ألم يبلغك أني صرت باشا .. ؟!!

رحلتان صغيرتان

الاولى

تهيأ لي في شهر مارس (١٩٢١) أن أقوم برحلة صغيرة من عمان ، إلى جرش ، إلى الحصن ، إلى إربد ، إلى وادي العفر ، إلى قرية كفر أسد ، إلى قرية مخربا ، إلى جسر المجامع . ومنه في القطار إلى حيفا ، فطول كرم ، فحيفا ، فيافا فالقدس ، ثم في عجلة خيل (عربة) إلى الصلت ، فعمان

ولا أحب أن أورد هنا ما يمل القارىء من وصف سهول وجبال وخرائب وتلال ربما يأتي ذكرها في بعض المناسبات ، وانما اكتفي بشذرات قيدتها في مذكراتي لعلها لا تخلو من فائدة أو نكتة :

كان رفقتي في بدء هذه الرحلة ثلاثة جمعتني وإياهم المعرفة ووحدة الطريق إلى أربد ، وهم : (١) علي آغا زلفو (من أعيان الاكراد في صالحية دمشق) — (٢) شكري القهوجي : كان فاتكا صوالا ، وتحولت وجهته إلى مناوأة الافرنسيين والتعرض لمخافرهم (وهو أحد المتهمين برمي الجنرال غورو بالرصاص في حادثة القنيطرة) — (٤) شريف شاهين ، وهو الذي كان يسميه الافرنسيون في بلاغاتهم الرسمية « الشريف شاهين » وقد أقلقهم في جهات بعلبك وحوران وغيرهما وله قصص ونوادر ، وكان يرتجل الزجل الشامي المعروف « با لعتابا » وهو أيضا من المتهمين بالتعرض للجنرال غورو في أرض القنيطرة

* * *

بينما نحن في منتصف الطريق بين عمان وجرش لاحت لنا عين ماء ، فترجلنا وجلسنا ، وأقبل أربعة خيالة من الجراكسة فنزلوا على مقربة منا ، وجعل أحدهم يحادثنا فلم أشك بادىء بدء في انه جركسي : شاب أبيض اللون ، يضرب شعره إلى الشقرة ، في رأسه كوفية وعقال ، وفي لغته شيء من العجمة . وبعد حديث عرفت انه المعتمد البريطاني في جرش واسمه « منتون » !

* * *

بين جرش والحصن احراج جميلة ، وبعد جرش بنحو سبعة كيلو مترات شجرة كبيرة تظل أكثر من مائة انسان يسمونها « شجرة المنوّى » تقام تحتها أفراح الكثيرين من أهل تلك البقعة ويقصدونها للزيارة والتبرك !

* * *

كان شكري القهوجي قد تخلف في جرش ، وبقينا ثلاثة . وكان شريف شاهين يأبى الا سلوك المجاهل ، وهو بها عليم ، وبينما نحن في سيرنا اذا به قد حدّق ببصره ، وقال : انظرا . . فنظرنا فلم نر شيئاً . فقال : هناك في تلك الرابية خيال رآنا فانحدر إلى منعطف واد لا بد لنا من سلوكه أجارنا الله من شره ، فقلنا : وأجاره من شرك !

وبعد مسير نصف ساعة هبطنا الوادي ، وقاربنا المنعطف ، فقال شريف : تمهلا ولا تتدخلا في الامر ، وركض جواده فسبقنا قليلا ، ونحن على أثره . وعطفنا فرأينا منظراً كان يحسن بي تصويره لو أجيد التصوير : صدق شريف ، فقد كمن لنا ذلك الخيال وترجل فربط عنان فرسه في يسراه واتكأ على قطعة من الصخر فصوب بندقيته وأقام ينتظر الواردين . . . !

وتخيل شريف موقف خصمه ، قبل أن يراه ، فصوب بندقيته الى المكمن ، وأغار بفرسه ، فلم نر إلا بندقيـة شريف فى صدر الكامن، ويد هذا ترتجف ببندقيته ، وما وسعنا إلا أن نتوسط بالعفو عنه ، فصاح بنا شريف : ابتعدا ، فهذه فرس حلال ! فقلنـا ما أقبح أن يقال غداً إننا سلبنا رجلا فرسه . . وبعد جدال عنيف مع شريف أشار الينا بالابتعاد راضيافابتعدنا ، وأمره بالقـاء بندقيته فألقاها ، ولحق بنا شريف صاخبا من تدخلنا ! !

* * *

ولاحت لنا بعد الخروج من قرية « الحصن » ذرى « حرمون » الشيخ وقد علاها الثلج ، فأذكرتنا الشام وما كنا لننساها !

* * *

خرجت من اربد يصحبنى دركى (خيال جندرمه) وبعد اختراق وادي العفر وعدة من القرى ، بلغنـا ناحية « كفر أسد » والمسافة بينها وبين اربد نحو اثنى عشر كيلو متراً ، وهناك جبن الدركى ، وقد قيل له ان الطريق الى جسر المجامع غير مأمونة .. فأصحبنى مدير الناحية بخياليين آخرين من الدرك ، ومررنا ليلا بقرية « مخربا » فبتنا فيها، وعاد الدركيان بعد أن تطوع مختارها واسمه موسى برافقتي الى جسر المجامع . وانحدرنا فى الصباح الى منبسط الغور فمررنا ببناء فيه خمس قباب قيل لي ان فيها قبر معاذ بن جبل وابنـه سليمان . . وحول البناء أراض مزروعة يؤخذ عشر ما تنتجه لخدمة القبر وهي وقف له .

الثانية

أبلغني مشاور المعارف يوم ٢ مايو (أيار) ٩٢١ أن الارادة « المطاعة » صدرت بتعييني مفتشاً المعارف في المنطقة ، فقبلت العمل بعد أن وافق رئيس المشاورين على أن تكون لى سلطة مدير (ولم يكن للمعارف مدير يومئذ) واشترطت شروطا لا محل هنـا لذكرها . واضطررت أن أجول فى المنطقة جولة أعرف بها حال كتاتيبها !

ولعل القاريء يضحك اذا عرف أن مقاطعة شرق الاردن لم يكن فيها غير ٢٣ مدرسة ابتدائية خلا اثنتين ثانويتين ، ولا تزيد حصة المعارف السنوية على ستة آلاف جنيه !

والى القاريء احصاء لما كانت عليه المدارس يومئذ :

المرتب الشهري جنيه	الوظيفة	العدد	المجموع جنيه
١٠	معلم	٢	٢٠
٩	»	٣	٢٧
٨	»	٨	٦٤
٧	»	٣٣	٢٣١
٦	»	٥	٣٠
٤	»	١	٤
٥	»	١	٥
١٠	معلمة	١	١٠
٨	»	٣	٢٤

المرتب الشهرى	الوظيفة	العدد	المجموع
جنيه			جنيه
٦	معلمة	١	٦
٥	«	١	٥
٣	خادم	٢	٦
٢	«	١٠	٢٠
٢	خادمة	٣	٦
			٤٥٨

ويضاف الى المجموع ٤٢ جنيها في الشهر، نفقات متفرقة ، فيكون المجموع الشهرى خمسمئة جنيه .. وهى تنفق في غير هذه البقاع على مدرسة ابتدائية واحدة ..

* * *

أما هذه الرحلة الصغيرة (الثانية) فكانت في ١٩ مايو ٩٢١ (١١ شعبان ٣٣٩) مررت فيها بقرى وادي السير ، وناعور، وخربة النابلسي، ومادبا، ثم عدت الى ناعور فوادى السير فقرية صويلح فالصلت ، ومنها الى عمان فبلغتها يوم ٢٧ مايو

* * *

وادي السير — بكسر السين المشددة — قرية نظيفة جميلة في واد خصيب ، تبعد عن عمان مسافة ٧ كيلو مترات الى الشرق فيها نحو ٢٥٠ بيتاً وا كثر سكانها من شراكسة القفقاس . نزلوا بها وعمروها حوالى سنة ١٣٠٠ هـ ونشبت بينهم وبين مجاوريهم من البدو معارك وملاحم انتهت باطمئنانهم في قريتهم

لم أجتمع بأحد من شراكسة وادى السير إلا حدثني بقصص من وقائعهم مع « عبّاد » أقرب العشائر منهم . وبينما كان بعضهم يطرفني بشوارد من تلك الانباء دخل أحدهم منهمكاً، فسألته ، فقص علي أن بدويا كان منذ اثنتي عشرة سنة قد دل شركسيا من قريتهم على عنز له ضاعت ، واشترط ان يأخذ منه ريالا مجيديا ، ولما وجد الشركسي العنز لم يكن معه غير نصف مجيدي وخاتم فضة فدفعها اليه على أن يقابله في القرية فيعطيه الخاتم ويأخذ منه نصف المجيدي الباقي له . قال المحدث : واليوم أصبح صاحبنا (الشركسي) فرأى عباديا قد ساق حماراً له وانصرف ، فخرج يقفو أثره وتبعه بعض اخوانه فالتقوا بالعبادى واحتدم الجدال وكاد الخرق يتسع لولا أن أسرع أحد العقلاء فسأل العبادي عن سبب عمله، فقال : لي حق قديم ! فقيل : ما هو ، فأخبرهم بقصة نصف المجيدي ، فدفعوه اليه، ووهبوه الخاتم، وعادوا بالحمار !

* * *

وقال لي آخر في نكتة : رحم الله آباءنا ، لقد تركوا للبدو حقوقاً كثيرة نفيها نحن عنهم !

* * *

وكان أهل وادى السير يعنون بالحياكة حتى ان احدهم واسمه الشيخ موسى — وهو من تلاميذ الازهر — أخبرني أن أمه كانت تنسج له كل ما على جسده قبل عشرين عاماً

* * *

وأما ناعور فمن أطيب تلك البقاع مناخاً ، بينها وبين وادى السير مسيرة ساعتين . فيها نحو ١٢٠ داراً ، وهى محلتان متقابلتان : شرقية

يسكنها المسلمون — وكلهم شراكسة — وغربية تسكنها عوائل مسيحية . عمرانها حديث يرجع الى نحو عشرين سنة خلت . وأول من نزلها من الشراكسة الخص بك وهو شيخ طاعن في السن مهيب الطلعة لا يعرف غير الشركسية ، كان أحد أبنائه الانجاب يترجم بيني وبينه . وفي بيته عرفت أنه والد زوجة الامير شكيب أرسلان أعلم الباحثين في شؤون الشرق الاسلامي اليوم .

* * *

ومادبا أو (ميدبا) بليدة عامرة أكثر سكانها مسيحيون . ولآثارها القديمة شأن سأتكلم عنه في فصل آثار المنطقة .

* * *

زرت ، وقائم مقامها، أحد أهاليها المسمى يوسف معايي . وقد أنعم عليه الامير برتبة قائد (بيكباشي) الفخرية ، فأخذت أرقب موقفه مع مهنئيه الذين توافدوا عليه بأكواب الحلوى ويشاركونه في سروره ، فنبهني قائم المقام الى رجل طاعن في السن لابس لباس البدو وينطق بلهجتهم وهو من أهل مادبا — أقبل على « القائد » يهنئه برتبتـه فأجابه هذا : « عقبال عندك .. ! » وسمعت رجلا يهنئه قائلا : «عقبال ما نهنيك بالبشوية !» فبش في وجهه والتفت الينا وهو يقول : بهمة رجال حكومتنا !

* * *

وفي صباح اليوم الثاني كان أحد الذين هنأوا المعايي يشي لي فيـه ، ويطعن في إخلاصه . . ويقول : كيف يقـدر هذا أن يقود أهل مادبا ؟ فضحكت وأفهمته أن الرتبة الفخرية غير مايتوهم . .

* * *

أما « صويلح » فغاية في جودة المناخ وعـذوبة الماء وطيب الهواء ، وهي على طريق السائر بين عمان والصلت ، أهلهـا شراكس وشاشـان وبيوتها نحو مئتين منها ١٢٠ للشاشان والبقية للشركس . وفي الناس من يسمي الفريقين شراكسة على أن بينهما فروقاً كثيرة في اللغة والعادات والمذهب ، فلغة هؤلاء غير لغة أولئك ، والشاشان شافعيه والشراكس أحناف ، والشاشان يتشددون في حجاب البكر ويتساهلون في حجـاب المتزوجة خلافاً للشراكسة .

* * *

وعلى ذكر الشركس، أذكر من غرائب آدابهم أن الأب وابنـه وحفيده لا يجتمعون في مكان واحد . نبهني الى هذا انني خرجت ساعة مع عبد المجيد افندي ابن الخص بك — في ناعور — نتنزه ، ولما عدنا كان الخص بك جالساً وعلى يده طفل ، فما كاد يرانا حتى نهض متواريا عنا، فعجبت لانصرافه فقيل لي إن الطفل هو ابن عبـد المجيد افنـدي وعبد المجيد ابن الخص والثلاثة لا يجمعهم مكان ، ولو ظل الخص بك وحفيده في مكانهما لقفل رفيقك — عبد المجيد — راجعا ملتمساً العذر لمفارقته إياك اضطراراً .. !

* * *

ومثل هذا ماعرفته من أن آدابهم تمنع اجتماع الأب وبنته وصهره في مكان واحد، وتمنع جلوس المرأة مع زوجها على مائدة واحدة. ولا ريب في ان مصدر هذا كله الاستحياء .

* * *

وجرى حـديث فى الصلت عن البـداة وطرائق النجـاة من شر المعتدين منهم ، فكثر المتكلمون ، وكانوا جماعة ، فلخصت حديثهم الطريف بما يأتى :

يمر السالك في البادية بالاعرابي ، فينظر الاعرابي اليه نظرة الطامع به الوازن نفسه ، هل يستطيع سلبه أم هناك ما يمنعـه ؟ فان رجح له الاول اعترضه وإلا تأوه ولوى وجهه، وفى نفسه أن غنيمة عرضت له وفاتت ا.

ولا يخلو سالك البادية من أن يكون احد ثلاثة : (١) اما عزيز الجانب (٢) أو في قوته ضعف (٣) أو ضعيفاً بادى الانحلال

فان كنت الاول فلك أن تجرى فى الارض مرحاً ، وعليك أن تسلم على من تلقاه فى طريقك وإذا نزلت حياً من أحياء العرب أو قرية من القرى فتصدر المجلس تأمر وتنـهى واطلب ممن أنت نازل عنده كل ما تحتاج اليه فان المضيف الذى يسمونه (معزّب) يلبيك مسرعا ويرى الشرف فى خدمتك .

وان كنت الثانى فاتبع النصائح الآتية :

١ً — لا تسلم على أحد فى طريقك مالم يبـدأك بالسلام فذلك أدعى للرهبة

٢ً — إهمز جوادك لتظهر عليه علائم النشاط والقـدرة على الكر والفر .. فانهم ان استضعفوا دابتك طمعوا بك .

٣ً — لا تكثر من التلفت يميناً ويساراً وخلفاً ، فانهم يشعرون بأنك خائف فيعترضونك

٤ً — كن جهورى الصوت إذا تكلمت مع أى كان .

٥ً — لا تكن منفرداً

٦ً — اذا لقيت أناساً فتشاغل بالحديث مع رفيقك أو رفيقيك

٧ً — اذا لاح لك عن بعد أناس فضع بندقيتك أمامك كالمتهيء للشر

٨ً — اذا نزلت حياً أو قرية فلاطف المضيف (المعزّب) ولا تكثر من كلامك .

وان كنت الثالث فخير لك أن تسالم من ترى فتسلم على الذاهب والآيب وتكثر من النزول في خيام العرب لتكسب مودتهم وان اعترضك أحد بشر فلاطفه ولا تتعنت وأولى بك أن تلقي اليـه بما يطلب فذلك أحفظ لحياتك ...



لواء الكرك

— بيان رسمي عام وضعته قيادة القوة السيارة —

وقدمت نسخة منه للحكومة سنة ١٩٢٢

لم أجد في ما كتب حديثاً عن « الكرك » بحثاً أو في أو إحصاء أمتع من هذا البيان الذي اشترك في وضعه ضباط « القوة السيارة » الوطنيون ، بعد أن اطالوا المكث في ذلك « اللواء » ودرسوا الموضوع حق دراسته ، وليتهم أضافوا اليه بيانين آخرين احدهما عن لواء البلقاء (الصلت وعمان واطرافهما) والثاني عن لواء عجلون (اربد وعجلون ومايليهما) فاو فعلوا لخدموا تاريخ المنطقة الحاضر خدمة لاتنسى . وقدظفرت بنسخه من هذا البيان مطبوعة على الآلة الكاتبة «التايبرايتر» فاحتفظت بها الى أن حان وقت نشرها :

أهالى هذا اللواء تغلب عليهم طبائع العرب الرحالة ، ولذلك فهم يمضون أيامهم وسنيهم تحت بيوت الشعر في الوقت الذى يمكنهم فيه بناء البيوت الحجرية ، غير انهم لايخرجون في الشتاء الى البادية بل يبقون في داخل أنحاء اللواء .

ومن عربان هذا اللواء الرحالة قسم من بنى عطية وقسم من الحجايا الذين أخذوا في الاقتداء بأهل اللواء يفلحون ويزرعون كغيث بن هداية شيخ الحجايا المقيم في قرية المحي .

ومن أشهر قبائل الكرك وعشائره : الطراونة والمعايطة والمجالى والحباشنة والضمور والمبيضين والنصارى والصرايرة والصعوب والنوايسة والقطاونة والشمايلة والعبيد والاغاوات والجلامدة والمحادين والمداحة والذنيبات . ولهـذه العشائر أملاك وأراضى فى القصبة وفي الخارج . ويتبعهم أهل القرى كالبرارشة وقريتهم كثرباء والبطوش بقرية خنزيرة ، والعراقيه في قرية العراق .

أما الخرشة والنعيمات والحجايا فهم يعتاشون من الماشية . وأما بنو عطية ، وقسم من الحجايا الرحل الذين يشتون في البادية ويصيفون في لواء الكرك فهم يعتاشون كبقية العشائر الرحل .

ومن ملحقات الكرك في السابق بنو عطية وبنو حميدة وقضاء الطفيلة ومعان ، وكان يلحقها قضاء العقبة من الوجهة العسكرية .

طبائعهم : — يغلب على الزعماء من رؤساء هذه البلاد حب الرياسة (الارستوقراطية) والتحكم ، ونظرهم الى مال غيرهم بنظر الاستحلال خصوصاً الضعفاء منهم . ولايخلون من خصائل حميدة كاكرام الضيف والمحافظة على الجار . غير انهم لايرحمون قوة عسكرية سلمت لهم بعد الحرب ولايبقون على جند سلم لهم عن ضعف . يحبون ركوب الخيل ولهم اعتناء زائد في تربيتها والمحافظة على أنسابها .

الطراونة : —

أتت هذه العشيرة منـذ نيف ومئة سنة من جهات وادى موسى وخيمت في وادى الحسا على مقربة من الكرك وسميت بهذا الاسم لان رئيسها كان يدعى (الطرو) ومن الثابت ان هذه العشيرة هى فرع من عشائر النعيم فصلت عنها حين نزوح تلك العشائر من نجد .

أنسابها : — تنقسم عشيرة الطراونة الى أربعة أفخاذ ، يرأس كل فخذ أو فرع منها مختار ينتخب بأكثرية الآراء غير أن لهذه الفروع أجمع شيخ مشايخ تتصل به هذه الرياسة بالارث خلفا عن سلف .

حدودها : — يحد أراضي هذه العشيرة من الجنوب وادي الحسا ، ومن الغرب قرية كثربا والبرارشة والغوارنة ، ومن الشرق الحماد والخط الحديدي وقسم من الحجايا ، ومن الشمال المبيضون والضمور والصرايرة

نفوسها : — تخرج هذه العشيرة عند الحاجة من ٢٠٠ الى ٢٥٠ خيالا ومن ٤٠٠ الى ٥٠٠ راجل ثلثاهم مسلحون ببنادق المانية وثلث ببنادق تركية وأنكليزية .

ماؤها : — يشربون من آبار « قرية سيدنا جعفر » وأم الزباير ، وقرية رجم الصخرى ، ومن آبار قرية نجل وكل هذه القرى تبعد عن الكرك من ٣ — ٤ ساعات . ويشتد عليهم الظمأ حين الحاجة فيشربون من عين زقوقة وعين المقيمر اللتين تبعدان عن سيدنا جعفر مسيرة ساعة ونصف الى الجنوب ويشرب بعضهم من نهر العراق ومن سبيل الحسا .

قلنا أن هذه العشيرة تنقسم الى أربعة فروع وهي:

(١) أولاد جبرائيل مختارهم سالم بن محمد ، وهم يخيمون صيفا باراضي سيدنا جعفر التي تبعد عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات الى الجنوب الشرقي ، ويخيمون أيضا في جوار قرية أم الزباير وينتقلون منها مع بقية أقسام العشيرة الى قرية رجم الصخرى والدليقة وأم حماط ، وتبعد هذه القرى كلها عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات. ويدخرون في هذه القرى حبوبهم مع ابقار الحراثة والحراثين وينزحون في الشتاء الى جوار الفريفرة والمنزل خوفا على مواشيهم من البرد القارص وحرصا على الماء . وعند هذا

الفرع من العشيرة ما ينوف عن ثمانين رأس خيل يركبونها لرد الغارات من عربان البادية وذلك عند الحاجة

(٢) أولاد جبران — مختارهم عتيق بن طاعة ، وهو المنافس الوحيد لحسين باشا الطراونة في القسم الشرقي والجنوبي ، غير أن منافسته لا شأن لها اذا اشتد الخطب .

(٣) عشيرة الطراونة الجامعية — مختارهم على بن خلف وعدد منازلهم ٤٠ داراً .

(٤) أولاد عودة — وعدد منازلهم ٣٠ داراً

ثم إن هذه الفروع تشترك مع الفرع الاول في المنازل وموارد الماء في الصيف والشتاء . أما مناسبات هذه الفروع بعضها مع بعض فحسنة جداً . ولهم تعلق بزعيمهم حسين باشا وقلما تنافس رؤساء هذه الفروع تنافس بقية العشائر . وموقعهم يجعلهم بارتباط شديد بعضهم مع بعض ، وذلك لوجودهم في وجه غارات عربان البادية من الحويطات وبنى عطية والشرارات والحجايا وغيرهم من العربان . وكذلك تجدهم يعتنون بالخيل والسلاح اعتناء زائداً

ماليتهم : — تعد عشيرة الطراونة في الدرجة الاولى من حيث الغنى بين قبائل الكرك ، وذلك لكثرة مواشيها واتساع أراضيها وانحصار همّ أفرادها في الاعمال الحيوية المشروعة . وهم أطوع عشائر الكرك للدولة المالكة وأكثرهم أبنية ، وربما كان ذلك نتيجة سعى زعيمهم

وأشهر قراهم سيدنا جعفر ومؤته وأم الزباير . وعلاقتهم مع مجاوريهم كأهل الطفيلة وغيرها من القرى حسنة وقلما تعدوا على مال غيرهم. وهي القبيلة الوحيدة التي ترأس القسم الجنوبي في مقاومة القسم الشمالي كما جاء في السابق

المجالي : — يقدر عدد بيوتهم من مئة الى مئة وثلاثين داراً وعدد نفوسهم من ٦٠٠ الى ٨٠٠ منهم مئة وخمسون خيالة ومئة راجل والبقية إناث وعجز ، وهم اكثر القبائل نزقا .

وزعامة هذا اللواء تنحصر في هذه القبيلة منذ نيف ومئة سنة غير أن أمرهم أخذ في الضعف لتعدد الزعماء منهم وكثرة مطامعهم (الارستوقراطية) وانقسامهم

يدعي المجالي أن أصلهم من تميم نجد نزحوا منها الى الخليل وتولوا أوقافه ثم أن جدهم المدعو « مجلي » أو « جلال » كان يأتي هذه البلاد لجمع الاموال لمقام سيدنا الخليل . ونظرا لسذاجة أهالي البلاد وكثرة حروبهم مع بني حميدة وقبائل العمر (حكام الكرك الاولين) بدأوا يعتقدون في الشيخ جلال الولاية والكرامة حتى انهم كانوا يفوضون اليه الامر في حل معضلات الامور .

ومن ذلك الوقت استفحل أمر أولاد مجلي في البلاد وأبرزوا كل شجاعة في حروبهم مع بقية العشائر الى أن أدى بهم الحال لرئاسة اللواء . وقد ظهر منهم رجال أشتهروا بالحزم والدراية ، منهم محمد أبو وقيفان ونخص بالذكر قدر المجالي المشهور بتصلبه في الرأي والمحبة لجنسيته .

تنقسم هذه العشيرة الى قسمين : (١) اليوسف (٢) السلمان

فرقة اليوسف ـ عدد منازلهم ستون داراً . وعندهم من الخيل ستون رأساً . يخيمون في الصيف بجوار قرية الربا التي تبعد عن الكرك ثلاث ساعات الى الشمال ويستقون من آبارها المتجمعة ومن نهر المغيسل الذي يبعد عن الربا مسيرة ساعتين الى الشمال الغربي . وفي الشتاء يخيمون في أرض الحاكية والغويطة البعيدتين عن الكرك مسافة

خمس ساعات الى الشمال الشرقي . وماليتهم تعد من الطبقة الاولى ومختارهم اسماعيل بن صالح . ومن رجالهم رفيفان باشا واخوانه دليوان رئيس البلدية وفريوان مدير ناحية العراق . والشيخ عطوى شيخ مشايخ اللواء ، وزعل بك وغيرهم من الرؤساء .

فرقة السلمان ـ مختارهم فائز بن درويش ، لا يزيدون عن الفرقة الاولى في عدد منازلهم ، يخيمون في الصيف بجوار قرية القصر البعيدة عن الكرك مسيرة اربع ساعات الى الشمال ، وعند فقدان ماء المطر يقصدون نهر المغيسل ، وفي الشتاء يخيمون في أرض البالوع البعيدة عن الكرك خمس ساعات الى الشرق الشمالي ، ويشربون في بعض الاحيان من نهر البالوع ومن الصهاريج والآبار الملأى من ماء السماء . ومن رؤسائهم نايف وشلاش مدير ناحية الحاكية وممدوح عضو محكمة الاستئناف

والاختلاف دائم بين هاتين العشيرتين بسبب الطمع وحب الرياسة .

والفرقتان ثقيلتا الوطأة على بقية عشائر الكرك بسبب مبادئهم الارستقراطية ويوجد بين رفيفان من جهة وعطوى وأخيه اسماعيل من جهة اخرى برودة أساسها موت الشيخ قدر (وهو اخو عطوى) في السجن أي في دمشق على عهد الدولة التركية سنة ١٩١٤ حيث اتهم رفيفان بأنه حض جمال باشا على حبس الشيخ قدر . والمحبوب بين أهالي اللواء هو الشيخ دليوان المختص بفصل دعاوى الدم .

أموال المجالي : وغناهم يعد من الدرجة الاولى بين عشائر الكرك .

عشائر المعايطة : ـ

أكثر عشائر الكرك عدداً وهم أقرب الى البداوة منهم الى الحضارة يقضون أكثر فصول سنتهم تحت بيوت الشعر . وهم أهل غنم وبقرة

منقسمون الى أربعة أقسام يرأس كل قسم منهم مختار ويتبع الجميع الشيخ سلامة المعايطة ومنازل عشائر المعايطة ينيف عددها على مئةوثلاثين داراً، وعدد خيلهم لا يتجاوز السبعين ، وا كثرهم مشاة يقدرون بخمس مئةمسلح وزيادة . ماليتهم من الدرجة الثانية بعد الطراونة والمجالي

(١)قسم الزقايلة : ــ فرقة الزقايلة عدد منازلها أربعون داراً ، وخيلها عشرون . تخيم شتاء في ارض القبيات التي تبعد عن الكرك اربع ساعات الى الشرق . أما في الصيف فانهم يأوون الى مساكنهم في قرية « ادر » التي تبعد ساعتين عن الكرك ، ويستقون من آبار « أدر » ومن ماء اللجون الجارى

(٢) فرقة أولاد مطاق:ــ يرأسها سليم بن احمد المعايطة . عدد منازلهم ٣٥ وخيلهم ١٢ يخيمون في الشتاء مع فرقة الزقايلة بأرض القبيات ، وفي الصيف يشتركون في المنازل أيضا مع الزقايلة في قرية أدر التي هي مقر فلاحتهم وزراعتهم . وكانوا قبل خمس سنوات عشيرة واحدة، وفي زمن والد سلامه باشا الشيخ يوسف. غير انه منذ وفاة الاخير وتساهل سلامه افترقت عنه هذه العشيرة

(٣) : عشيرة الرشايد والمعايطة — يرأسها الشيخ موسى بن ساهر ، المنافس لسلامه باشا برياسة العشيرة . ولا يخلوموسى المذكور من نزعات تجره اليها مطامعه الاشعبية كاتباعه لخليل المدانات وسواه. وهم عادة يسكنون في الشتاء في ارض تسمى « البويرة » وفي أرض تسمى وادي الصوان ويصيفون في قرية بتير التى تبعد عن الكرك ثلاث ساعات الى الشمال الغربى ، وهذه القرية بردها قارص شديد . ويستقون حين قلة الماء من نهر المغيسل .

(٤) : عشيرة عيال خليل ــ يرأسها الشيخ احمد بن سالم . وهم فخذان أيضا : قسم منهم ساكن مع جماعة موسى بن ساهر. والثانى مقيم بوادي الكرك الذى هو على طريق الغور ، ويقال لهم « العبيد » يسكنون قرية « مسكة » والعبيد يستقون من عين مسكة التى هى في داخل القرية وعدد بيوتهم (١٥) وخيلهم (١١)

أحوالهم : قلنا ان المعايطة هم أقرب الى البداوة منهم الى الحضارة . وهم أكثر العشائر عدداً يميلون الى السلب والنهب ، ولذا تجد زعماء الكرك يتقربون منهم ومن مشايخهم ليكونوا آلة في أيديهم كيف شاؤوا . ولرفيفان باشا ميل عظيم لجلب سلامه باشا الى جهته كما ان عطوي باشا يسعى لاستمالة موسى بن ساهر لحزبه .

سلامه باشا : هو زعيم عشيرة الطراونة في الظاهر ، سليم القلب ، يميل حيث اتجهت القوة ، وهو أطوع لرفيفان باشا من بنانه ، غير أن منافسة موسى وعواد ولدي ساهر المعايطة له في رياسة العشيرة تجعله يطيع الحكومة طاعة عمياء ، وهما أغنى المعايطة وأكرمهم. والمعايطة كغيرهم من العشائر أتوا من جهات الطفيلة لكثرة سلبهم ونهبهم في الزمان الغابر.

الصرايرة : —

يضاهون المجالي بكثرة نفوسهم وهم من حيث تقسيمات الكرك العامة يتبعون القسم الشرقي أو الجنوبي بوجه التقريب، منهم مجاورون للطراونة في حلهم وارتحالهم . لا زعيم لهذه العشيرة، غير أن أمورها كلها مفوضة الى حسين باشا الطراونة. وعدد منازلهم من ١٨٥ الى ١٩٠ داراً . ويتراوح

عدد نفوسهم بين ٦٠٠ و ٧٠٠ نفس وعندهم من الخيل ٧٢ رأساً ويقدر عـدد رجالهم المسلحين بنحو ٣٥٠ منهـم ١٠٠ خيال والبقية مشاة يحملون أثقـالهم كبقية عشائر الكرك على ظهور البغال وقلما يعتنون بتربية الجمال . يدفعون للحكومة سنويا عن أموالهم وأعشارهم وأغنامهم مبلغ ٥٠٠ جنيه ، وهو مقدار قليل بنسبة غنامهم ومواشيهم

وتنقسم عشيرة الصرايرة الى ثلاثة أقسام يرئس كل قسم مختار كبقية الافخاذ والاقسام وهم :

(١) فرقة أولاد داود — مختارهم علي بن يحيى وعدد منازلهم ٨٠ داراً وعندهم من الخيل ٣٠ رأسا . وهم من أغنى بقية أفخاذ الصرايرة يخيمون في الصيف على مقربة من قرية مؤتة (المشهورة في وقعتهـا الاسلاميـة) التي تبعد عن الكرك ثلاث ساعات الى الجنوب الشرقي ويستقون من آبارها المجتمعة من ماء الشتاء ، وفي الشتاء يشتركون بالسكن مع الطراونة

(٢) أولاد علي — مختـارهم سلامة بن ابراهيم وعدد منازلهم أيضا ٨٠ داراً وعنـدهم من الخيول ٣٠ رأسا ، يخيمون صيفا بالقرب من قرية « سول » التي تبعد عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات الى الجنوب ، وفي الشتاء ينزحون الى محاذاة الخـط الحـديدي شرقا حيث يرعون مواشيهم .

(٣) أولاد عقيل — مختارهم صالح بن مرزوق وعدد منازلهم ٢٥ داراً وعنـدهم من الخيل ١٢ رأسا ، يخيمون في الصيف بقرب قرية « الدويخلة » التي تبعد عن الكرك ٤ ساعات الى الجنوب ، وفي الشتاء يخيمون بوادي الحسا الذي يبعد عن الكرك مسيرة خمس ساعات ونصف

وهم يستقون من مائه . وهم أضعف الافخاذ المار ذكرها .

ان أفراد هذه العشيرة يعـاملون بعضهم معاملة اشتراكية ، ولهم معاملات حسنة مع مجاوريهم من القبائل ، إذ لا مطمع لهم بغير الاشتغال في تحسين فلاحتهم ورعي مواشيهـم ، وقد بينا سابقا ان هذه العشيرة لا تقتني الجمال كبقية العشائر التي تفضل اقتناء البغال عليها لوعورة البلاد وشدة بردها .

النصارى — هم كغيرهم من القبائل ينقسمون الى أقسام متعددة ، وهم أقرب الى المدنية من بقية العشائر المتوطنة في الكرك ، غير أنهم لا يختلفون عنهم في المأكل والملبس والعادات ، ويشتغل اكثرهم بالتجارة والفلاحة . والمسيحيون على العموم تقريبا يسكنون بيوت الحجر الا القليل الذين يذهبون لرعي أغنامهم ومواشيهم في وقت الربيع .

ومن قرى المسيحيين قرية حمود السماكية وادر وعليان والربا .

تقسيماتهم المذهبية : — النصارى في الكرك ينقسمون الى روم ارثوذكس وهم الاكثر عددا ولاتين وهم الاقل وأكثرهم روم شرقيون . ولا يخلو اللاتين من نزعات وأميال الى الجنس اللاتيني .

عدد بيوتهم ونفوسهم : — تقدر منازل جميع المسيحيين بـ ٢٢٠ داراً تحتوي على ٢٠٠٠ ونيف من النفوس . منهم ما ينوف عن ٦٠٠ مسلح ، وعدد خيلهم قليل وهم لا يخرجون أكثر من خمسين خيالا

تقسيماتهم من حيث الافخاذ : —

تنقسم عشائر النصارى (في الكرك) إلى سبع فرق ، وهي :

(١) هلسة عدد منازلها ٨٥

(٢) الحدادين ١٥ دارا

(٣) المدانات ١٥ داراً

(٤) الصناع ١٢ دارا

(٥) الزريقات ١٥ داراً

(٦) البقاعين ٢٣ داراً

(٧) الحجازيين ٥٤ داراً

الهلسة : — اتى جد هذه العشيرة من مصر قبل مئة وخمسين سنة مع أخوين له فراراً من مظالم أصابتهم. وهذه الفرقة أكثر فرق النصارى عدداً واغناها ، يرئسها عوده بك القسوس، كلهم روم يتبعون بطريركية القدس، ويسكنون قصبة الكرك نفسها الا قسما منهم يسكن قرية حمود التي تبعد مسيرة ثلاث ساعات عن الكرك الى الشمال الشرقي ، ويقضون فصلي الصيف والشتاء في مواقعهم ،ويرسلون أغنامهم الى جوار قرية حمود والسماكية .

الحدادين : — أقدم من عشيرة الهلسة في الكرك ، كانوا قبلا أصحاب الكلمة النافذة ،غير ان تعديات العربان المتوالية في السابق أضعفتهم ، وآخر مصيبة دهمتهم هي خراب قريتهم عليان قبل ثلاث سنوات. عدد منازلهم ١٥ داراً مذهبهم روم ، وقيل ان الحدادين نزحوا من جبل لبنان ولنهم من بيت الحداد

المدانات : — أصل هذه العشيرة من بقايا غساسنة حوران عدد منازلها ١٥ داراً. مذهبها روم مختارها خليل المدانات الذي لا يخلو من نزعات وميول سياسية .

عشيرة البقاعين : — أصلها من البقاع العزيز . مختارها عوده الابراهيم . منازلها ١٣ يسكن قسم منها في قرية أدر وقسم فى نفس القصبة مذهبها روم ، ويخرج أحيانا بعض أفرادها لرعى مواشيه بجوار السماكية والجون .

الزريقات : مختارها مترى بك الزريقات ، بيوتها (١٥) تسكن في قرية الربا ونفس الكرك ، ومن المذكور ان أصلها من « بصرى اسكي شام » من الزريقات الموجودين هناك . مذهبها روم

عشيرتا الحجازيين والعكشة . — يسكنون قرية السماكية. مذهبهم لاتين يتبعون كنيسة روما البابوية . ويسكن قسم منهم قصبة الكرك . مختارهم حنا افندي الزيادين . كان معظم رؤسائهم الروحيين يشتغلون في أمور السياسة اكثر من اشتغالهم فى امور الدين ، ولاسيما الخورى باسكال الذي استبدل به أخيراً راعي الطائفة الحالي الخورى جبرائيل ، وهذا حسن السيرة محبوب فى رعيته . وعدد منازلهم ٥٤ داراً . والحجازيين قيل انهم نزحوا من الحجاز قبل مدة ، والاغلب انهم من بقايا الصليبيين الاول

الصناع : — يتبعهم المسنات وعائلة العزيزات وهم ١٢ داراً ، يسكنون فى الكرك ويشتغلون في التجارة اكثر من بقية الافخاذ . ومنهم عائلة العزيزات التى ساعدت جيش خالد بن الوليد حين محاصرة « مؤتة المشهورة » .

أحوال المسيحيين : — النصارى في اكثر الاوقات ميالون لمعاضد الدولة المالكة يعاضدونها بكل مالديهم من الوسائل. وأما أعمال الافراد القلائل ونزعاتهم اللاتينية فقد عاشوا منذ القديم مع اخوانهم بقية عشائر

الكرك المسلمة بكل حب وولاء ، وقد أصيبوا في بعض الاوقات باضطهادات لا تتجاوز سلب الاموال . وهم لا يفرقون بعاداتهم وأخلاقهم وملابسهم عن بقية العشائر .

العمر : —

أقدم عشائر الكرك واعرقهـا نسباً . يدعون أنهم من بني عقبة ، وأنهم من المحافظين على الكعبة قبل الاسلام . وتختلف الروايات عن كيفية مجيئهم الى هذه البـلاد ، والاغلب أن دخولهم كان في عصر الفتوحات الاسلاميـة . حكموا الكرك مدة طويلة ، غير ان كثرة مظالمهم ونفرة الاهالي منهم اضعفت أمرهم حتى تعوقت سائر العشائر عليهم وذبح منهم أناس كثيرون في حروبهم مع عشائر الكرك

عدد بيوتهم ٩٠ داراً وتقدر نفوسهم المسلحة بنحو ٢٠٠ راجل و ٣٠ خيـالا ، وهم منقسمون الى خمس فرق ، يعود أمر الجميع للشيخ سالم بن هارون ، ولكل فرقة مختار كما هي العادة . وإليك أقسامهم :

(١) فرقة الرواملة — عدد بيوتها ٦٠ داراً . نفوسهم المسلحة ١٨٠ منهم ١٢ خيالا . يسكنون صيفاوشتاء في القسم الشمالي من نهر البالوع في شمال الكرك . مختارهم سالم بن هارون واليه تعود رئاسة بقية الفرق

(٢) الشلالمة والجرادات : عددبيوتهم ١٥ ورجالهم المسلحة ٤٠ منهم ١٠ خيالة . مختارهم حسين الشلالمة . يسكنون الجهة الشماليـة من وادي ابن حماد ولا يفارقون هذه المنازل صيفاً ولا شتاء

(٣) الفوائدة — عدد منازلهم ٨ ورجالهم المسلحة ١٠ مشاة و ٤ خيالة . مختارهم وادي الفوائدة : منازلهم قرب مخفر الموجب وبقرب نهر البالوع عند الزوامله .

(٤) الغشاشمة — مختارهم رشـيد الغشاشمة . عدد منازلهم ٤ رجالهم المسلحة ١٠ منهم خيال واحد و ٤ مشاة .

(٥) اللصايمة — عدد منازلهم ٥ ورجالهم ٨ ينزلون عند الحباشنة بقرية راكين .

أحوالهم جميعاً : تغلب على طباعهم العادات البدوية ولايخلون من نزعات قديمة ، ولذلك فانهم ينظرون الى عشيرة المجالي بنظر العـداوة لاغتصابهم رئاسة البلاد منهم .

العمر : أراضيهم محلولة. وهم أشبه بالعرب الرحالة ، يدعي عطوى باشا شيخ المشايخ ان الارض التي يفلحونها له، والحكومة السـابقة (التركية) والفيصلية أيضاً عدت أراضيهم أراضى أميرية مشاعة . وقد استحصلوا على ارادة في الزمن الفيصلي باعفائهم من رسوم الاعشار فقط .

ولا يبعد إن أصابهم ضيق شديد أن يفروا الى جهة بني حميـدة . والرأي أن تستعمل معهم الحكمة المقرونة بالشدة العادلة .

والفرقة الشاغبة الآن [1] هي فرقة الجرادات والشلالمة ، وهي بعيدة في منازلها عن بقيه الفرق ، وعدد نفوسها المسلحة لايتجاوز الاربعين ، يسكنون ضفة وادي ابن حماد الشمالية .

المواجدة : — يسكنون في القسم الفوقاني من قرية العراق التي تبعد عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات ونصف . ويسكن القسم التحتاني من القرية جماعة الحطيبات واليتمة والخطبة . ولادخل لهم في فرقة المواجدة . منازلهم نحو ٣٠ داراً . ولايتجاوز عـدد المسلحين منهم ٨٠ رجلا مهنتهم الفلاحة والزراعة ، يسكنون في قريتهم «العراق» صيفاً وشتاء

(١) أي وقت كتابة هذا التقرير وذلك في خلال سنة ١٩٢٢ م

العراق : إحدى القرى التابعة لناحية كثربا . في سنة ١٣٢٦ مالية
كان أهل هذه القرية في سنة ١٣٢٦ أول من تعدى على القوة التركية وقتلوا
مدير الناحية والضابط وذبحوا عشرين جندياً، مما حدا بالاتراك أن يستعملوا
الشدة معهم حتى انهم قتلوا منهم ما ينوف على السبعين من أهالى قرية
العراق نفسها أكثرهم من فرقة المواجدة . وفي زمن الحكومة الفيصلية
أيضا امتنعوا عن دفع الاموال حتى اضطر زكي بك قائد قوة الكرك أن
يسوق عليهم قوة مع مدفع جبلي .

مختار المواجدة : عطا الله بن مسلم المواجدة . وهم مع عنادهم هذا
محكومون بطبيعتهم لعشيرة المجالى التى تستوفي منهم « الخاوة » حسب
عادة العربان. والمواجدة منذ القديم يقطنون في قريتهم هذه، وبجوارها
حيثما يخرجون لرعي أغنامهم . وقد قتل الترك زعيمهم مسلم المواجدة
لتمرده فى الحادثة المشهورة سنة ٢٦ مالية .

والمواجدة قسمان (١) فرقة عبد بن محمد و (٢) فرقة عطا الله بن
مسلم. والفرقتان يرأسهما عطا الله بن مسلم. والمواجدة يدعون ان أصلهم
من بنى حسن القاطنين بقضاء عمان وعجلون

القطاونة : —

من عشائر الكرك الثانوية، عدد منازلها ٥٥ داراً . وعدد رجالها
المسلحة ينيف على ١٣٠ منهم ٣١ خيالا والبقية مشاة . أما تشكيلاتهم
البدوية فتثبت ادعاءهم القائل بأن أصلهم من عربان « قطية » الضاربة فى
صحراء سيناء ولذلك لقبوا بالقطاونة نسبة لبلدتهم الاصلية قطية .
ينحازون بنسبة تحزبات لواء الكرك الى القسم الجنوبي والشرقي وتعود
زعامتهم العامة الى حسين باشا الطراونة .

أقسامهم : — تنقسم عشيرة القطاونة الى قسمين

(١) فرقة أولاد سلامه ومختارهم حمود بن مطلق وعدد بيوتهم
٢٠ منزلا وعندهم من الخيل ١٥ رأساً وما ليتهم من الدرجة الوسطى،
يسكنون صيفاً وشتاء فى بيوت الشعر ، وفي أرضهم المسماة « مجرى »
المشتركة مع أراضى سيدنا جعفر، وينزحون في موسم الربيع الى قرى
وادي الحسا لرعي أغنامهم وللاستقاء من ماء النهر الجارى .

(٢) فرقة أولاد علي: مختارهم مطيع بن يوسف وعدد منازلهم
٣٥ منزلا وعندهم من الخيل ١٦ وما ليتهم من الدرجة الوسطى، يشتون
في وادى الحزيم بجوار عشيرة الخريشة النازلين بالقرب من وادى الحسا
ويصيفون بجوار قرية سيدنا جعفر الواقعة على مسيرة ساعتين الى
الجنوب من الكرك والتى يقال ان المدفون فيها سيدنا جعفر الطيار الذي
استشهد في وقعة مؤتة المشهورة

النوايسة : — مختار عشيرتهم ابراهيم بن مشوح وعدد منازلهم ٥٠
وعندهم من الخيل ٢٥ رأساً، وما ليتهم من الدرجة الوسطى، لا يتجاوز
عدد المسلحين منهم ١٠٠ مسلح منهم ٢٥ خيالا والبقية مشاة

ترجع زعامتهم كالقطاونة الى حسين باشا ، ويتحزبون الى القسم
الجنوبي. يشتركون مع القطاونة في الاراضي والمصيف والمشتى . وقد
يدعون انهم نزحوا قديماً من وادي موسى واستوطنوا أراضي الكرك
كغيرهم من العشائر.

الشمايلة : —

من عشائر الكرك المشهورة . تلقبوا بالشمايلة نسبة الى الشمال لانهم
نزحوا من قرية « تل شهاب » من أعمال لواء حوران ، ولهم في تلك

القرية أقارب وأولاد عمومة الى هذا الحين . اشتهروا بالشجاعة فى أكثر مواقعهم ٠ تقدر بيوتهم بنحو ١٥٠ داراً ونفوسهم المسلحة من ٣٥٠ــ٤٠٠ رجل منهم ٣٠ خيالا والبقية مشاة . وهم معدودون في العشائر من اهل القسم الشمالي والغربى غير أنهم خصــوم للمجالى ورئاستهم لعبد المهدى الشمايلة وغازى الشمايلة ٠

أقسامهم : ـــ تنقسم عشيرة الشمايلة الى ثلاثة أقسام (١) الشمايلة (٢) المحادين (٣) المدادحة

فرقة الشمايلة : ـــ عدد بيوتها نحو ٨٠ وعدد رجالها المسلحين ١٤٠ منهم ١٥ خيالا والبقية مشاة ومختارهم غازى الشمايله الذي تعود اليه زعامة الفرق الباقية . يسكنون قرية «الافرنج» التى تبعد عن الكرك مسيرة ساعة واحدة الى الغرب الجنوبي وهذه القرية مشهورة بعــذوبة مائها ولطافة هوائها خصوصا في فصــل الصيف وهى محــاطة بكروم العنب حتى أنهم لقبوها « بمصيف الكرك » وهم يرسلون مواشيهم للرعى في جهات وادي الكرك .

المحادين : ـ مختار فرقة المحادين خلف بن رمضان وعدد بيوتها ٤٠ ونفوسهم المسلحة ١٢٠ منهم ١٠ خيالة والبقية مشاة ٠ يسكنون صــيفا وشتاء فى قرية «الافرنج» ويرسلون أغنامهم للرعي في جهات وادى الكرك.

المدادحة : ـــ مختارهم سالم بن حماد عدد بيوتهم ٣٠ ونفوسهم المسلحة ٩٠ منهم ٤ خيالة والبقية مشاة ٠ يسكنون قرية عين نون المجاورة لقرية «الافرنج» ويشتركون في المصيف والمشتي مع الشمايلة ٠

أموالهم : الشمايلة مشهورون في الفلاحة خصوصا فى كروم العنب ، أغنياء من الدرجــة الاولي ، يدفعون للحكومة ما يقرب من ٤٠٠٠٠

غرش سوري [1] مع تعداد الاغنام وكل الرسوم ، وهو شيء يسير بالنسبة الى غناهم ٠

مناسباتهم مع بقية العشائر حسنة ودليل أمورهم فى كل مهمة عبد المهدي الشمايلة المــــار ذكره ٠ وهم اطوع للحــكومة من بقية العشائر

الحباشنة : ـــ أفقر عشائر الكرك وأقلهم حيلة في تدبير أمورهم ولذلك فهم يتحزبون الى المجالى وينقــادون اليهم عن فقر وضــعف في الرأى والمال ٠ ويدعى الحباشنة ان اصلهم من عشائر قيس اليمانية وأنهم نزحوا من نجد مع من نزح من العشائر وتوطنوا فى هذه البلاد وذلك بعد الاسلام

اقسامهم : عدد بيوت عشيرة الحباشنة ٢١٠ ونفوسهم المسلحة ٤٠٠ منهم ٣٠ خيالة والبقية مشاة ٠ ينقسمون الى ستة أقســام (١) جعافرة (٢) عرود (٣) عساسفة (٤) رهايفة (٥) رماضين (٦) عويسات ٠

(١) الجعافرة : نفوسهم المسلحة ٢٠٠ رجل منهم ٥٠ خيالا والبقية مشاة. مختارهم عطوة الجعافرة واليه تعود رياسة الحباشنة كافة. يسكنون فى الكرك وقرية راكين التى تبعد عن الكرك مسيرة ساعة ونصف الى الشمال ٠ يشربون من ماء المطر المجتمع بقرية راكين ويصيفون بقرية راكين وبوادى ابن حماد وينزل قسم منهم فى الجانب الشمالي من وادى الكرك المسمى بقسم حبيش ٠

(٢) العرود : مختارهم سلمان العرود عدد بيوتهم ١٥ ونفوسهم المسلحة ٣٠ وعندهم من الخيل ٣ رؤوس يصيفون ويشتون مع الجعافرة بقرية راكين بوادى الكرك ٠

(١) باعتبار الجنيه المصري ١١٢ غرشاً سوريا

(٣) الرماضين : مختارهم عبد ربه الرماضين . عدد بيوتهم ١٥ ونفوسهم المسلحة ٣٠ منهم ٣ خيالة والبقية مشاة . يشتركون في المرعى والمصيف والمشتي مع بقية الفرق .

(٤) العساسفة : مختارهم محمد بن علاوى عدد بيوتهم ٢٠ ونفوسهم ٤٠ مسلحا منهم اربعة خيالة والبقية مشاة

(٥) الرهايفة : مختارهم عبد المعطى، عدد بيوتهم ٢٠ ونفوسهم ٣٥ مسلحاً منهم خيالان والبقية مشاة

(٦) العويسات : مختارهم تيم العويسات بيوتهم ٣٠ ونفوسهم ٥٠ مسلحاً منهم ثلاثة خيالة

تعود رئاسة الحباشنة الى الشيخ عطوه الجعافرة وعبد المعطي الحباشنة وهذه العشيرة معدودة من القسم الغربي تنحاز الى المجالي، أفرادها فقراء جداً تغلب عليهم شراسة الطباع . يدفعون للحكومة ما يقرب من ٦٠٠٠٠ غرش سوري مع تعداد الاغنام

الضمور : —

عشيرة الضمور معدودة من قسم الشراقة (جماعة حسين الطراونة) عدد بيوتهم ١٧٠ ونفوسهم المسلحة تقرب من ٤٠٠ نفس منهم ٥٠ خيالا والبقية مشاة

أموالهم : وهم يعدون من الدرجة الاولى من حيث الغنى والثروة تعود زعامتهم العمومية الى حسين باشا الطراونة . وهم أقرب للسكينه من سواهم .

أقسامهم : تنقسم عشيرة الضمور الى خمسة أقسام (١) عضايلة (٢) السحيمات (٣) عيال ربيع (٤) آل طه (٥) جراجرة

(١) العضايلة : — عدد بيوتهم ٣٠ ونفوسهم المسلحة نحو ٧٠ منهم ٨ خيالة والبقية مشاة . مختارهم سالم العضايلة

(٢) السحيمات : عدد بيوتهم ٣٠ ونفوسهم ٦٥ مسلحاً منهم ٨ خيالة والبقية مشاة. مختارهم عطا الله أفندى السحيمات رئيس محكمة الحقانية في الكرك .

(٣) عيال ربيع : عدد بيوتهم ٤٠ ونفوسهم ٨٥ مسلحاً منهم ١٥ خيالا والبقية مشاة . مختارهم مرزوق بن ذياب

(٤) آل طه : عدد بيوتهم ٦٠ ونفوسهم ١٣٠ مسلحا منهم ١٩ خيالا والبقية مشاة . مختارهم عبد العزيز بن خليل

(٥) الجراجرة : عدد بيوتهم ٢٠ ونفوسهم ٥٠ مسلحاً منهم ٣ خيالة والبقية مشاة

يسكن قسم من عشيرة الضمور في نفس قصبة الكرك ، والبقية في بيوت الشعر ومنازل هؤلاء في الصير والغوير اللذين يبعدان عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات الى الشرق . ويشربون من آبار الخربتين المذكورتين ومن آبار خربة البتراء الواقعة على مسيرة ٣ ساعات لجهة الشرق

والضمور يصيفون ويشتون في الموقعين المذكورين لرعي أغنامهم ومواشيهم .

يدفعون للحكومة سنويا نحو ٥٠ الف غرش سوري مع تعداد الاغنام .

ويثبت التواتر ان أصل الضمور والصعوب والمبيضين من بقايا الغساسنة الذين اعتنقوا الاسلام بعد امتداده .

عشيرة الصعوب : من عشائر الكرك المتوسطة الحال والمال. يغلب على أفرادها حب المعيشة البدوية . ويتبعون من حيث تقسيمات الكرك

العمومية القسمين الشرقي والجنوبي . زعيمهم حسين باشا الطراونة. وأصلهم من جهات حوران

عدد بيوتهم ٤٠ ونفوسهم المسلحة ١٠٠ رجل منهم ١٠ خيالة والبقية مشاة . مختارهم حطاب الصعوب . مشتاهم ومصيفهم بلدة الكرك وقرية الثنية التى تبعد مسيرة ساعة الى الشرق . تدفع هذه العشيرة مع تعداد الاغنام مايقرب من ٣٠٠٠٠ غرش .

عشيرة المبيضين : — عدد بيوتها ٤٥ ونفوسها المسلحة ١٢٠ منهم ١٢ خيالا والبقية مشاة . مختارهم مصطفى بن يوسف المبيضين . يسكنون قصبة الكرك وقرية الثنيـة . تعود زعامتهم الى حسين الطراونة ، يشتون ويصيفون بالثنية وجوارها . يدفعون للحكومة سنويا رسوما تقارب ٢٥ الف غرش سوري ويشتركون في منشأهم مع عشيرتى الضمور والصعوب .

عشيرة القضاة : — عدد بيوتها ٢٥ ونفوسها تقرب من ٥٦ مسلحا منهم ٥ خيالة والبقية مشاة . مختارهم سلمان بن سالم القضـــاة ، وشيخ مشايخهم حسين باشا الطراونة . يسكنون قرية محي التى تبعد عن الكرك مسيرة ٧ ساعات الى الشرق ، وتبعد عن محطة الحسا مسيرة ساعتين الى الجنوب الغربي، وهذه القرية يقطنها أيضا شيخ مشايخ الحجايا غيث ابن هداية .

القضـاة يشتون ويصيفون بقرية محى المذكورة وهم فقراء بالنسبة لغيرهم ولذلك يكثر بينهم قطاع الطرق حينما تسنح لهم الفرص والقضاة فرع من قضاة بنى صخر ، وبينهما قرابة .

توابع عشيرة المعايطة :

(١) العبيد: عدد بيوتهم ٤٠ ونفوسهم المسلحة ١٢٠ منهم ١٠ خيالة والبقية مشاة مختارهم الحاج عبد ربه. تعود زعامتهم لسلامة باشا المعايطة يسكنون في قرية العبيد الواقعة في غور المزرعة على بعد ساعتين عن الكرك غربا . يشتون في قريتهم ويصيفون فى وادى الكرك لرعي مواشيهم . حالتهم متوسطة وفيهم ميل للعبث بالأمن

كان العبيد فيما سبق عبيداً لمشايخ المعايطة ، لونهم أسود ، غير انهم مع مرور الزمان واختلاطهم بغيرهم أخذ لونهم بالتبدل للبياض .

الاغاوات : فرع من المعايطة عدد بيوتهم ٢٥ ونفوسهم المسلحة ٦٠ منهم ٨ خيالة والبقية مشاة . مختارهم ذياب الطاهر . شيخ مشايخهم سلامة باشا المعايطة يسكنون قرية السمرة الواقعة على طريق غور المزرعة ويصيفون في وادى الكرك .

الطنشات : عدد بيوتهم ١٥ ونفوسهم المسلحة ٤٠ منهم ٣ خيـالة والبقية مشاة يصيفون ويشتون فى قصبة الكرك ، فقراء الحال ، تعود زعامتهم الى سلامه باشا .

الجلامدة : — عدد بيوتهم ٢٠ ونفوسهم المسلحة ٦٠ منهم ٤ خيالة والبقية مشاة مختارهم حمود الجـلامدة . يسكنون القصبة ووادى الكرك صيفاً وشتاء حالتهم متوسطة ، تعود زعامتهم الى سلامه باشا المعايطه

العبيسات : — عدد بيوتهم ٢٠ ونفوسهم المسلحة ٦٠ منهم ٥ خيالة والبقية مشاة . مختارهم فلاح العبيسات ، زعيمهم سلامه باشا ، قريتهم سمرة يشتون فيها ، ويصيفون بوادى الكرك ، مأؤهم نبع .

البياضة : ـ عدد بيوتهم ٤٠ ونفوسهم ١٠٠ منهم ١٥ خيالا والبقية مشاة . مختارهم فرحان بن جعفر ، قريتهم «مدين» تبعد عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات الى الجنوب . مصيفهم ومشتاهم فى القرية المذكورة . زعيمهم سلامه باشا المعايطة .

يظهر من مطالعة أحوال عشائر الكرك ان عشيرة المعايطة اكثرها عدداً ، يتوفر فيها المال والرجال ، ولذلك تجتهد المجالى لاستمالة هذه العشيرة وزعيمها .

ومع كثرة عددها ينقصها زعيم حازم لادارة شؤونها ويستدل من سير الوقائع السابقة على انه كثيراً ما استفاد أرباب المطامع الشخصية من هذه العشيرة .

عشيرة الكفاوين : ـ مختارها حامد الكفاوين ، عدد بيوتها ٣٠ ونفوسها المسلحة ٦٠ منهم ٧ خيالة والبقيـة مشاة . والكفاوين يتبعون القسم الغربى الشمالى .

قريتهم «الجديدة» تبعد عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات الى الشرق الشمالى ، يشربون من ماء الآبار المجتمعة من ماء المطر. يصيفون ويشتون في جوار القرية لرعي مواشيهم

الذنيبات : ـ عدد بيوتهم ٤٠ ونفوسهم ٨٠ مسلحا منهم ١٥ خيالا والبقية مشاة مختارهم عبد المهدى الخوالدة . يشتركون مع الكفاوين في قرية الجديدة . والذنيبـات اليوم نازجون الى الجهة الشمالية من سيل الموجب ونازلون عند بني جميدة بسبب عداوتهم مع عشائر المعايطة .

عشيرة قوم الجد :ـ المجالى فرع ثالث يسمى « قوم الجد » تقدر بيوته بثلاثين . نفوس هذا الفرع المسلحة ٨٠ منهم ١٠ خيالة والبقية مشاة زعيمهم عطيوي باشا المجالي. يسكنون فى فصل الشتاء قرية مدين ويصيفون بجوارها لرعي مواشيهم

قرية العراق : ـ فى لواء الكرك (عـدا العشائر المعروفة) أهل قرى ينظر اليهم العشائر بنظر الضعف والمسكنة ولكل قرية « أخ » يتقاضى (الخاوة) حسب الاساليب المعروفة بين القوى من العشائر والضعيف . فاهل قرية العراق محكومون بطبيعتهم وبحسب التقاليد القـديمة لعشيرة المجالى التى تتصرف بأموالهم كيف شاءت وذلك فى زمن الفوضى وضعف الحكومة. وتقسم قرية العراق الى قسمين : فتسكن في القسم الجنوبى منها عشيرة المواجدة وفي القسم الشمالى عشيرة الحطيبات والخطبة والتيمة . وماؤها نبع جارى

المواجدة : ـــ كتب عنهم فيما سبق.

الحطيبات : ـ عدد بيوتهم ١٥ ونفوسهم المسلحة ٤٠ منهم ٣ خيالة والبقية مشاة . مختارهم عبد بن ضيف الله . يصيفون ويشتون بقرية العراق وجوارها .

الخطبة : بيوتهم ١٦ يخرجون ٤٥ مسلحا منهم ٤ خيالة والبقية مشاة مختارهم حسين الخطبة يشتركون مع الحطيبات في المشتى والمصيف

اليتمة : ـ بيوتهم ١٤ ونفوسهم ٣٨ مسلحا منهم خيالان والبقية مشاة مختارهم حسين اليتمة ، يشتركون مع اهل العراق في المرعى . (انتهى)

حزب الاستقلال العربي

لست هنا في مجال الافاضة والاسهاب في تاريخ هذا الحزب المعروف بنزعته الاستقلالية الخالصة ، ولا أرى باعثاً يدعونى الى بيان ما أصاب الكثيرين من أعضائه ، المنبثين فى ديار الشام — سورية وفلسطين ولبنان — والعراق والحجاز ومصر ، الموغلين فى جزيرة العرب ، والقائمين بالدعوة في أوربا وأميركا وغيرهما . فذلك مما يحتاج الى كتاب يفرد له . ولكن حسبي أن اقتصر ، والبحث في عمان وأطرافها ، على ما كان فيها من تأسيس فرعه المركزى وأسبابه ، وموقف أعضائه مع الامير عبد الله

* * *

جلس رشيد بك طليع ، إثر تأسيسه حكومة شرق الاردن ، يحادث الامير عبد الله في مضربه برابية مركة ، فقال الامير : ما هذه الاحزاب التى كانت تعمل فى دمشق ؟ لقد كنا نسمع أنباءها ونعجب لما لها من التأثير في سياسة البلاد

فقال رشيد بك : تلك سنة الامم تختلف فيها المنازع وتكثر الآراء ، فتتحد جماعات جماعات ، لكل منها رأى خاص فى سياسة الدولة ، فتنشأ عن وحدة الرأى فى هذه الجماعات صلة بين أفرادها ، فيتضامنون ، فتكون الاحزاب .

فقال الامير : أعرف شيئاً من هذا أيام كنا من أعضاء مجلس النواب العثمانى فى الاستانة[1] ولكن مالى أرى تلك المنازع والجماعات التى تذكرها

(١) كان الامير عبدالله من مبعوثي الحجاز ، وكان رشيد بك مبعوث حوران

لا أثر لها في بلادنا هذه ؟

فقال رشيد بك : اختفاء الاثر لا يدل على فقدان المؤثر ، فقد تكون هنا أحزاب اختارت السكون بينما يتضح لها منهاج الحكومة ولا ريب في أنها ستظهر حين تصدر ارادة سموكم بجمع المجلس النيابى الذى وعدتموني به ..

فتأفف الامير من ذكر المجلس النيابي . . وأدرك رشيد بك سنوح الفرصة للاعتراف بحزب الاستقلال في المنطقة اعترافا رسميا ، وهو من أعضائه ، ففاتح الامير بالامر ، فوافق مشترطاً شرطا واحداً سيأتي ذكره

* * *

وفي اليوم الثانى دعا رشيد بك من كان فى عمان من أعضاء الحزب وكنت في جملتهم ، فحدثنا بأن الامير راغب في أن يرى حوله حزبا سياسيا يعمل لمصلحة البلاد العربية وأنه (أي رشيد بك) عرض عليه اسم « حزب الاستقلال العربى » فرضي بأن يستأنف الحزب أعماله في عمان . .

* * *

كان فى عمان عدد غير قليل من رجال الحزب ، تفرقوا بعد فاجعة دمشق ، ولم يروا أن يفتحوا باب الاحزاب في شرق الاردن مخافة أن يصمهم واصم بالشغب فآثروا أن ينتظروا الساعة التى تقضى بظهورهم حزبا أو كتلة فيبرزوا الى الميدان . ولما فاجأتهم دعوة أخيهم رشيد بك عقدوا جلسة دارت المناقشة فيها حول ما يأتي :

١ — ما السبب الحقيقى الذى دعا الامير الى التفكير بوجود حزب سياسي في المنطقة ؟

٢ — لماذا يشترط عليهم رشيد بك (بصفته مرجع حكومة المنطقة) أن يتعهدوا في بيانهم الذى سيقدمونه للحكومة بان لا يتدخلوا في شؤون المنطقـةالادارية . .

٣ — هل من ضرورة تقضي بظهور الحزب رسمياً في ذلك الحين ؟

* * *

لم يشك أحد منهم فى أن للامير غرضا يرمي اليـه بظهور الحزب ، ولكن ما هو ؟ أخير أم شر ؟ من يدري ! على أن اكثرهم كان يغلب عليهم التفاؤل لثقتهم بأن مرجع الحكومة (الكاتب الادارى) منهم ، ولما كانوا يرونه في الامير من وطنية وحماسة (متكلفتين) فقالوا: لنمض في عملنا وما يكن فليس بأشد مما كان ..

وأما الشرط ، فكان موضع السخط ! ، لماذا يشترط مرجع الحكومة أن لا يتدخل الحزب فى شؤون المنطقة ؟ وهل هي الا من بلاد العرب التى يعمل الحزب ويدأب لاستقلالها ؟ أليس على أعضاء الحزب أن يقاوموا ، ما استطاعوا ، كل سوء يراد ببقعة من بقاع العرب ؟

تساءل المجتمعون كثيراً ، وذهب فريق منهم الى تفضيل ما هم فيه على أن يظهروا بصفتهم الحزبية مغلولي الايدى عن مقاومة كل ما قد تأتي به الأيام .

وتوسط الجمع أحدهم خالد بك الحكيم ، وقد رأى اصرار رشيد بك بصفتيه الرسمية والحزبية ، فقال : أيها الاخوان ! ألا تنظرون إلى بعض الامهات يلقين على جباه أطفالهن قطعا صغيرة مكتوبا عليها « ما شاء الله » معلقة بخيوط ؟ ألا يلوح لكم أن الام حين تضع هـذه « العوذة » على جبهة طفلها تعتقد أنها وقته كل شر ؟ كذلك حكومتكم هذه تريد أن تقى

موافقتها الرسمية على ظهور الحزب بعوذة هى هذا القيد ! وكما أن «عوذة ما شاء الله » خرافة لا قيمة لها كذلك هذه المادة التي يريد الأخ رشيد أن يزجها في بيان الحزب للحكومة !

* * *

وذهب اكثر المجتمعين الى فكرة استئناف الحزب بعمان أعمـاله ، عسى أن يتم على يديه خير . فكتب القرار ، وانتخب الاعضاء الاداريون ، وصدرت الرخصة الرسمية .

* * *

ولم يمض أكثر من أيام قلائل حتى وضحت الخفايا وتبين أن غرض الامير هو أن تكون له صفة ثانية غير الصفة التى جعلهـا له تشرشل . . فقد كان فى نظر الحقيقة والعرف السياسى موظفا اقامته الحكومة البريطانية في تلك المقاطعة ، يستمد منهـا سلطته ، ولها ان تستبدل به سواه متى شاءت . . فأراد أن يضم الى نفسه صفة الامارة الشرعية بمبايعة البلاد ، وخاف أن يطلب البيعه فيفشل ، فعمـد لاستصناع حزب الاستقلال آملا أن يحقق له أمنيته .. ولكن الحزب لم يفعل . .

* * *

وتبين أيضا أن شرط رشيد بك كان شرط الامير نفسه وقد وافقه عليه متوخيا أن يسير في ادارة المنطقة سيراً هادئاً فى جو صاف لا عواصف فيه ولا غيوم ! .

* * *

ولم يكن إباء الحزب القيام بما كان يحرص عليـه الامير من مبايعته والمناداة بها أميراً أو ملكا شرعيا ـ إلا لاسباب جوهرية أقواها (١) أن

الامير لم يبد منـه حتى ذلك الحين ما يدل على انه الرجل الذى يستطيع أن يعمل لمصلحة أمته (٢) أن الحزب لم ير ان تكون فاتحة أعماله فى شرق الاردن الاشتغال لمصلحة شخص (٣) باسم من تكون البيعة؟ أباسم سورية وقد مزقت شذر مذر والمحتل باسط عليها ظل جبروته، أم باسم مقاطعة الاردن والاقامة فيها أقل من ستة شهور كما يقول الامير؟

* * *

ولكن سموه لم يعلم بحقيقـة ما كان يدور في الحزب ، فاكتفى بأن اعتقد امتناع أعضائه عن اجابة طلبه ، ولعله عرف من تلك الساعة أن للاحزاب شخصيات لا يمكن أن تذوب بين أيدى طلاب العروش والتيجان ! .

من أمير الى أمير

كان في مقدمة من انتبه الى وجوب اتخاذ شرق الاردن قاعدة حرة للعمل في جوار سورية ، كبير من آل أرسلان ، عالج القضية الوطنية في بلاد العرب ، على غير اتصال بأمراء الحجاز ، هو الامير عادل نائب جبل لبنان في مجلس النواب العثماني أيام الترك ، وحاكم لبنان بعد انسحابهم . وهو الذى استدعاه الامير فيصل الى دمشق وجعله معاونا لحاكم سورية العسكري العام ، ثم مستشاراً لديوان الامارة ، الى أن تناولته السلطة العسكرية المحتلة في سورية مع من تناولت بأحكامها الغيابية الجائرة .

***

بلغه تقدم الامير عبد الله الى شرق الاردن ، وهو في برلين يتنقل بينها وبين عواصم أوربا معلنا فضائح ما يسمونه الانتداب ، فبادر يخترق البحار حتى بلغ عمان على أثر وصول الامير عبد الله اليها .

ورحب به عبد الله كل الترحيب ، واتخذه كاتبا خاصا (سكرتيراً) له ورئيسا لديوانه ، فلم يلبث عادل أن عرف مواطن الضعف في عبد الله ، وخشي ان تؤول الحال الى ما آلت اليه — بعد ذلك — فقال من قصيدة يخاطبه :

كفى بي ايُّها اللاحي عذابا ... فدع عنك الملامة والعتابا
شبابٌ كلّه ألمٌ وبؤسٌ ... فكيف اذا تجاوزتُ الشبابا
ومن لي بالسعادة بعد خطبٍ ... اراني أُمتي ذهبت ذهابا
اطالب مهجتي جلداً وصبراً ... واعلم أنّها ذابَت وذابا
واسأل كلَّ بارقةٍ جواباً ... وأعلم أنّها عيّت جوابا

غريبٌ في ديار ابى وجدّي ... كأنى طارقٌ هاج الكلابا

بلادٌ لم تكن إلاّ بلادي ... ومهدي اذلبثت بها الاهابا

لعمر الله كلُّ وليد قومٍ ... اذا لاقى الذى لاقيت شابا

وفي عمّان قد جاورت قوماً ... أُصبت بهم جلاءً واغترابا

همُ جرّوا على قومي البلايا ... لدن نصبوا بعمّان القبابا

وكيف يكون في عمّان مجدٌ ... وقدخسفت بهاالارض اضطرابا

عمرناها وقد كانت خراباً ... وخلّينا عمارتنا خرابا

***

أعبدَ الله ان ترد المعالي ... فان لها ـ هُديتَ اليه ـ بابا

سل اليرموكَ اين تكون منه ... اذا لم تُقتحم الخيل العرابا

سلِ اليرموكَ عن آباء صدقٍ ... وما فعلوا ترَ العجب العجابا

***

امامك مَن اذا نزلوا بارضٍ ... اصابوها انتهاكاً وانتهابا

اذاما استعبدوا احرار قومٍ ... أبوا أن يعتقوا منهم رقابا

وخلفك أمةٌ تقضي وتحيي ... اذا ماطاش سهمك او أصابا

اعيذك ان يطيب لك التوانى ... وان ترضى بما وعدوا طلابا

فأقبح مايكون المرؤ سكراً ... اذا كان السراب له شرابا

هو الرق الذى لا ريب فيه ... ارادوه فسموه انتدابا

قوى الامن

كانت قوى الامن في المنطقة ، قبل تولى الامير عبد الله رئاسة حكومتها ، مؤلفة من قوتين :

الاولى الدرك الوطنى (الجندرمة) وعددها ضئيل ، يقودها ضباط بعضهم من أهل المنطقة وآخرون مما جاورها ، وكلهم من بقايا موظفى الحكومة العربية السورية ، واكبرهم رتبة القائد (البيكباشي) عارف بك الحسن قائد درك الصلت

والثانية « القوة السيارة » وهي مؤلفة من سرية (بلوك) فرسان عددها نحو ٧٥ فارساً ، و ٢٥ جندياً رشاشاً معهم رشاشتان من نوع « مكسيم » كان مركزها « عمان » وقائدها بيك بك . وقد تألفت هذه القوة بعد انفصال شرق الاردن عن سورية الشمالية ، وتعهد البريطانيون بالانفاق عليها .

* * *

ولما قدم الامير عبدالله وتوحدت أجزاء المنطقة ، جعلت قوى الامن فيها أربعاً :

(١) قوة الدرك الثابت : بقيادة القائد عارف بك الحسن ، وعددها المقرر ٥٥٠ جنديا . ولكنها كانت أقل من ذلك.

(٢) كتيبة الدرك الاحتياطي : بقيادة القائد فؤاد بك سليم ، وعددها المقرر ٤٠٠ فارس ، ولكن عددها الحقيقي لم يجاوز مئة وخمسين فارساً لانها حلت قبل اتمام التجنيد وعدل عنها الى تأليف القوة السيارة التي سيأتي الكلام عنها في ما بعد

(٣) الكتيبة النظامية : قائدها القائد احمد بك الاسلامبولي (من أهل بيروت) وعددها نحو مئتين من المشاة

(٤) قوة الهجانة : عددها نحو مئة هجان عقيلي وقائدها نجدي يعرف بابن رميح ومرجعه الشريف عقاب بن حمزة من رجال الامير عبد الله

وأصبح مرجع القوى الاربع مشاور الامن والانضباط علي خلقي بك أما بيك بك الضابط البريطاني فقد ظل زمنا متمتعا بلقب «مفتش الدرك العام» ولا سلطة له على قوة ما ، لان «القوة السيارة» التي كان يقودها ألحقت بقوة الدرك الاحتياطي

حادثة الكورة

أسبابها ونتائجها

لم تصب حكومة شرق الاردن بحادث كان اشد عليها وقعا ، وأبلغ فيها تأثيراً ، من هذه الحادثة التي فاجأتها في إبان تسلمها العمل ، فكسرت من حدة نشاطها، ولوت من جيد عزتها. وقد كتبت الصحف عنها كثيراً في حينها ، إلا أنها لم توفها حقها من الوصف بل كان كل ما كتب عنها مشوهاً محشواً بالاغاليط ، فرجعت عند كتابة « مذكراتي » هذه الى أعرف الناس بخفيها وجليها ، الصديق الفاضل المعروف « فؤاد بك سليم » وقد كان قائد القوة التي هاجمت العصاة وأصيب في الواقعة بجرح شفاه الله من أثره ، فكتب هذا الفصل الممتع مستنداً فيه الى ما هو محفوظ لديه من وثائق وكتابات رسمية :

سمعت بالكورة المرة الاولى في صيف سنة ١٩٢٠ إذ كنت في إربد في ضيافة قائم المقام العسكري علي خلقي بك وكانت منطقة شرق الاردن إذ ذاك مقسومة إلى أقسام ثلاثة هي إربد والصلت والكرك، وفي كل من هذه الاقسام حكومة مستقلة في إدارتها عن الحكومتين الاخريين ، يدير الاولى منها مضيفي علي خلقي بك ويعاونه في ذلك صديقي المرحوم القائد محمود بك أبو راس الذي كان قائداً للدرك فيها . وكان في المنطقة رجال من الانكليز باسم معتمدين يسهرون على مصالح حكومتهم ويمهدون السبيل لاغراض سياستها الاستعمارية ويتدخلون في كل صغيرة وكبيرة ما سمح لهم الوطنيون والاحوال الاستثنائية أن يفعلوا . وفي جملة هؤلاء المعتمدين

«الماجورسمرست» الذى كان معتمداً لحكومته في إربد المذكورة ثم صار في ما بعد عضواً في مجلس اللوردات البريطانى باسم «اللورد رجلان»

وفي ليلة وصولى الى إربد دار حوار بين الماجور سمرست المذكور وعلى بك خلقى فهمت منه أن داء الانقسام لم يقف عند حد انقسام منطقة شرق الاردن الى حكومات ثلاث كما أسلفت بل جاوزه الى انقسام حكومة اربد نفسها الى بضع مقاطعات كل منها تنزع الى البقاء منفصلة عن اخواتها

وفي جملة هذه المقاطعات مقاطعة الكورة التى كانت فى عهد الحكومة العربية ناحية يحكمها مدير وكانت فى العهد العثماني جزءاً من مديرية يؤلف مع غيره مديرية ترجع فى شؤونها الى قضاء عجلون ومركزه اربد. وكان همّ علي خلقي بك في ذلك الحين أن يوحد هذه الحكومات الصغيرة التي يتألف منها قضاء عجلون في حكومة واحدة تمهيداً لتأليف وحدة ادارية لحكومات منطقة شرق الاردن كلها. وعلمت من الحديث الدائر أن اهل الكورة وعلى رأسهم آل الشريدى يعارضون في انضمامهم الى اربد، ويأبون أن يكون لهم أية صلة مع حكومتها. وحجتهم فى ذلك أن الكورة لقيت عنتاً كثيراً على أيدى موظفي حكومة اربد في العهدين العثمانى والعربى، ومعظم هؤلاء الموظفين هم من أهل اربد نفسها أى أنهم باقون فى حكومة اربد لم يذهب بهم ماذهب بالحكومتين السالفتي الذكر. وجرى على لسان مضيفي ما يفهم منه انه يود لو يطيق ارغام الكورة على الانضمام الى اربد بقوة السلاح، ولكن يحول دون ذلك ضؤولة شأن القوة العسكرية التي تأتمر بأمره.

* * *

ومرت الايام وكرت الشهور وجاء الأمير عبد الله إلى عمان حيث وحد المنطقة وأنشأ لها حكومة ترجع اليها جميع هذه الحكومات الصغيرة. واتبعت الكورة لواء عجلون وجعلت اربد مركزاً لهذا اللواء وبذلك بقي ما تشكو منه الكورة حيا يعمل عمله في زرع بذور النفور وخلق المشاكل فى حين كان من السهل أن تتحامى الحكومة احراج اهل الكورة بجعل مركز اللواء جرش أو عجلون بدلا من أربد.

وحدث أن أرسل من أربد مفرزة من الدرك بقيادة الرئيس عمر لطفي افندى وفي عدادها جنود من أهل أربد منهم نائب اسمه حمادة السليمان. وكانت مهمة المفرزة تعداد الاغنام فوفقت لعملها في أكثر قرى الكورة وأوشكت أن تفرغ منه، ولكن أبى القدر إلا أن يحصل ما كانت مقدماته شراً وخواتيمه نكبة شديدة على الحكومة والبلاد، وذلك ان قائد المفرزة أرسل النائب حمادة سليمان الاربدى ليعد غنم عشيرة الشقيرات النازلة فى غابة وراء قرية زوبيا احدى قرى الكورة الشرقية. والشقيرات قوم خشنو الطباع. فلما جاءهم حمادة وأخذ معهم بالمشادة على النحو الذى ألفه الدرك في العهد العثمانى — وأقله الشتم والانتهار — استفز بعض جهلتهم فأطلق عليه رصاصة من بندقيته فخر صريعاً. وفر رفقاء حمادة الى رحابا حيث كان قائدهم يستعد للعودة الى إربد فأخبروه بما حدث. وحاول قائد المفرزة أن ينتقم من الشقيرات ولكنه رأى ان الشر الذى انبعث من بندقية الشقيرى أخذ روحه يسرى فى سائر العشيرة بل تعداها الى القرى المجاورة لها ومنها رحابا نفسها. وماعتم أن رأى ان بقاءه مع قوته الصغيرة في وسط القوم يغريهم بمهاجمته لانه يحمل المال الذى لم يدفعوه أليه الا وهم كارهون. فانتقل الى المزار وهى قرية على حدود الكورة

واتصل منها بحاكم إربد فأمره هذا بالعودة الى المركز دون أن يعمل مايوسع الخرق . وأبطأت حكومة اللواء بارسال قوة الى محل الحادثة وأحجمت عن ارسال لجنة للتحقيق مبالغة في سوء الظن بأهل الكورة فحملهم احجام الحكومة وترددها على اتخاذ الحيطة لانهم أدركوا ان سكوت الحكومة قد يكون معناه انها تتجمع لتثب وأنها تعد العدة لضربهم باعتبار انهم ثائرون .

ولعبت أيدي السوء واستثمر أعوان الشر سذاجة أهل الكورة فأوقعوا في نفوسهم ان الحكومة تنوى انتقاما شديداً وانهـا ستتناول بانتقامها جميع قرى الكورة عدا القرى الخمس الجنوبية . ومما شاع يومئذ ان للمستشار الافرنسي في درعا وللاذناب الذين يتعلقون بذيول السياسة الفرنسوية من أهل الرمثا وغيرها من أهالي المنطقة يداً في حمـل كليب الشريدي زعيم الكورة على الامتناع عن تلبية أمر الحكومة بالمجيء الى مركز اللواء وعلى الجنوح الى المشادة فالعصيان .

وقد قرّ رأي الحكومة المركزية فى عمان، عملا باشارة حكومة اللواء، وبعد الحاح شديد منها، على ارسال قوة من عمان تكون وظيفتها اجراء التحقيق عن حادثة قتل النائب وتمكين العدالة من المجرمين دون ان تتعرض لسائر أهل الكورة، على ان الحكومة قررت أيضاً ان تكون وظيفة القوة تأديبية في حالة حصول هياج أو ثورة تستدعى التأديب بالضرب .

ولقد كنت في ذلك الحين بعمان قائداً لكتيبـة الدرك الفرسان الاحتياطية التى تم تأليفها بعد ان تقرر رفع يد المفتش الانكليزى عن سرية الفرسان السيارة غير ان هـذه الكتيبة كانت فى بدء تأليفهـا ولم يكن قد اجتمع من العدد المقرر لها وهو ٤٠٠ فارس الا ٦٠ جنديا فضلا

عن السرية السيارة التى تقرر ان تتبع الكتيبـة وبذلك يكون مجموع جنود الكتيبة الموجودين تحت السلاح وتحت الطلب ١٥٠ جندياً منهم ٢٥ جندياً من جنود الرشاش وسائرهم من الفرسان

* * *

وفي صبيحة يوم ١٢ مارس سنة ١٩٢١ استدعاني مشاور الامن والانضباط قائمقام على خلقي بك الى مكتبه، وبعد ان شرح لي الموقف أبلغني انه تقرر ان يعهد الي بقيـادة القوة المنوى ارسالها الى الكورة وافهمني صريحاً انه في حالة مقاومة أهل الكورة واعتراضهم لسير التحقيق في شيء يخل بالامن العام او يجعل القيام بالتحقيق متعذراً يجب عليّ ان أعمد الى القوة . وكنت مريضا يشق على الركوب ، ولحظ هو ذلك في وجهي فاسترسل في بيان حراجة مركز الحكومة لكي يقيم في ذهني ان التضحية واجب لا بد منه. على انى لم يخطر لي قط أن أستعفيه السفر لأي سبب من الاسباب . مع علمي وعلمه أيضا ان كل قوى الحكومة لاتقوى على قمع ثورة في قرية فضلا عن ناحية تزيد قراها على العشرين ، لأن الحكومة نفسها كانت اذ ذاك في أول عهد تأليفها وكانت بطبيعة الحال لا تزال ضعيفة قليلة الجند والمال

وبلغت جرش في اليوم الثاني وكتبت بذلك الى حاكم لواء عجلون أمين بك التميمي وذكرت له فى الرسالة مجموع ما اجتمع لي من الجنود وانني أرى السفر الى الكورة من جرش مباشرة أى من دون التعريج على أربد وكنت أبنى رأيي هـذا على اعتبارات لا محل للافاضة في شرحها الآن فجاءني الرد منه على كتابي وفيه أنه يرى غير رأيي في أمر الطريق وأنه لا يرى بدأ من ذهابي بالقوة التى معى الى إربد حيث نجتمع ونتبادل

الآراء . وكان لا بد لي من النزول على ارادته لانه المسؤول الاداري عن اللواء فبلغت إربد في ١٤ مايس وفهمت من أمين بك أن الكورة في حالة تمرد ولكنه ليس عاما ، وذكر لي أن محمد سعيد الشريدي ونجيب الشريدي ابني أخي زعيم العصاة كليب الشريدي هما مواليان للحكومة وأن كثيراً غيرهما من شيوخ القرى وعامتها خابروه واعلنوه نقمتهم على كليب وولاءهم للحكومة . وقد تلقى أمين بك كتابا من هؤلاء وأنا في إربد يؤكدون له فيه ولاءهم ويعدونه بأن يكونوا ظهراً للحكومة على العصاة اذا تجرأوا على القوة وهاجموها. ولاح لامين بك أن المسألة قريبة الانتهاء وان النجاح في إجراء التحقيق من دون حصول عصيان مسلح مرجو ومرجح . أما أنا فلم أكن على علم بأحوال الكورة القديمة يؤهلني للحكم على الحالة الحاضرة من حيث نيات الاهالي ونزعاتهم ودخائل شؤونهم ، فلم اتعرض لابداء رأي في ذلك . على أني كنت أفضل أن أبقى يومين آخرين في إربد لاتفهم الاحوال وأسبر غور العصيان وازود ما يلزم من المعلومات عن طبيعة الاراضي والبلاد . وقد ذكرت ذلك لأمين بك فأبدى شيئاً من الامتعاض وآنست منه الميل الى الاسراع في الحركة لاعتقاده أن ذلك أبقى على هيبة الحكومة وأبلغ أثراً في النفوس

وفي ليلة ١٥ مايس سنة ٩٢١ خرجت من إربد بمئة وعشرين فارساً وهي كل القوة التي اجتمعت لي ممن جاؤا معي وممن وجدتهم في إربد من السرية السيارة ودرك عجلون فقطعنا غابات زوبيا قبل الفجر واشرفنا على منزل الشقيرات قاتلي النائب الدركي مع بزوغ الفجر الصادق . وكنت قد استلمت من الحاكم امين بك أمراً خطيراً مؤرخا في ١٤ مايس سنة ١٩٢١ يحتم علي ما يأتي :

١ — القبض على الاشقياء المتهمين بقتل العريف حماده سليمان من عرب الشقيرات .

٢ — القبض على كليب الشريدي وولده عبد الله وابن أخيه رشيد الجروان الشريدي .

والامر يخولني الحق باستعمال القوة والعنف ويحتم علي استعمال منتهى الشدة اذا لقيت مقاومة من المطلوبين . وقد صحبنا دليل من قرية جديتا التابعة للكورة اسمه نمر الاحمد وهو من أعداء آل الشريدي قيل لنا انه صادق وخبير. وبعد أن اجتزنا قرية زوبيا بقليل أشرفنا على أرض يقال لها خلة الزرع وكانت منزلا للشقيرات فأرسلت كشفاً بقيادة الملازم محمد افندي جانبك وأفهمته أن يتقرب من البيوت ما استطاع ، واذا تنبه له أهلها فليطمئنهم ويفهمهم ان القوه لاتضر بهم الا في حالة ظهورهم مظهر المقاومين وانتحيت بالقوة ناحية تل قريب يشرف على بيوت الشقيرات، ولم نكد نستقر في موقفنا الجديد حتى سمعنا طلقات نارية تتبادل بين جنود الكشف والشقيرات ، فعلمت ان الشقيرات معتزمون المقاومة وأدركت ان الاسراع في ضربهم هو خير مايمكن عمله لاقرار هيبة القوة قبل امتداد العصيان الى القرى القريبة التي كانت في حالة تردد هي فيها أميل الى الاشتراك مع الشقيرات اذا آنست نجاحهم ، وأما اذا رأت أن القوة تفوقت عليهم فقد لاتجرؤ على الجهر بميولها فتبقى على الحياد .

وبعد أن تركت قوة كافية للاحتفاظ بالتل هاجمت الشقيرات مساء بمن معي فتوفقنا لاجلائهم عن البيوت من دون أن نلقى مقاومة شديدة فتقدمنا اليها وقبضنا على بعض العصاة ممن حال الرصاص دون انسلالهم من البيوت، ووجدنا اثنين من جنود الكشف مقتولين على قيدخطوات

من أوائل الخيام والضابط محمد افندى جانبك صريعاً في حالة تقرب من الاغمـاء . وعلمت من جنود الكشف ان رجالا من الشقيرات كانوا يترصدون القوة في الاجمة الواقعة دون البيوت وانهم بادروا الجنود بالرمى قبل أن يقع كلام بين الفريقين فقتلوا منهم اثنين وقتل الجنود منهم ثلاثة وضرب أحد العصاة الضابط محمد افندى بخشب البندقية على مؤخر عنقه فانطرح لايعي من الألم .

وقبل أن نتمكن من نقل الجنديين القتيلين الى التل حيث كانت سائر القوة رمينا بالرصاص من الغابة القريبة من قرية رحابا الواقعة الى الشرق منا فصعدنا الى التل وتحصنا فيه . وقد كنت فى شك من اخلاص أهل زوبيا ورحابا القريتين منا وكنت أخشى أن يشتركوا مع العصاة مهما كانت النتيجة ولذلك اعتزمت أن أتقدم بالقوة الى أراضى المزار الواقعة منا إلى الشرق وهي من غير الكورة وذلك كى لا يحيط بنا العصاة

على ان الوقت لم يتسع لتنفيذ هذه الحركة إذ هوجمنا من ناحية هاتين القريتين ومن جهة عنبة الواقعة الى الشرق الشمالى ومن التلال الواقعة الى الغرب والجنوب في وقت واحد تقريبا فثبت لنا ان العصيان مدبر متفق عليه وان اهالى عشر من قرى الكورة متواطئون مع الشقيرات بقيادة كليب الشريدى وولده عبدالله على الغدر بالقوة ومتفقون فيما بينهم على الاسراع الى نجدة الشقيرات عند سماعهم أصوات الرصاص ولكن لم يشترك بالفعل من هاته القرى الاست : هن قرى زوبيا ورحابا وتبنة وعنبة وديرأبي سعيد وكفر الماء وذلك مع استثناء أفراد من كفر كيفيا وزمال وسموع وجنين ومرحبا وغيرها. وكان معنا رشاشة واحدة من طراز مكسيم ولم يكن معنا عتاد احتياطي الا صندوقا واحداً وكان كل جندي من الجنود يحمل ١٥٠

بندقة لا سبيل له الى غيرها اذا نفدت لعدم وجود ذخيرة احتياطية معنا الا المخصص للرشاشة وذلك لان الحكومة في ذلك الحين لم تكن تملك ما تحتاج اليه فى مثل هذه الحركات من القوة والمال والذخيرة وما إلى ذلك .

وبدأ العصاة يتقربون نحونا من الجهـات الاربع ويضيقون دائرة الاحاطة بنا مستفيدين من وعورة الاراضى وكثافة الغابات. وتمكنا من ردهم على اعقابهم مراراً وابعادهم عنا ولكن لم نستطع شق طريق ننفذ منه الى خارج دائرة الاحداق . وفوق ذلك فان محاولة هذا الخروج تستدعى اخلاءنا التل الذى كنا على قمته والهبوط في منحدرات وأودية عميقة وعرة المسالك وبذلك نستهدف لخطر قد لا يكون دون هلاك القوة كلها . وصممت على البقاء حيث كنا والثبات الى الليل راجيا أن نستفيد من ظلامه ونستتر به لتنفيذ حركة الخروج

غير ان ذلك لم يتيسر لنا أيضاً لان نار العصاة كانت تزداد شدة وغزارة ساعة عن ساعة بفضل من كان ينضم اليهم من رفقائهم الذين تأخروا بسبب بعد منازلهم وكثر فينا القتل والجرح وقتلت أكثر خيلنا الناصعة الالوان فكان لمنظر القتلى والجرحى تأثير فى أعصاب الجنود وخيل الى بعضهم ان القوة اشرفت على الفناء لان ضيق البقعة التى كنا نشغلها أكسب منظر القتلى شكلا مبالغاً فيه مع انه لم يكن قد سقط منا قتلا وجرحا ما يتجاوز ربع الجنود وثلث الخيل.

وفى الساعة العاشرة أصبت بجرح بليغ وشاع بين الجنود انى قتلت وترددت فى أفواههم كلمة التسليم وكثرت شكواهم من نفاد الذخيرة من أكثرهم بحيث أصبحوا لا يملكون دفاعاً . ثم توقفت الرشاشة عن العمل وكان صوتها يشجع الجنود ويؤنسهم ، ودنا العصاة منا أكثر ، بعد أن

ضعفت نارنا ، وتمكن بعضهم من بلوغ أطراف التل الغربية حيث كانت
الاشجار ملتفة كثيفة تساعدهم على الدنو مستترين. وكان معي من الضباط
الرئيسان عمر لطفي افندي وخلف افندي التل والملازمون محمد افندي
جانبك ومحمد سعيد افندي السحاقات واحمد افندي التل وعبد الحميد
افندي النعيمي فعقدت مع بعضهم مجلسا فأشاروا بالتسليم لان ذخيرة
الجنود كادت تنفد كلها والخروج من دائرة الاحداق أصبح أمراً مستحيلا
وفضلا عن ذلك فان الجنود في اطراف التل الجنوبية والغربية قد خرجوا
عن طاعة الضباط ورفع بعضهم علامة التسليم من تلقاء أنفسهم فاذا دخل
العصاة علينا ونحن بين مستسلم يرمى سلاحه ومدافع يصر على القتال لا
يبعدان يقتلوا كل من وقع فى أيديهم . ولكنى رفضت اقتراح التسليم
أملا بان نقوى على الثبات مرة أخرى ووافقونى على رأيي ، بعضهم عن
قناعة وبعضهم عن طاعة عسكرية . على ان الامر خرج من أيدينا لان
العصاة تمكنوا من بلوغ التل والالتحام بالجنود فسلم أكثر الجنود أسلحتهم
الفارغة ولم يبق لنا محيص من قبول حكم الظروف القاهرة

ولم يحسن العصاة معاملتنا بعد أن صرنا في أسرهم وقد كنت أتوقع
ذلك منهم عند ما رفضت اقتراح التسليم لأنهم موتورون بمن قتل منهم
وهم عشائر جبلية ليست على شيء مما عند الجنود المنظمة من تقاليد
الحرب وانظمتها فالاسير هو تحت مطلق رحمتهم لا يمنعهم عن قتله نظام
أو أمر آمر .

وقد بولغ في اتهامهم أنهم مثلوا بالقتلى وقتلوا كثيرين من الاسرى
ولكنى أشهد أن لا صحة لاكثر ما أشيع ، وغاية ما فعلوه بعد وقوعنا في
أسرهم انهم قتلوا نائبا من أهل الصلت اسمه صالح الكردي ظناً منهم أنه

من إربد ، وقتلوا «الصداح» «حامل البوق أو البورزان» لشدة ماحقدوا
على صوت البوق الذى كان واسطة تبليغ بعض الاوامر. والذين ارتكبوا
هذا الجرم الفظيع هم من أحداثهم ممن قتل لهم اخوان أو آباء في اثناء
المعركة . وحاول رجل من قرية تبنة أن يجهز علي واتهمنى بقتل خاله أو
قريبه عبد الله الشقيرى وكنت أحسب انني مشرف على الموت في أية
حال لان دمي كاد ينفد من قوة نزيف الجرح فاشرت اليه أن يفعل ،
فتوقف لدى اشارتى من تلقاء نفسه ولست أدري هل كان الذي أمسك
يده عن نابض بندقيته عاملا من الشرف والمروءة أم كان ذلك لاستغرابه
أمرى واشارتى . وبعد أن تركنى لحظة عاد يهددنى بالقتل وصوب فوهة
بندقيته الى صدرى فلم أشك فى أنه فاعل هذه النوبة ، وعاودني الضعف
وحب الحياة فلم اكرر له الاشارة. على أن المقادير أبت أن يريح هذا
الرجل من اعباء الحياة ، وسخرت لنصرتى رجلا من أهل قرية زوبيا
اسمه صالح اسرع الى غريمي ودفعه عنى بعنف شديد . ووقفا يختصمان
وانا أرقبهما متمنيا في قلبي أن يتغلب صالح . فكان ما تمنيت واجتمع
اخوة صالح وابناء عمومته يذبون عنى لفيفاً من أعوان غريمي وأبناء عمومته
نفروا اليه بدافع العصبية ، ولم تقف مروءة صالح عند حد حمايتى بل جاوزت
ذلك الى الدفاع عن كل من كان قريباً مني من الضباط والجنود ، فلم يسمح
بأن يمسنا يد بسوء أو بأن يسلب منا شيء غير البنادق التى كان لا بد من
تسليمها وغير الخيول . وحملنا أخيراً على بعض خيلنا الى بيته فى زوبيا
ومنعنا فيه . أما سائر الجنود الاسرى فذهب بهم آسروهم كل الى قريته
وانتهبوا سلاحهم وخيولهم وما عليهم من الثياب الا ما يستر العورة .
وأساؤوا معاملة الضباط وارهقوهم بالتهديد ولكنهم لم يقتلوا أحداً الا

من ذكرت سابقا ولم يجهزوا على جريح أو يمثلوا بقتيل. وكل ما قيل عنهم من هذا القبيل كذب واختلاق

واتاني كليب الشريدي وولده عبد الله الى بيت صالح فأوضحت له انه انما يلعب بالنار في عصيانه على الحكومة وانها لا بد من ان تقتص منه . وأثر فيه كلامي وتكلم بما يؤخذ منه ان العصيان لم يكن مدبراً وانه بريء من التآمر على الحكومة فقلت له اذن اصلح بعض ما أفسدت بينك وبين الحكومة بكف اتباعك عن ايذاء الجنود وانتهاب مامعهم ومرهم بجمع الاسلاب واعادتها الى اصحابها وتسريح الاسرى من دون ان يؤذوهم في حياتهم أو مالهم ثم اقدم على حاكم اللواء أو على رئيس الحكومة في عمان فاذا كنت بريئا كما تقول فان العدالة لا تأخذك بشر . وعلمت الحكومة بما حدث وأمرت كليبا بتسريح الاسرى وبعد أخذ ورد قرر كليب ان يتقي بعض شر الحكومة بالاذعان لاوامرها فانتهى بذلك اسارنا بعد ان دام سحابة نهار كامل .

بعد الحادثة

يرى القاريء ان الحادثة في ذاتها لم تكن من الحوادث الكبيرة . وما حرب يثيرها مئة من الجنود ، وبضع عشرة مئة من عصاة الجبال بحرب يحفل بها التاريخ أو تصرف اليها عناية الاقلام ولكنها مع ذلك حادث كان له من الأثر السيء في سياسة المنطقة وادارتها الداخلية ماناء بحمله الوطنيون وأثقل عواتق رجال الحكومة وانصار فكرة الاستقلال ودعاة الاستغناء عن اعانة الانكليز. وقد توفقنا بعد سنتين من هذه الحادثة المشؤومة للتغلب على أهل الكورة والاقتصاص منهم فقضينا على روح الثورة

وارغمناهم على احترام الحكومة الوطنية ولكن لم يكن ذلك مدعاة للسرور الحقيقي لان الكورة خسرت في ثورتها الثانية خسارة كبيرة، واذلت وريضت للخضوع لاية قوة أخرى غير القوة الوطنية اذ ذهب من نفوس بنيها الاشداء كثير من الثقة بالنفس ووقع في قلوبهم رهبة من المدافع والطيارات وقام في أذهانهم ان القوة التي أخضعتهم هي قوة اليد الاجنبية المستترة وراء يد الحكومة الوطنية . تلك اليد التي تملك المال وتسير القوى وتسخر الفن — وفي ذلك ما فيه من الاضرار الادبية مما لا يخفى على بصيرة العاقل

وقد يستغرب القاريء أن يسمع مني مثل هذا الكلام وأنا أحد المسؤولين عما أصاب الكورة في حادثتها الثانية إذ كنت رئيساً لاركان حرب القوة التي قمعت الثورة. ولكن من السهل أن يدرك المرء سر إقدام الحكومة الوطنية على ضرب الكورة اذا علم ان روح التمرد التي نشرها كليب الشريدي في رجال قومه كادت أن تنفخ في عجلون أيضا وفي سائر الجزء الشمالي من المنطقة روحاً من التصدي للحكومة والاستخفاف بها، من شأنها أن تؤول بالبلاد حتما الى حالة لاتطاق من الفوضى. ولم يكن للحكومة الوطنية بد من أن تختار أهون الويلين فتجنح الى الحزم والشدة قبل أن يتهمها الانكليز بالعجز وسوء الادارة .

وجرت بعد الحادثة الاولى مفاوضة طويلة بين الحكومة وكليب الشريدي ومذاكرات لا أرى لزوماً للافاضة في ذكرها . على اني أقول مجملا ان الحكومة فرضت بواسطة لجنة منتخبة من رجالها ومن بعض أعيان المنطقة أن تدفع الكورة دية القتلى من الجنود (٢٥٠ ديناراً سورياً عن كل منهم)، وان تعيد الاسلاب من الخيل والسلاح وسائر التجهيزات العسكرية . فلم تنفذ الكورة من قرار الحكومة الا مايتعلق بالخيل وبعض

السلاح والتجهيزات أما المال المفروض عليها دفعه فلم تدفع منـه شيئاً .
وأبى كليب أن يواجه أحداً من رجال الحكومة خارج حدود الكورة، غير انه قبل بعد مفاوضات بأن يجتمع بالامير عبدالله في قرية سوف فحضر اليها ومعه عدد كبير من رجاله المسلحين. وقيل لي انه دخل على الامير وهو لايجرؤ على رفع بصره رهبةوخوفا وخرج من عنده وهو على أشد مايكون من الكبر والغطرسة والاستخفاف وأخبرني صديق كان حاضراً ان كليبا انس الضعف في الامير ورأى غير ما كان يتوهم من الغضب والهيبة فما عتم أن لحظ هذا وذهب مابه من الخوف وبدات رعدته بالجرأة فأخرج من جيبه كيسا من التبغ وأنشأ يلف منه لفافة كأنه جالس الى زوجه وأولاده .

وقد أصدر الامير عفواً عاما عن كليب الشريدي وجميع الثائرين من أهل الكورة وكان لهذا العفو اثره المطلوب من تسكين الحالة موقتا غير انه اضر كثيراً من وجهة اخرى إذ رفع كليبا في نظر قومه فعظمت هيبته في قلوبهم وجرؤ الناس على الحكومة في جهات اخرى من المنطقة مما لاشأن لنا به الآن .

(انتهى ماكتبه فؤاد بك سليم)



بعد الكورة !

جنود الطيارات . المجلس النيابي . الضائقة . استقالة المشاورين الخ

عاد الامير ورئيس مجلس المشاورين ومن رافقهما في رحلة عجلون ، وكلهم واثق بأن أكبر خطأ كان في سفرهم هذا هو سير سمو الامير في مقدمتهم ، يحل بلينه ما يعقدونه بحزمهم . وينقض بتحببه ما يبرمونه بحكمتهم ، ولو أقام في مقره — العالي — بعمان موفور الكرامة بعيداً عن الاختلاط ، لاستطاع أعوانه القاء الرهبة باسمه في القلوب ، ولما تحدث بضعفه وضعف من معه الغادون والرائحون ، بل لما جسر زعيم العصاة على اخراج جراب تبغه في حضرة سموه وتدخين لفافته آمنا غير مذعور!

* * *

وما استقر برئيس المشاورين المقام في عمان ، حتى دعاني اليه[1] فجئته فقال : ماهذه الجنود البريطانية التى أراها في رابية « مركة » على مقربة من خيام الامير ؟ قلت : جاءت وأنتم في عجلون ولم يكتب لنا المعتمد البريطاني بشأنها حرفاً . فأخذ القلم وكتب خلاصة صغيرة جعلتها رسالة الى المعتمد وموضوعها الاحتجاج على الاتيان بقوة من الجند بغير علم الحكومة وطلب اعادتهم واخبار الحكومة باليوم الذى يبرحون فيه شرق الاردن . وختام الرسالة ان الحكومة تحتفظ بحقوقها التي يمسها هذا العمل

* * *

(١) وكنت قد عينت مديراً لرسائله

لم يجب المعتمد البريطاني على الرسالة . وا كتفى بان شكا رئيس المشاورين الى سموالامير ، وهذا أخبر الرئيس بأنه علم بقدوم الجنود ولم ير بأساً في اقامتهم مدة .. يحافظون على الطيارات الاربع !!

قال رشيد بك : ولكن هذا ياسيدى الامير من خصائص الحكومة وكان أولى بسموكم أن تؤخروا موافقتكم الى ما بعد مذا كرتي ومذا كرة رفاقي .

فأجاب الامير جواباً مبهماً ،ولم يفد رشيداً إصراره ولا نفع الامير اقراره واعتذاره !

* * *

ورأى رشيد بك أن بقاء الحكومة على هذا الطراز ، تبني ويهدم الامير ، وتبرم وينقض الامير ، أمر غير محمود العواقب فلم يجد وسيلة للنجاة من تبعة الاسترسال في ما هم عليه غير جمع المجلس النيابى . وقد سبق لنا ان ذكرنا شرطين اشترطهما رشيد بك قبل نهوضه لتأسيس الحكومة ، أحدهما أن يكون للبلاد مجلس تنتخبه انتخاباً صحيحاً ، وقد رضي الامير يومئذ .

* * *

أقبل رشيد بك على الامير يطلب منه الموافقة على الشروع في الانتخاب وجمع المجلس ، فأعرض الامير وأبى ، فأعاد رشيد الكرة ، وبدا للامير تشدده ، فوافق بعض الموافقة ، ثم تفلت بقوله : وعليك أن تبدأ بترشيح من ترى !

رشيد : وكيف ذلك ياسيدي ؟

الامير : لتعيين أعضائه !

رشيد : وأية قيمة لمجلس نعين أعضاءه تعييناً ؟

الامير : إذن ؟

رشيد : يجب ان يكون المجلس منتخبا برأى الاهالى

الامير : لا ! هذا لا يكون

وانفتل رشيد بك يسرد للامير براهينه على وجوب جعل المجلس منتخبا ، والامير مصر على التعيين ، الى أن قال الامير : إذن تنتخب المدن والقرى أعضاءها في المجلس ، أما العشائر فنعين لها من ينوب عنها . فاعترض رشيد ، واشتد الامير ، وانفض اجتماعهما على غير جدوى . .

* * *

وأصبحت الحكومة يوم ٢٢ حزيران (يونيو) ٩٢١ وقد أنهكت جندها وأفرغت صندوقها حادثة الكورة ، ولم ينفعها الالحاح على حكومة فلسطين بطلب حصة المنطقة من واردات الجارك ، واختص سمو الامير نفسه وحاشيته وخدمه وعبيده وخيله وجماله بما كان يتناوله من وزارة المستعمرات البريطانية بوساطة المندوب الأعلى في فلسطين ، فضج رشيد بك ورفاقه فى الحكومة من سوء الحال، وتقدم مشاور الامن والانضباط علي خلقي بك الى الامير معلنا عجزه عن استبقاء الضباط والجنود في أعمالهم حفاةً عراةً جياعاً .. فلم يكن من الامير الا أن تجهم فى وجه علي خلقي واختلق أسباباً جعلها مدعاة للحنق عليه ، وتحدث الناس فى عمان على أثر ذلك بأزمة فى مجلس المشاورين . .

* * *

لقد كانت الازمة .. واشتدت ولم تنفرج .. وختمت باجتماع مجلس المشاورين واتفاقهم على رفع كتاب الاستقالة الآتي نصه الى اعتاب سمو الامير !

العدد : ٦٣

لاعتاب سمو مولاى الامير المعظم أيده الله

لما عهدتم سموكم لي بادارة هذه المنطقة أمرتم بأن الحكومة البريطانية وعدتكم بالمساعدة اللازمة لتشكيل قوة قادرة على تأمين الامن فيها، وقد صرح بذلك السير هربرت صموئيل حين مجيئه لعمان ، وقد مضى على تشكيل الحكومة نيف وثلاثة أشهر ولم تحصل على أقل مساعدة من الحكومة المشار اليها ، هذا فضلا عن أنها لم تظهر ما كنا نتوقع اظهاره من التساهل والمعاونة في امر تعيين مايصيب هذه المنطقة من واردات الجمارك، فانضم لضعف القوة الضعف الناشيء عن الضيق المالى الذى جعل الحكومة تضطر للتشديد فى تحقيق الاموال الاميرية وتحصيلها فحصلت مسألة الكورة ولم تتمكن الحكومة من تأديب أو تهديد المجرمين فيها كما أنها لم تتمكن بهذا السبب من إيفاء بقية وظائفها حسب رغائب سموكم . وعليه بعد المذاكرة مع زملائي الآخرين لاجل اتخاذ تدبير يحسن الحالة الحاضرة لم نر لها تدبيراً سوى تشكيل قوة تساعد الحكومة على العمل الامر الذى لم نتمكن من الحصول عليه ولذلك أتيت مقدما لسموكم استقالتى مع هيئة الحكومة الحاضرة لتأمروا من تعتمدون عليه بتشكيل حكومة قادرة على العمل ضمن هذه الشروط وبكل الاحوال الامر لمولاى المعظم أيده الله

١٧ شوال سنة ٣٣٩ المرافق ٢٣ حزيران سنة ٩٢١

الكاتب الاداري ورئيس مجلس المشاورين

«رشيد طليع»

ورفع رشيد بك واخوانه كتاب استقالتهم هذا الى «أعتاب الامير» فصدرت « الارادة المطاعة » بتأجيل ذلك الى ما بعد أوبة سموه من الكرك ، وكان مزمعاً السفر الى ذلك اللواء .

وسافر الامير الى الكرك يوم ٢٥ حزيران ، يصحبه كاتبه الادارى رئيس مجلس المشاورين، والمستر ديدس السكرتير المدنى المندوب السامي بفلسطين ، والمستر ابرامسون المعتمد البريطانى بعمان ، والماجور سمرست (المعروف اليوم باللورد رجلان) وغيرهم

* * *

آب الامير ورفاقه من رحلتهم هذه واستؤنفت فكرة الاستقالة في عمان ، فصدرت الارادة يوم ٥ تموز (يوليو) ٩٢١ بتأليف المجلس من الآتية أسماؤهم :

(١) رشيد بك طليع : الكاتب الادارى والمشاور الملكى ورئيس مجلس المشاورين (ابقاء)

(٢) الشريف شاكر بن زيد : نائب العشائر (ابقاء)

(٣) مظهر بك الرسلان : المستشار المالي (بدلا من حسن بك الحكيم المستقيل)

(٤) رشدى بك الصفدي : مشاور الامن والانضباط (بدلا من على خلقي بك)

(٥) احمد بك مريود : معاون نائب العشائر (ابقاء)

(٦) غالب بك الشعلان : مستشار القيادة العامة

(٧) الشيخ محمد الخضر الشنقيطي : قاضى القضاة (ابقاء)

* * *

ونظرة واحدة في هذه القائمة تدلك على أن ضعف المنطقة كان باديًا في نبضيها العسكري والمالي ، فقد تنحي مشاور الامن واستقال المشاور المالي وحل محل كل منهما خلف له .

أما المناصب ٢ و ٦ و ٧ فكانت زائدة لا حاجة اليها ولا عمل لاصحابها ،غير أن رغبة الامير بنقل مشاهراتهم من حساب المقر الى حساب الحكومة ، حشرتهم في هذه الزمرة واليك البيان :

الشريف شاكر بن زيد : من أقارب الامير ، وهو شجاع عاقل مهذب ، لم يكن يحضر اجتماعا من اجتماعات المجلس وليس له توقيع على قرار ، وانما كان معاونه ينوب عنه في كل عمل .

غالب بك الشعلان : كان مرافقا لسمو الامير ، ثم انتحل الامير لنفسه لقب « القائد العام » ليسمى غالبًا « مستشار القيادة العامة » ولم يكن هناك جند غير جند الامن ، فلا معنى للقيادة العامة ولا عمل لمستشارها

الشيخ الشنقيطي : فقيه كما سبق لنا وصفه في حاشية ، ولكن أي عمل لقاضي قضاة في مجلس حكومة لا يتجاوز القضاة فيها أصابع اليدين عدًّا ؟ ولماذا لا يكون قاضي العاصمة مرجعا لقضاة المنطقة ؟

* * *

وعلى هذا استلم كل ذي منصب منصبه ، وانثنى رئيس المشاورين يبحث مع المشاور المالي عن طريقة تحصل بها المنطقة على مالها من حصة في الجمارك ، فلم يريا غير السير الى القدس ومد اليد الى الينبوع ، فبرحا عمان في أوائل العشر الثاني من تموز (يوليو) ١٩٢١ وعادا بعد أيام يحملان مبلغا من النقود على حساب الحصة الجمركية

* * *

وبينما كان رشيد بك في القدس نشر محرر جريدة لسان العرب حديثًا معه جاء فيه ما خلاصته :

«رشيد بك طليع اداري تقدمه من الافعال والآثار في ادارة ولاية حلب ما يكفي بينة على اقتداره .

« سألته عن المهمة التي قدم بها فأجاب :

ـ تعلمون أن الحكومة البريطانية ، بعد حوادث دمشق في العام الماضي ، عهدت الى الامير عبد الله بادارة منطقة شرق الاردن وحفظ الامن والنظام فيها ، وان سموه رضي بكل سرور أن يقوم بهذه المهمة على ما يحيط بها من المصاعب السياسية والمالية والادارية .

«ولكن لما كان المال عصب كل عمل في هذا الزمن، وكانت الحكومة الانكليزية قد أعربت لنا عن رغبتها في مساعدتنا لاصلاح الادارة وحفظ الامن في هذه المنطقة ، كما ورد في خطاب المستر تشرشل الذي القاه أخيراً في مجلس النواب ، كان من الامر الطبيعي أن نراجع وكلاء الحكومة الانكليزية في هذه الشؤون. ولا اخفي عنك أننا جئنا لهذه الغاية

« من السهل حفظ الامن في منطقة أهلها عزل من السلاح ولكن من أصعب الامور حفظه في بلاد أهلها من ابن عشرة أعوام الى الشيخ المعمر يحمل البندقية كما يحمل ابن المدن عصاه ويراها من ألزم لوازم هذه الحياة فاذا كانت فلسطين العزلاء تحتاج الى ألوف الرجال من البوليس والدرك والجند النظامي لحفظ الامن والراحة فيها فهل يعقل أن حكومة شرق الاردن تستطيع حفظها بمئات قليلة من الدرك غير منظمة ؟ ان الذي يطالبها بذلك هو متعنت يسأل ادارتها ما هو فوق طاقة أية ادارة كانت . ومع كل ضعف وسائلنا المالية والانضباطية نجد أن الحوادث عندنا تكاد لا تذكر بالنسبة

لحوادث البلاد العربية التي تجاورنا .

— عسى أن تكونوا قد توفقتم في مهمتكم هذه ؟ .

— الامر المعقول لا جدال فيه بل يكفي في درسه وتمحيصه قليل من الاخلاص في النية والحزم في العمل . ولنا ثقة كبرى بحكمة رجال الحكومة الانكليزية في فلسطين وأمل يحملنا على الوثوق بحل هذه المشاكل ان لم يكن اليوم فغداً ، لان حفظ الامن عندنا واصلاح الادارة يهم هذه المنطقة التي تجاورنا بقدر ما يهمنا . لهذه الاسباب ولما بيننا من الصلات الودية الخالصة نعتقد بأنهم يساعدوننا مساعدة فعلية على تحقيق ما يطلب منا في أقرب وقت .

— هل تودون على ذكر رجال حكومة فلسطين ، أن تقولوا لي ما هي علاقة حكومة منطقة شرق الاردن بحكومة هذه البلاد ؟

— ان علاقتنا هي بنواب الحكومة البريطانية من رجال حكومة فلسطين . وما خلا هذه العلاقة فلا رابطة البتة تربط حكومتي المنطقتين . (اه)



الخلاف !

كان في مواد اتفاق الامير عبد الله مع المستر تشرشل أن تقدم الحكومة البريطانية إعانة نقدية لحكومة الامير تقوم بنفقات قوة عسكرية تكفي لصون الأمن في شرق الاردن ، ولكن لم يعين يومئذ عددها . ولما أتت حادثة الكورة بنتائجها السيئة وضاق ذرع الحكومة عن الانفاق على جندها ، واستمر الامير يتناول مشاهرته التي كانت خمسة آلاف جنيه ، من وزارة المستعمرات ، يضن على الحكومة بقليل منها تستعين به على سد أرماق الجنود ، اضطرت الحكومة الى مطالبة البريطانيين بما تعهد به تشرشل ولم يمتنع المعتمد البريطاني في عمان عن إجابة الطلب مشترطا — من طرف خفي — شرطين : الاول أن يتولى دفع المرتبات والانفاق على القوة ضابط بريطاني هو بيك بك ، والثاني : ان يكون عددها ٧٥٠ جندياً . ورأى رئيس المشاورين في هذين الشرطين غبناً للحكومة فاعترض على الاول آبيا إلا أن تتولى حكومة المنطقة القبض والدفع ، واعترض على الثاني بأنه غير كاف لصيانة الامن ، وحصر طلبه في أن تدفع الحكومة البريطانية الى حكومة شرق الاردن إعانة تكفي للانفاق على ١٥٠٠ جندي منظم للمحافظة على الامن الداخلي ومنع اعراب المنطقة وغيرهم من التعدي على حدود سورية وفلسطين

وكثر الاخذ والرد بين الرئيس والمعتمد فلجأ رشيد بك الى الامير يستعين به على أقناع أصحابه ، ولم يكتم الامير تألمه من شرطي المعتمد ووعد بأن يكون ظهيراً لرشيد بك في طلبه

ولكن لم يمض غير يوم واحد حتى اقبل المعتمد يبلغ رئيس المشاورين موافقة سمو الامير على الشرطين ، وهرع رشيد بك يسأل الأمير فأجابه : نعم !

* * *

كان هذا الحادث فاتحة الخلاف بين الامير ورئيس مشاوريه . واذا اضفناه الى اختلاف وجهتي النظر بينهما في موضوعي المجلس النيابي وحرس الطيارات البريطاني ، عرفنا ماسيكون . فقد ظل رشيد بك متشدداً في طلب انتخاب المجلس والامير يأباه ، وظل رشيد منكراً على البريطانيين إبقاء قوة عسكرية انكليزية في رابية « مركة » باسم « حرس الطيارات » والامير مستأنس بقربها من خيامه ، وكانت هناك امور اخري اتسعت بها شقة الخلاف فلم يبق سبيل للاتفاق ..

* * *

قصد رشيد بك مقر الامير فى صباح يوم من أغسطس ١٩٢١ وعند الامير جمع بينه زعيم ثورة الشمال في سورية ابراهيم بك هنانو ، وبعد أن جلس رشيد بك وتبودلت كلمات المجاملة التفت اليه الامير فحدثه بأن المعتمد البريطاني أخبره أن المستر تشرشل وزير المستعمرات أبرق الى حكومة فلسطين قائلا إن الامير عبد الله كان عليه أن لايعين لرئاسة حكومته رجلا عرف بالعداء للفرنسويين، وأن فرنسا تشكو من أعمال ذلك الرجل ، فان لم يستبدل به غيره اعتبرت حكومة انكلترة نفسها في حل من كل ما وعدت به الامير من المساعدة ، وستبدأ ذلك بقطع الاعانة التى خصصت بها سموه شهريا ..

وأردف الامير تصريحه هذا بأن المعتمد لا يرى حلا للمشكل غير إقالة رئيس المشاورين الحالى !.

لم يعجب رشيد بك لهذه المفاجأة، لانه كان واثقا بأن ما بينه وبين الانكليز والامير لن ينقضي بسلام ، ولكنه أجاب الامير بكل هدوء : أنت تعلم أنني كنت ولم أزل مستعداً لترك الحكومة حين أرى المصلحة تقضي بذلك ، أما الآن فمصلحة البلاد لا تجيز لي أن أتنحى لاسباب ليست فى الحقيقة غير رغبة المعتمد البريطاني

قال الامير : وتشرشل أيضا .

فقال رشيد : لا دخل لتشرشل في الامر ، ولكن المعتمد يوهمك ذلك ايهاما ، وسيكون لانسحابي من الحكومة ، اذا تم على هذه الصورة ، أسوأ تأثير في حال المنطقة السياسي ، اذ يجرىء الاجنبي على أن يكلفك كل يوم تأليف حكومة جديدة ، وربما سمى لك أشخاصها في المستقبل ..

***

ولم يخف على رشيد بك تواطؤ الامير والمعتمد على اختراع هـذه الوسيلة للتخلص من مطالبه واعتراضاته ، فختم حديثه مع الامير بقوله : ليس من الرأي أن يجاب المعتمد الى رغبته هذه ، وأما إن كنت أنت ترى ابتعادي عن رياسة الحكومة لاسباب أخرى فذلك أفضل للمصلحة ولك ان تعدني مستقيلا من هذه الساعة ..

غير أن الامير استأنف مراوغته ، فأقسم أغلظ الايمان على أنه بريء من هذه التهمة وأنه لو لا مضايقة الانكليز له وإلحاحهم عليه لما فاتحه في الموضوع ، وكيف يكون ذلك بعد أن أقسم له بتربة جده على أن لا يفرق بينهما غير الموت !

وتلقى مظهر بك ارسلان في صباح اليوم الثانى أمر الامير باسناد وكالة الرياسة اليه فتسلم العمل ، ثم أصبح رئيسا أصيلا بعد يومين .

* * *

ولما لم يبق أمام الامير والمعتمد من يحول بينهما وبين ما يريدان عمله في المنطقة ، نشط بيك بك « مفتش الدرك العام » فألف «القوة السيارة» وجعل ينفق عليها مباشرة مما يتناوله من حكومة فلسطين . وضرب صفحاً عن فكرة المجلس النيابي ، واستفحل أمر الحرس البريطاني في « مركة » فأصبح قوة منظمة، ظاهر الغرض منها حماية « مركز الطيران » وباطنه توطيد القدم الانكليزية في تلك المقاطعة ، وأصبحت حكومة شرق الاردن لا هم لها الا حراسة الحدود والنزول على ارادة المعتمدين الذين كانوا يتعاقبون واحدا بعد آخر .

فيصل في العراق !

لم يُصدم الامير عبد الله صدمة خارت لها قواه وبدا فيها وهنه ، أشد من صدمة خبر نقله اليه البرق مؤذنا بوصول فيصل الى العراق وترشيحه للملك !

* * *

تلك الساعة التي لم يستطع فيها عبد الله ضبط نفسه ، فسخط على أبيه لموافقته، وسخط على فيصل، لقبوله، وسخط على زيد، لابراقه اليه، وسخط على فؤاد الخطيب، لبيت قاله[1]، وسخط على الانكليز، لغدرهم به ، وسخط على أهل العراق ، لنقضهم بيعة بعضهم له ، ويالهول تلك الساعة . . !

* * *

تاج العراق يزدان به مفرق فيصل !

أهل العراق يستقبلون فيصلا ويبايعون لفيصل !

فيصل يملك العراق وعبد الله حي يرزق !

تلك والله قاصمة الظهر !

* * *

آن لنا أن نعرف ما للاحلام من التأثير في عقل صاحب السمو الملكي الامير عبد الله .. وأى حُلم أعجب من توهمه أن يصيب ملكاً عريضاً في بلاد مساحتها ٣٧١ الف كيلومتر مربع، وسكانها ٣ر٨٤٩ر٢٨٢

(١) أنظر الصفحة ١٤٥

نفساً، وهو لم يخط اليها خطوة، ولم ينطق في سبيل مصلحتها بكلمة، ولم يلبِّ لها دعوة، ولم ينفق عليها دانقا ؟!

وهل يكفي المرء، تأهيلا لارتقاء عرش ولبس تاج، أن يكون كثير الكلام في غير تفكير، شجاعا حين يخلو بأرض، بعيداً عن الحضارة، كارها لاهلها، همه شطرنجه، وديدنه هزله ولعبه ؟

* * *

إن كان الامير عبدالله يحسب هذا سبيل بلوغ الارائك، والصعود الى سُرُر الممالك، فليلم سوء رأيه قبل لوم قضاء الله وقدره، ولينظر الى ما أمامه يرَ الشوط بعيداً والمدى واسعاً، وما أبعد الملك عن غير ساع اليه !.

* * *

لقد كان الامير عبدالله يخشى كل الخشية أن يزاحمه على العراق مزاحم، وكان يحب أن يدعى بلقب « صاحب الجلالة » وخاف أن يسلبه تقدمه الى شرق الاردن وسورية ذلك اللقب، فاحتفظ به الى حين، وأذاع في أعوانه أن يلقبوه « نائب جلالة الملك » وأكثر من بيان أنه آت لينقذ بلاد الشام ثم يسلمها أخاه فيصلا وينصرف الى العراق !، وكان كثير النيل من أخيه فيصل لا يفتر لحظة عن نعته بالضعف والخور، وطال ما كان يذكر وقعة ميسلون ويقفيها بقوله : لو كنت صاحبكم !!

ومن الغريب في أمر هذا الامير أنه لم ييأس من عرش العراق – ولن ييأس ! – وليس أدل على هذا من تصريح له في احدى مناقشاته مع بعض رؤساء حكومته وكان البحث دائراً حول الموازنة المالية العامة في شرق الاردن وما يخصص لسمو الامير منها فقال الامير : كم يأخذ فيصل

في العراق ؟ فقيل : يأخذ ستة وثلاثين الف جنيه في السنة، فقال : ليكن لي مثلها هنا . . فأجيب لست هناك يامولانا فالموازنة في العراق خمسة ملايين جنيه وهي في شرق الاردن مئة وخمسون الف جنيه ! فقال : أعلم ذلك ولكنني أنا ملك العراق الشرعي وكل ما يأخذه ذاك هناك يجب أن آخذه تعويضاً هنا ...

* * *

وانظر الى رسل الدعوة، وكم ينفق عليها عبد الله من أموال شرق الاردن، لتذهب الى العراق وتعود، ولولا أن يقال وشاية لاتيت على أسماء من لاينكر الامير أنهم دعاته في العراق . . .

وما أنس لا أنس رسوله الى أنقرة في عنفوان ثورتها وقد قيل يومئذ إن اتفاقا سيعقد بين الامير والترك على مهاجمة العراق وفيصل فيه . . !

* * *

عاد من مكة في منتصف ابريل سنة ١٩٢٢ أخ للشيخ فؤاد الخطيب الشاعر، اسمه شفيق، فقصد مقر الامير يسلم على من فيه، وكان ينتظر أن يسأله الامير عن فؤاد، فسأله، فأخرج شفيق من جيبه قصيدة جديدة نظمها الشيخ فؤاد يمدح بها الامير عبد الله، وجعل يتلوها والامير مصغ حتى بلغ قوله :

تنازل عن عرش العراق تكرّماً   وأفضل من عرش العراق تنازله!

ففار الدم في وجه الامير، وارتفعت يده بالخيزرانة يضرب بها التراب، واهتز مضطربا لا يدري ما يقول – وهو القدير على القول ! – ثم انتفض، والذعر ينتاب شفيقاً، وقال : كلا! لم أتنازل ولن أتنازل ..! من قال لفؤاد اني تنازلت ؟؟ العراق لي ولن يتم لغيري أمره . . !

وسورية ؟

الامير عبد الله قليل الاتعاظ بما يسمع ويرى، لا لقلة ما يمر به، ولا لانه لا يسمع ولا يرى، بل لانه لا يحب أن يعانى تعب التفكير خشية أن يثور عليه مرض فيه — عافاه الله منه — هو مرض الخفقان

* * *

ولكنه على الرغم من ذلك كله استفاد درسا واحداً تلقاه عن أخيه الملك فيصل، استنتاجا لا تلقيناً. فالامير عبد الله يعتقد اعتقاداً راسخاً ويؤمن إيمانا ثابتاً بأن فيصلا لم ينفعه في شدائده وأزماته غير استصحابه الانكليز. ولا يمكن أن يخالج عبد الله الريب فى أن صداقة فيصل للانكليز هى التى جعلتــه ملكا لسورية أولاً وأنها هى التى منحته لقب ملك العراق ثانيا، وأنها هى التى ستجد لفيصل في كل يوم عرشا وتاجاً مادام على ولائه وموالاته..

* * *

ذلك درس تلقاه عبد الله، واستفاد منه ان طالب الملك لا بد له من أيد ترفعه اليه، وأن تلك الايدى لا تنفع ما لم تكن ناعمــة الملمس ريانة من ماء التاميز!، ولكن سموه أراد أن يسبق أخاه، فلم تلن له اليد التاميزية حتي بادر بجس نبض اليد الباريزية.. وهناك الحُلم الثانى وقد نكون بتأويل الاحلام عارفين!

* * *

ليس من المستطاع أن ينسي الامير عبد الله ساعة له قضاها في حيفا مع ضابط افرنسى، ظنــه قنصــلا فحادثه معاتبا الحكومة الافرنسية على بعــدها عن موادة العرب، وأجابه الضابط بأن العرب اكتفوا بود الانكليز، وانتهى الحديث بجملة قالها له الضابط الافرنسى هي «وعسانا نلتقي قريباً في بيروت فنمحو أسباب العتاب» .. !

هذه كلمة تاريخية في عرف الامير، يعيــدها ويكررها في صبحه ومسائه.. نلتقى في بيروت! قنصل إفرنسى يشير الى أنني سأدخل بيروت! ما أعذب هذا القول وأحلاه!

وعبثاً حاول الكثيرون، إذ أرادوا إفهام سمو الامير أن كلمة الضابط أو القنصل لا قيمة لها في مثل هذا الشأن، وأنها ليست بنت القلب وانما هي بنت المجاملة، وأن عرش سورية لا ينهض به اليه تقربه من موظف صغير لا يحل ولا يعقد..

إنه لا يريد أن يفهم هذا، فهل من سبيل الى إفهامه أن عرشا تصعد به اليه يد أجنبية لا يصح أن يسميه عرشا، وأن اليد الاجنبية لا تصوغ تيجاناً وانما تصنع أكاليل من شوك ؟!

* * *

وصل الجنرال الافرنسي «ويغاند» الى بيروت في منتصف الشهر الخامس من سنة ٩٢٣ فقال الامير: سنحت الفرصة!

ومن حسن حظ الامير أن كان عنده حين بلغه الخبر، الفيلسوف التركي رضا توفيق بك، فأسر اليه سموه كلمة، فقام الفيلسوف يكتب بالافرنسية.. ودوت أسلاك البرق ناقلة الى بيروت ما نصه بالحرف:

وأذكر أنني ، في ذلك اليوم ، رثيت لاموال شرق الاردن وأسفت على ثلاثة آلاف جنيه قيل لي انها ذهبت في هذا السبيل وأمثاله من أوهام الاحلام وأحلام الاوهام !

ولو أراد الله الخير بهذا الامير لاكثر في حاشيته من مثل ذلك الرجل الذي اعترضه بالحجة والبرهان فحال بين سموه وبين السفر الى حيفا عن طريق درعا

ولم ذلك ؟ أمن الخطل المرور بدرعا ؟٠

لا ، ليس من الخطل المرور بدرعا ! ولكن الخطل كله فيما كان عليه إزماع الامير ونيته ..

لم يكتم الامير في مجلس خاص انه سينزل في محطة درعا ، ولم يشك في أن ضابط المحطة سيحتفي به.. بل إنه كان يعلم أكثر من هذا ، فقد نقل اليه أن المستشار الافرنسي بحوران سيدعوه الى تناول الطعام على مائدته ، وأن الحديث سيكون رقيقاً ، ولعل اسم سورية ووصف تاجها سيتناولهما الكلام ، على الطعام ، وماذا بعد هذا إلا ارتقاء العرش ...!

* * *

عن عزيمة الامير هذه نشأت إشاعة « المفاوضة » القريبة بين أمير شرق الاردن وممثلي الافرنسيس في سورية .

ولقد تكررت الاشاعة في أوقات أخرى وكانت لها أشكال أقرب من شكل « المفاوضة » هذا الى نيل المطلوب ..

وماصدرت اشاعة إلا وفي المقر خلوة ، وقادم من سورية ، أو ذاهب اليها ..

ولقد عاش أفراد ـ أعرف بعضهم جيداً ـ من حساب الذهاب والاياب ، بين مقر الامير في شرق الاردن ومقر البعثة ، على مايزعمون ، في الشام !

أية صلة بين الامير ، الثائر ، منقذ سورية ، ومحررها .. وبين ضابط افرنسي اسمه « موريس » أو « موريش » جاء الى عمان مندوبا من بعثة الشام لأمر يتعلق بالجمارك ، فأهداه الامير حصاناً أزرق من خيل المقر ؟

أإكراماً لذلك الضابط الجميل القبعة الرشيق القوام ؟ أم مكافأة له على خدمة قدمها لحكومة شرق الاردن ؟ أم لابتسامات تكررت منه في وجه الامير ؟ ! ٠

الحصان الازرق لا يهديه « ثائر » الى « مثور عليه » ولا يهديه الامير إلى غير مرضي عنه أو مأمول منه خير . .

بمثل هذه الهدية ، وبمثل هذا الوسيط ، يعتقد الامير عبد الله أنه يصل الى عرش سورية . . ولعل القارىء لو سأل حسن خالد (باشا) الصيادي عن حديثه ، مع الامير ، قبل سفره إلى مقابلة المندوب الافرنسي الاكبر بلبنان وبعد أوبته في شهر تموز (يوليو) ٩٢٤ لعلم أشياء كثيرة مما يدور في مخيلة هذا الامير الحالم وهو يقظان !

* * *

يجب أن يعلم الامير عبد الله ، وسماسرته ووسطاؤه ، أن سورية العربية العاملة على استقلالها ، العارفة بما يراد بها ، الآخذة بتحطيم أغلالها ، تسحق كل تاج تحمله اليها يد أجنبية ، وتحتقر كل متصد لبسط نفوذه فيها عن طريق المساومة مع الاجنبي

ويجب أن يعلم هذا الامير وحده ، قبل غيره ، أن الاجنبي إن رفعه الى منصب من مناصب سورية ، فستنزله الامة الناهضة عنه قبل أن يستقر فيه ، وأن كل سعي يسعاه في هذا السبيل ، على هذا النحو ، ذاهب سدى أو آت بفتنة تصيب الذين ظلموا خاصة . . .

مشروع لورانس

التقى جلالة الملك حسين في جدة بصديقه القديم الكولونيل لورانس في منتصف شهر (سبتمبر) ٩٢١ وكان لورانس متأبطا مشروعا جديداً لمعاهدة بريطانية حجازية تقوم مقام الوعود الكثيرة التي دس جلالة الملك حسين مسوداتها ومبيضاتها في كيسه الازرق ، ودارت المناقشة بين الملك والكولونيل ، فأصر الاول على امتناعه عن امضائها وألح الثاني مبينا ماتشتمل عليه من المنافع للعرب والحجاز ، ولكن الاول تغلب ، فقفل الثاني خائبا

* * *

وفي أوائل اكتوبر (تشرين الاول) ٩٢١ كان لورانس في عمان يباحث الامير عبدالله بالمعاهدة وضرورة توقيعها ، والامير على ماعرفناه لبيب ، تكفيه الاشارة ، فلا يحتاج رجال التاج البريطاني الى الكثير من الادلة والبراهين لاقناعه

عرف الكولونيل لورنس أن الامير موافق ، إن كانت تنفع موافقته ، ولم ير لورانس أن يعود بمعاهدته خالية من توقيع أحد الامراء بعد أن رفض الملك توقيعها ، فاكتفى —موقتاً— بأن شرف سمو الامير عبد الله بتوقيعه الكريم نسختين منها احداهما بقيت عنده والى جانب توقيعه فيها توقيع لورانس ، والثانية احتفظ بها لورانس على أمل أن يكون لها يوم !

* * *

أما مواد هذه المعاهدة فلم تنشر ، ولم يطلع عليها غير أفراد قلائل ممن يثق بهم لورانس أو الامير كل الوثوق ، عرفنا منها مادة واحدة كانت في جملة ما عوتب الامير على رضاه به ، ومعناها «أن تكون حدود مملكة الحجاز الحدود الاصلية لولاية الحجاز في عهد الترك» وفي هذا النص كما ترى سلخ العقبة ومعان وتبوك عن الحجاز لالحاقها بمنطقة شرق الاردن ، وما شرق الاردن إلا قطعة من فلسطين حيث يراد انشاء الوطن القومي للصهيونيين وحيث النفوذ البريطاني قابض على كل يد وعنق !

* * *

قال أحد خاصة الامير لسموه : كيف وافقتم على هذه المادة وفيها من حصر الحدود الحجازية في دائرتها الضيقة مافيها ؟

فأجابه : ألا يكفي أنها تخولنا مطالبة الانكليز باستعادة « الخرمة » و « تربة » من ابن السعود !

* * *

على أن ماكنـــا نحذره من المعاهدة ، وإن لم يتوجها الملك حسين بتوقيعه ، قد وقع ببرقية وردت على الامير عبدالله من جلالة أبيه يتنزل له فيها عن معان التي جعلها منحة شخصية لسموه يديرها بمعرفته . فجاز لنا أن نقول مع الشاعر :

قد كان ماخفت أن يكونا   إنا الى الله راجعونا !

* * *

وأخذ البريطانيون بعد ذلك يقصدون الى معان زواراً ورواداً ، ووزراء وضباطا وجنوداً ومهندسين ، يرافق بعضهم سمو الامير عبدالله أو بعض رجاله ، لايدفعهم عن وادي موسى والشراة دافع ، ولا يصدهم

صادٍ ، وهناك عين واحدة كانت تدمع وتكاد تقطر دماء هي عين ساكن «الجفر» يومئذ المرحوم عوده أبي تايه شيخ التوايهة من عرب الحويطات أقوى عشائر تلك الأنحاء .

قصة قصيدة

ضم مجلس الامير عبد الله يوم الاثنين ٤ يوليـه (تموز) ١٩٢١ جماعة منهم رشيد بك طليع ، والشيخ كامل القصاب ، ونبيه بك العظمة ، واحمد بك مريود وخالد بك الحكيم . وسألني الامير عما قلت من شعر ، فكان جوابي لا جديد ، وتكلم الاستاذ القصاب فذكر قصيدة لي وقرأ بيتين منها ، فتعلق بها الامير ملحاً ، فلم يسعني إلا أن اتلوها ، وكنت قد نظمتها على أثر انعقاد «المؤتمر العائلي» [1] في جدة وسفر الملك فيصل الى العراق ، ووجهت القول في ختامها الى الامير عبد الله ، ومطلعها :

تذكرت والذكرى تفيض جراحها ... دما فجرته مكة وبطاحها
وأوحشني والعين تأبى رقادها ... غدوّ خيالات الهوى ورواحها

ومنها :

أقلب طرفي في الرجال فلا أرى ... شمائل لا ينعى علي امتداحها
عذيري من أيامي الغبر أنني ... أصاولها حتي يهون اطراحها
وما لفظتني أم صبح لريبة ... علقت بها أو رف فوقي جناحها
ولكنني أحسنت ظني بأمة ... تعاصي على أهل الصلاح صلاحها

(١) رئيس هذا المؤتمر الملك حسين ومن أعضائه الذين حضروه ابناؤه الامراء علي وفيصل وزيد .

ومنها :

كأني بأبناء الحسين بدت لهم ... مناهج ، عذب مستساغ قراحها
أحاديثهم دوّى بها كل محفل ... أكاذيبها مروية وصحاحها

وهي طويلة . فلم آت علي آخرها حتى رأيت الامير قد أوجعه بعض ما فيها ولا سيما قولي :

أبا نائف [1] جاز الرصافة فيصل ... وسورية يعلو لديك نواحها

فأخذ يهدر ويكرر مواعيده — بيثرب — وانصرفنا بعد قليل والامير في حنقه وصخبه .

* * *

وزار عمان شاعر العرب الاكبر ، الشيخ عبد المحسن الكاظمي ، في منتصف حزيران (يونيو) ٩٢٢ ونزل في خيمة أعدت له في مقر الامير وبادرته بالزيارة ، فأنشدني من بدائعه قصيدة له يقول في مطلعها :

قدي من الدهر أفراحي وأحزاني ... فقد تداولني منـه الفريقان
البشر واصـل حينا ثم فارقني ... والوجد لازمني في كل أحياني
ملاوة أتراءى غير ذي شجن ... وتارة أتوارى خلف أشجاني
وكلما قلت إن الدهر قربني ... إذا به عن طريق البشر أقصاني
أني وأسرع والدنيـــا لمعتزم ... لا مسرع في تمشـيه ولا واني
سعيت في طلب العلياء مرتزقا ... وما سعت قدمي الا لحرمان
فلا التريث عما خفت أبعدني ... ولا التعجل مما رمت أدناني
مازلت والدهر تعلوني حوادثه ... أبني ويهدم صرف الدهر بنياني

(١) للامير ولدان أحدهما «طلال» وهو في نحو الثانية عشرة والثاني «نايف» وهو في نحو السابعة .

أشكو وأشكر والايام صاغية ... إلى النقيضين من شكوى وشكران
حتى مَ اسمع أيمانًا مغلظة ... ولا أرى غير حناث بإيمان
هل «طانها» كفلت حفظي «وتيمسها» ... وبين تيمسها قد ضعت والطان

وقصيدة يقول فيها :

أحباى هزتنى اليكم صبا الحمى ... وأرواح مصر عن شذا الكرخ تنسم
فرحت أدارى الحب ثم أذيعه ... وأعلن أحيانا هواكم وأكتم
ومابك يا مصر ببغداد نازل ... وفي جلق أدهى وفى القدس أجسم
هنالك أحشاء تذوب وههنا ... قلوب متى حركتها تتضرم
إذا ما توالى جرحنا وتعذرت ... مراهمه فالجرح للجرح مرهم

* * *

وأخيراً قال : لقد أسمعناك بعض ما قلناه منذ افترقنا في مصر، فأسمعنا. فعرضت عليه أكثر ما قلت في عمان وفي جملته القصيدة الحائية

وجاء رئيس المستشارين يزور الاستاذ، فسلم وجلس، ثم نهض فودع ، ونهضت معه ، فعدنا الى البلدة

* * *

وقصدت المقر في اليوم الثاني، ولا عمل لي هناك غير زيارة «الكاظمي» فمكثت ساعة وودعته منصرفا ، وإذا بسيارة الامير مارة وهو فيها ، فرآني فحييته باليد ، فأشار الى السائق ، فوقف ، ونزل الامير وهو يقول أين أنت يا خير الدين ؟

ثم نادى أقرب خدم المقر منه آمراً بالكراسي فجيء بها وجلس ،

وجلست ، وافتتح الحديث هاشاً باشاً بقوله : لولا الكاظمي لم نرك هنا ! فاعتذرت عن قلة زيارتي ، فقال : ولم لم تسمعنا أواخر شعرك ؟ فقلت : ما هناك شيء يُسمع يا مولاى . فقال : بل هناك شيء يسمع ولقد أثنى عليك الكاظمي أمس كثيراً . قلت : الاستاذ ينظر بعين الرضا . فقال: لا! كل شيء تدخله المحاباة إلا الادب ، أسمعنى بالله قصيدتك الجديدة : فقلت : أية قصيدة ياسيدى؟ قال : التى أسمعتها الكاظمي أمس على روي الهاء . . فأدركت أنه يعنى الحائية ، فقلت : انك تعرفها ياسيدى ومطلعها « تذكرت والذكرى تفيض جراحها » . . فانتبه وقال : نعم أعرفها . وصمت .. فاستأذنت بالانصراف فأذن ، وقمت، فقام يمشي الى خيمته .. ولم أزره بعدها إلا لامر .

يوم نورثكليف

ازدحمت الخيل في الشونة يوم الثلاثاء ١٠ جمادى الثانية ١٣٤٠ (٧ شباط — فبراير ٩٢٢) وأقبل من القدس أكبر صحافي في بريطانيا هو اللورد «نورثكليف» صاحب «الديلى مايل» و «التيمس» و «الايفننج نيوز» وغيرها من الصحف والمجلات الانكليزية العديدة، واستقبله الامير مرحباً، وامتد الحديث بينهما عن القضية العربية ومطالب العرب، وأقبل الامير عادل أرسلان من احدى الخيام متمشياً نحو مضرب الامير عبدالله، فاذا بعبدالله قد فارق ضيفه اللورد نورثكليف وخرج، فاعترضه الامير عادل وقد أدهشه من عبدالله تركه اللورد. وسبقه الامير عبدالله الى الكلام فقال: ضاق صدرى يا أخي! ماهذه المحنة التي ابتلينا بها اليوم!

عادل: وماذا حدث؟

عبد الله: ساعة، ساعة كاملة لايكون فيها غير الجد !! تالله والله مصيبة، وقد عاودني الخفقان !!

* * *

وشعر اللورد بضيق صدر الامير، فكان مما ودعه به بعد تناول الطعام: أرجو ياسمو الامير أن نلتقى في لندن قريباً، ولكني أعتذر اليك منذ الآن بأني لا شطرنج عندى هناك !!



من نياتهم!

كتب انكليزي كان موظفاً فى فلسطين كتاباً الى التيمس في أول يونيو ٩٢٠ يقول فيه:

جاء في المعاهدة العثمانية ان بريطانيا وفرنسا هما اللتان تخططان تخوم فلسطين فاسمحوا لي بأن أقترح على صفحات جريدتكم هذا الاقتراح وهو أن تكون جميع أراضى وادى الاردن التى هي أوطأ من سطح بحر الروم داخلة فى فلسطين

والغرض من هذا الاقتراح تسهيل اغراق وادى الاردن والبحر الميت بمياه بحر الروم اذا قر الرأى على حفر ترعة من حيفا الى زرعين (على بعد ٢٥ ميلا في الداخلية). وحفر هذه الترعة ليس متعذراً وقد حامت أفكار المهندسين حوله فيما مضى فلما حفرت ترعة السويس عدل عنه بسبب عظم مصاعب الحفر في الصعيد الذى بين طرف البحر الميت الجنوبي وخليج العقبة. وأعلى أرض تحفر فيها الترعة بين حيفا وزرعين يبلغ علوها ٢٢٠ قدما عن سطح البحر ولاريب ان نفقات هذا الحفر عظيمة وان كثيراً من الارض الزراعية فى وادى الاردن يغرق بالماء الملح ولكن هناك ثماني مزايا وهي:

(١) ان البحيرة تكون حداً طبيعياً بديعاً وتحمى البلاد من غارات الجيران الشرقيين وهذا يقلل عدد الجنود اللازمين للمحافظة على الامن.

(٢) يحول كثيراً من أرض فلسطين المضرة بالصحة إلى غرض نافع

(٣) يكون طول البحيرة ١٨٠ ميلا فتستخدم واسطة بديعة للنقل

من الداخلية الى حيفا أفضل مرافيء فلسطين. واهتمام بريطانيا بهذا الامر مشهور لأنها الدولة المنتدبة لفلسطين

(٤) هذه البحيرة تزيد ما ينزل من المطر وبالتالى تزيد خصب حوران المشهورة بقمحها

(٥) ان تبخر الماء يولد تيارا دائما من البحر الى البحيرة الجديدة يستعمل لتوليد الكهربائية . على أن زيادة المطر قد تقاوم فعل التبخر فيكون التيار خفيفا لا نفع منه في الشتاء

(٦) تكون مدينة القدس على بعد ١٠ أميال من مرفأ له علاقة مباشرة بالبحر

(٧) تسهل تقدم البلاد التجارى تسهيلا كبيراً

(٨) تسهل الاسفار على الزوار والسياح وتجتذبهم الى البلاد

وفى الختام أقدر ان ترعة مساحتها ١٢٠٠ قدم مربعة تملأ وادى الاردن في خمس سنوات «اه»

اللورد رجلان

المعروف في شرق الاردن باسمه الاول «الماجور سمرست»

شاب بريطاني في نحو الخامسة والثلاثين من عمره . ذكي، قوي الحافظة، يكره الصهيونيين، ويميل الى نصرة العرب عليهم، نفور من بيت الحسين، كان معتمداً لحكومته فى حوران أيام حكومة الشام العربية، ثم جعل معتمداً فى إربد وبقي الى أيام الامير عبدالله

وذهب مع الامير في رحلة الى الكرك، فاتفق أن فتي بدويا هو أصغر أبناء سلطان باشا العدوان، اسمه عفاش، كان مع الامير أيضا . وبينما هم راكبون في بعض أطراف الكرك جعل عفاش يزاحم سمرست بفرسه فاختصما فشتم عفاش سمرست، فضربه هذا بخيزرانة، فحقد عليه الامير عبد الله، فشكاه الى رئيس المعتمدين المستر ابرامسون (وكان هذا صهيوني النزعة كارها لسمرست) فشجع الامير على طلب عزله، فطلب الامير ذلك من ابرامسون نفسه، وكتب هذا الى المندوب الأعلى في فلسطين فعزل سمرست، وانصرف الى بلاده، فلم يلبث ان ورث لقب اللورد رجلان وأصبح عضواً في مجلس اللوردات بانكلترة

* * *

ولم يكن مثل الماجور سمرست (أو اللورد رجلان) ليسكت فى مجلس الاعيان (اللوردات) عن التشهير بما رآه في شرق الاردن من أعمال أميرها، وها هي صحف الاخبار تنقل الينا في كل يوم حديثاً له، وشركات البرق تحمل بين الحين والحين نبذة من كلامه، والحبل على الجرار!

ولولا كثرة ما صرح به اللورد رجلان فى عاصمة انكلترة لأتيت على

أقواله ، وفيها العجب العجاب ، ولكنني أقتصر هنا على بضع كلمات نقلها البرق في أوقات مختلفة ، وفيها ما يدل على أشباهها مما سبقها وما تلاها :

* * *

لندن في ١٩ مارس ١٩٢٤ — مجلس الاعيان — سأل اللورد رجلان أصحيح ان مخصصات الامير عبد الله تستغرق ٩٠ الف جنيه من مجموع الايرادات وهو ١٢٠ الف جنيه

فأجابه اللورد ارنولد ان الرقمين الصحيحين هما ٩٦٥٠٠ جنيه و٢٠٠ الف جنيه وأبان أن جانباً من النفقات تحسب كأنها مخصصات مع أنها في الحقيقة موقوفة على أعمال عمومية مثل دفع الاعانات للقبائل وسواه

* * *

لندن في ١٥ فبراير ١٩٢٤ — خطب اللورد رجلان فعزا الثورة الاخيرة في شرق الاردن الى سياسة الامير عبد الله أمير هذه المنطقة وقال انه ليس هناك أسباب جغرافية أو فنية أو اقتصادية تسوغ بقاء شرق الاردن قائماً بنفسه . وذكر ان السبب الوحيد في استقلاله ما كان إلا سياسة مغامرة ابتدعها قصار النظر ولا مندوحة من فشلها

* * *

لندن في ٧ مايو ١٩٢٤ — مجلس الاعيان — أكد اللورد رجلان ان ادارة الامير عبد الله في شرق الاردن ادارة غاشمة منطوية على التبذير والعجز وسوء السمعة وعدم الكفاءة وأنها مكروهة

***

لندن في ١٠ ابريل ٩٢٤ — نشرت جريدة « دايلي اكسبرس » اليوم حديثا مع اللورد رجلان قال فيه ما يأتي :

«ان القوات البريطانية تستخدم لتعضيد الظلم والاستبداد في شرق الاردن وسأفتح باب المناقشة في هذه المسألة في مجلس اللوردات بعد عيد الفصح.

ان الامير عبد الله طاغية ، مسرف ، عاجز ، وهو بوجه العموم غير محبوب من الناس ، وقد أصبح شرق الاردن في عهد عبد الله عشاً للرشوة والفوضى وعند ما دفع اليأس بعض الاهالي المساكين الى الثورة استدعيت القوات البريطانية لقمعها . ويبذر الامير الضرائب مشبعاً بها خيلاءه ونزواته . وهو محاط بفريق من البدو الذين لا يحترمون قانونا ولا نظاما وهم في حرز حريز من كل عقاب . ثم إن عبيده يتمتعون بالسيارات وذلك بأن يأمروا مدير البوليس أن يجاب لهم السيارات من أصحابها فلا يجرؤ أن يخالف أوامرهم . وقد أنفق الامير عبد الله أخيراً ٥٠٠٠ جنيه على بناء منزل لاحد عبيده . وهو يهدى هدايا ثمينة الى أصدقائه والى الذين يخشى اساءتهم . وكل من يستطيع أن لا يلبي مطالب عبد الله يصبح في مأمن من أن يتعرض أحد له لان عبد الله لا يضطهد غير الضعيف . وجميع الموظفين الرئيسيين عنده لا عمل لهم في وظائفهم . وأما حركة التقدم فانها جامدة في مكانها لان الضرائب التي تجبى لانشاء الطرق وللاعمال العمرانية تنفق على غير هذه الشؤون . ثم إن التجارة لا رجاء فيها . ولم يتقدم التعليم . وبالجملة فان المسألة برمتها فاجعة محزنة» الخ الخ

* * *

هذا أنموذج مما يكتبه اللورد رجلان ومايقوله ، وصحف الاخبار تنقل وشركات البرق تروي .

الارادات المطاعة !

مما ورثناه عن الترك ولم نحسن وضعه في محله لفظ «الارادة السنية» ويراد بها ما كان يعبر عنه قديماً بالمرسوم السلطاني وما يعبر عنه اليوم في مصر بالامر الملكي . وقد حافظت حكومة عمان الشرقدنية (١) العبدلية (٢) على كلمة « الارادة » فعلقت بها ، واستعاضت عن « السنية » بالطاعة ، فسمتها « الارادة المطاعة » !

كان للارادة شأنها في عهد الترك ، والسلطان عندهم مقدس غير مسؤول !

وأصبح للارادة شأنها عندنا ، والامير مسؤول غير مقدس !

أولئك لهم قانون أساسي يرجعون في أمهات أمورهم اليه ويعولون في دائرة اختصاص السلطان أو الملك عليه .

وأما نحن — في حكومتنا الشرقدنية — فقانوننا الاساسي ما رسمه تشرشل للامير وكتم عنا ، ومرجع أميرنا في أمهات الامور هو المعتمد .

وشتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر ! !

* * *

لقد أسأنا استعمال المراسيم ، ومنحنا الامير مالا يحلم بالطموح اليه ! سمينا توقيعاته ارادات (سنيات ومطاعات !) فظن كل كلمة يخطها قلمه ، واجبة التنفيذ كأنما يخطها صاحب يلذ في عنفوان سلطانه .. وزاد

(١) نسبة الى « شرق الاردن »

(٢) نسبة الى حاكم المنطقة الامير عبد الله

عليه عبيد صاحبنا أن جعلوا يرقبون كل كلمة تخرج من بين فكيه فيسمونها ارادة ..

والامير كثير الكلام ، فما أكثر إراداته إذن !

* * *

فرغ صندوق الحكومة في شهري كانون الثاني وشباط (يناير وفبراير) ١٩٢٢ فلم تستطع دفع المرتبات وصبرت تنتظر الفرج، وصبر معها الموظفون والضباط ورجال الامن الداخلي والجنود ..

وزار الامير الصلت يوم ٢٣ شباط ، فالتمس منه موظف في البرق دفع راتبه اليه ، فصدرت الارادة المطاعة بدفع مرتبات مأموري برق الصلت ، فدفعت والجنود جياع ينظرون ..

* * *

وتلقت حكومة عمان من مقر الامير بالشونة ارادة برقية مؤرخة في ٨ آذار (مارس) ٩٢٢ ولا رقم لها، تقضي باخراج الضابطين قائد الحرس الاميري ومستشار القيادة العامة من وظيفتيهما ونزع رتبهما العسكرية.. ولماذا ؟ لتكاسلهما بالوظيفة !!

* * *

وأراد جماعة من عرب العدوان أن يجتازوا جسر الجامع ومعهم مقادير من الشعير ، فاعترضهم ثلاثة من جنود الدرك كانوا مرابطين على مقربة من الجسر وطلبوا ما على الشعير من رسوم ، فامتنع العدوانيون وضربوا الجنود ضرباً شديداً ، ومروا

كان ذلك يوم ٧ حزيران ٩٢٣ ورفع الامر إلى أعتاب الامير فصدرت الارادة المطاعة في ٩ حزيران ونصها « يطرد الجنود الثلاثة لضعفهم » !

وفي مقر الامير جند يسمى « جنـد الحرس » له ضباطه وعرفاؤه
وبينما كان سمو الامير في احدى لياليه نائما في خيمته سمع طلقا ناريا
فنهض مذعوراً ، وصاح : ياعيال! فجاؤوه عبيداً وعتباناً . فقال: انظروا
مطلق الرصاص وائتونى به ، فانصرفوا يبحثون ، وما لبثوا أن عادوا
يقودون جنديا من جند الحرس يئن من شدة الضرب واللكم والصفع ،
فألقوه بين يديه ، فسأله الامير عن سبب ما فعل ، فأجاب بأنه تولى
المحافظة على سجين وأن السجين قد فر فأطلق عليه الرصاص إرهابا
وقبض عليه وأعاده إلى محبسه

فصدرت الارادة المطاعة بسجن الجندى سبع سنوات في قلعة
الصلت ، وبطرد ضابطه . . وعاد الامير الى نومه . .

ولما أفاق في الصباح أمر بأن يتلى نص الارادة على جنود الحرس
كافة ، فجمعوا ، وتليت عليهم ، وطرد ضابطهم أمامهم ، ولا ذنب له . .

وبعد بضع ساعات نودى بجند الحرس فاجتمعوا واصطفوا أمام
خيمة الامير ، فتليت عليهم ارادة ثانية خلاصتها العفو عن الجندى
وإرجاع الضابط إلى عمله ....

* * *

تعهد تاجر بمقدار من الشعير لخيل الامير ، ولم يكن عنده ، فاضطر
أن يشتريه فارتفع ثمنه قليلا — كما هي العادة — فقصد مقر الامير ، وصدرت
الارادة المطاعة يوم ١٤ كانون الثاني (يناير) ٩٢٢ بمنع إصدار الشعير
من المنطقة لقلته فيها . . !

* * *

ادعى سائح أجنبي أمام الامير — وهو في مشتاه بالشونة — بأن
لصوصا اعترضوه في الطريق فسلبوه سفاتج (حوالات مالية) قيمتها
سبعون جنيها ، فوردت على رئاسة المستشارين برقية في ٢٩ كانون الثاني
(يناير) ٩٢٢ تنبيء بصدور الارادة المطاعة بدفع سبعين جنيها الى السائح
من صندوق الحكومة . . ولا تاريخ للارادة ولا رقم . . فقبض السائح
المبلغ ، وتبين بعد ذلك أن السالبين كانوا من عبيد سموه فلم يتعرض
لهم أحد ! . .

* * *

قبض مدير الامن العام (نبيه بك العظمة) على شقي كثير السوابق ،
متهم بسرقة ، فصدرت الارادة المطاعة في ٣ شوال ١٣٤٠ باخلاء سبيل
المقبوض عليه وعدم معارضته وإزعاجه (كذا) . . .

* * *

يوم ٦ سبتمبر (ايلول) ٩٢٢ رفع درداح ورفاق له (من عبيد سمو
الامير) عريضة للامير يزعمون فيها أن أراضي الذهبية في تصرفهم
منذ أربعين سنة . . ويطلبون تسجيلها لاسمائهم في الاملاك . فكتب
الامير على العريضة بخطه ، بالحبر الاحمر ، ما نصه :

دولة رئيس المستشارين
يجرى العمل حسب سؤله . .

١٥ محرم ١٣٤١ « عبد الله »

* * *

الشمايلة والمعايطة عشيرتان متجاورتان في لواء الكرك ، رؤى قتيل بين
حدوديهما وذهب أهل القتيل الى حكومة الكرك فرفعوا اليها الامر ، فأرسلت

من قام بالتحقيق ، فلم تستطع معرفة القاتل ، فتألفت لجنة خاصة للبت في هذه القضية على طريقة العشائر فقررت هذه اللجنة تحصيل دية القتيل وفرضت على كل من العشيرتين نصف الدية

ولما علم الشمايلة بقرار اللجنة أسرع شيخهم فساق فرساً من خيل العشيرة ووفد على سمو الامير معلناً براءة جماعته من القتل ، وأعجبت الامير الفرس .. فصدرت الارادة المطاعة ببراءة الشمايلة وتحصيل الدية كلها من المعايطة . .

وعلم المعايطة بالامر فساقوا فرسين ووفد جمع منهم على الامير يشكو فصدرت الارادة المطاعة وخلاصتها : لقد تبين لنا ما يبرىء المعايطة من جريرة القتل فلتحصل الدية من الشمايلة . .

وعاود الشمايلة الكرة على الامير ، ثم المعايطة ، حتى صدرت ثماني ارادات كل منها تنقض الاخرى ، ومل الفريقان فلجآ الى متصرف الكرك جميل بك المدفعي يطلبان الرجوع الى حكم اللجنة الاول ، ففعل ، وعدت الارادات لغواً . . . . !

* * *

وما سمعنا فى هذا العصر ان ارادة يصدرها ملك بقتل احد عشر انسانا — رمياً بالرصاص – بلا محاكمة إلا في تلك المقاطعة السيئة الطالع فقد حدث فى أوائل شهر يوليه ٩٢٣ (أواخر ذى القعدة ٣٤٣ ه) أن جماعة من البدو قتلوا بعض عمال السكة الحديدية فتتبعتهم قوة فعثرت باحد عشر بدويا اتهموا بالاشتراك في القتل ، فجيء بهم الى عمان ، فلم ينتظر الامير تحقيقا ولا محاكمة ، وبادر الى استفتاء شيخ چركسي هو مفتي بلدة عمان واسمه « عمر لطفي » فكتب اليه ما ملخصه : « ماقول مولانا

مفتي بلدة عمان في جماعة تصدوا لاشخاص آمنين فقتلوهم ظلما وعدوانا وقد قامت الحجة عليهم باقرار بعضهم ألا يوجب الشرع الشريف اعدامهم الخ » فكانت فتوى ذلك الشيخ البليد ما معناه . « انما استناداً الى قوله تعالى : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً — الآية، نفتي بقتل الاشخاص المذكورين الخ »

وذيل الامير عبد الله تلك الفتوى المبهمة بما نصه :

« إلى فخامة رئيس المستشارين

« ولذا نصدر ارادتنا باعدام الاشقياء المذكورة أسماؤهم رميا بالرصاص بهذا اليوم الواقع في ١٩ تموز (يوليه) ٩٢٣ و ٦ ذي الحجة ١٣٤١ فى ساحة الملعب أمام دائرة الحكومة فاصدعوا بالامر : عبد الله»

وقد نفذ الحكم وأعدموا جميعاً فى اليوم نفسه والمكان نفسه، وبينهم غلام في نحو الثالثة عشرة من سنيه . .

* * *

وأضحك الارادات وأشهرها فى عمان ما ستقرأ :

صدرت الارادة المطاعة بدفع مبلغ كبير من المال لم يكن منه فى خزينة الحكومة شيء ، فاعترض المستشار المالي — وكان احمد حلمي بك — وانصرف حامل الارادة الى المقر فنقل للامير أن المستشار المالى رفع صوته بالشكوى من حوالات المقر . فلم يلبث أن أقبل على «احمد حلمي بك» عائداً، وقد ذيل الامير ارادته الاولى بما نصه :

« لولا المقر وصاحب المقر لكان الجميع في خبر كان .. فمن لم يطعني طاعة عمياء فليبرح عني . واذا لم تنفذوا ارادتي هذه فسأعين المستشار المالي محلكم وهو ينفذها .. » ! ! !

من قام بالتحقيق ، فلم تستطع معرفة القاتل ، فتألفت لجنة خاصة للبت في هذه القضية على طريقة العشائر فقررت هذه اللجنة تحصيل دية القتيل وفرضت على كل من العشيرتين نصف الدية

ولما علم الشمايلة بقرار اللجنة أسرع شيخهم فساق فرساً من خيل العشيرة ووفد على سمو الامير معلناً براءة جماعته من القتل ، وأعجبت الامير الفرس .. فصدرت الارادة المطاعة ببراءة الشمايلة وتحصيل الدية كلها من المعايطة . .

وعلم المعايطة بالامر فساقوا فرسين ووفد جمع منهم على الامير يشكو فصدرت الارادة المطاعة وخلاصتها : لقد تبين لنا ما يبرىء المعايطة من جريرة القتل فلتحصل الدية من الشمايلة . .

وعاود الشمايلة الكرة على الامير ، ثم المعايطة ، حتى صدرت ثماني ارادات كل منها تنقض الاخرى ، ومل الفريقان فلجآ الى متصرف الكرك جميل بك المدفعي يطلبان الرجوع الى حكم اللجنة الاول ، ففعل ، وعدت الارادات لغواً . . . . !

* * *

وما سمعنا في هذا العصر ان ارادة يصدرها ملك بقتل احد عشر انساناً — رمياً بالرصاص — بلا محاكمة إلا في تلك المقاطعة السيئة الطالع فقد حدث في أوائل شهر يوليه ٩٢٣ (أواخر ذي القعدة ٣٤٣ هـ) أن جماعة من البدو قتلوا بعض عمال السكة الحديدية فتتبعتهم قوة فعثرت باحد عشر بدوياً اتهموا بالاشتراك في القتل ، فجيء بهم الى عمان ، فلم ينتظر الامير تحقيقاً ولا محاكمة ، وبادر الى استفتاء شيخ جركسي هو مفتي بلدة عمان واسمه « عمر لطفي » فكتب اليه ما ملخصه : « ماقول مولانا

مفتي بلدة عمان في جماعة تصدوا لاشخاص آمنين فقتلوهم ظلماً وعدواناً وقد قامت الحجة عليهم باقرار بعضهم ألا يوجب الشرع الشريف اعدامهم الخ » فكانت فتوى ذلك الشيخ البليد ما معناه . « اننا استناداً الى قوله تعالى : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ـــ الآية، نفتي بقتل الاشخاص المذكورين الخ »

وذيل الامير عبد الله تلك الفتوى المبهمة بما نصه :

« إلى فخامة رئيس المستشارين

« ولذا نصدر ارادتنا باعدام الاشقياء المذكورة أسماؤهم رمياً بالرصاص بهذا اليوم الواقع في ١٩ تموز (يوليه) ٩٢٣ و ٦ ذي الحجة ١٣٤١ في ساحة الملعب أمام دائرة الحكومة فاصدعوا بالامر : عبد الله»

وقد نفذ الحكم وأعدموا جميعاً في اليوم نفسه والمكان نفسه، وبينهم غلام في نحو الثالثة عشرة من سنيه . .

* * *

وأضحك الارادات وأشهرها في عمان ما ستقرأ :

صدرت الارادة المطاعة بدفع مبلغ كبير من المال لم يكن منه في خزينة الحكومة شيء ، فاعترض المستشار المالي — وكان احمد حلمي بك — وانصرف حامل الارادة الى المقر فنقل للامير أن المستشار المالي رفع صوته بالشكوى من حوالات المقر .فلم يلبث أن أقبل على «احمد حلمي بك» عائداً ، وقد ذيل الامير ارادته الاولى بما نصه :

« لولا المقر وصاحب المقر لكان الجميع في خبر كان .. فمن لم يطعني طاعة عمياء فليبرح عني . واذا لم تنفذوا ارادتي هذه فسأعين المستشار الملكي محلكم وهو ينفذها . . » !!!

ولعل في هذه القصص والنصوص ما يكفى لمعرفة الحـال التى صار اليها لفظ « الارادة المطاعة» أو «الارادة السنية » فى الحكومة الشرقدنية العبدلية ، ولو أردنا استيفاء كل ما جاء بمعنـاها لملأنا مئات الصفحات بالارادات المطاعات ، وكلها من نمط واحد ، يدل بعضها على سائرها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

من أقوال البدو في أشكال الخيل :

متخالف التحجيل شؤم على الرفاق بلا تأجيل

ومعترف الجبهة أضر من منسبل الجحفة.

الذى يسحق بأسنانه اطرده من بين أقرانه .

صاحب دائرة الفخذين يباع كصاحب نياشين الكتفين

***

شارد الثلاث

أهل بادية الشام لا يقبلون شهادة شارد الثلاث، ويريدون به من كان أحد ثلاثة وهوجموا ففرّ في أثناء القتال أو تراجع قبل نشوبه

***

من أمثال بادية الشام

« كـثّر الرجال وردِ الماء ! »

يشيرون الى إعداد القوة قبل الاقتحام .

طريق بغداد

أكثر الكولونيل لورانس والموظفون البريطانيون فى عمان ، من ركوب الطيارات والتحليق بين عمان وبغداد . ودار على الالسنة في شهر مايو ٩٢١ ان فى النية انشاء سكة حديدية تصل العراق بشرق الاردن ، وهذه بفلسطين، وتبين القصد بعد ذلك فاذا هو تعبيد السبيل بين القطرين واقامة محطات في قلعة الازرق وغيرها ، لتسيير السيارات وتطيير الطيارات بلا خوف ولا تعرض لخطر

وكانت الحملة الاولى التى افتتحت الطريق بعد أن اكتشفه الطيارون مؤلفة من ١٠٠ جندى انكليزى وأربع دبابات مصفحة وسيارتين رشاشتين (متراليوز) وطيارتين مجهزتين بالمتراليوز وخمسة ضباط بريطانيين يرأسهم مفتش الدرك العام في شرق الاردن بيك بك .

والى جانب هذه القوة المهيأة للعنف والشدة قوة ثانية للتحبب والاسترضاء ، يرأسها الشريف محسن بن الحسين الحارثي ، وهي مؤلفة من مقادير كبيرة من السكر والشكولاتة والتبغ أعدت لتوزع على القبائل الضاربة خيامها في الطريق !

وقد نجحت هذه الحملة وبلغت بغداد في منتصف شهر يونيه ٩٢١ وأسست ما شاءت أن تؤسس من المخافر على طول الخط، غير أن القوة اتخذت مربضا لها قلعة « الازرق » فأصبحت المرجع الاعلى لمخافر الطريق كافة . . .

وأخذت السيارات والطيارات ، من ذلك الحين ، تذهب الى العراق وتؤوب إلى عمان ، آمنة مطمئنة ، يراقبها تلغراف لاسلكى نصب يومئذ على رابية «مركة» بالقرب من خيام الامير العربى والمعتمد البريطانى !.

ثالث الرؤساء!

كان لي أن أزور مهد الروح ، دمشق ، في شهر أغسطس ١٩٢١ وهناك اخواني الكثيرون ، فزاروني وزرتهم ، وكنت أعد في جملتهم رجلا اتصلت له بعد ذلك علاقة بعمان فخصصته بالذكر هنا ، جاءني مسلما وقصدته زائراً ، ثم دعاني دعوة خاصة فأجبت ، وانفردنا في احدى غرف داره نتجاذب أسباب الحديث ، وقد أشار الى ابنه أن يغيب ليتم لنا الانفراد ، فغاب ، ولم أرتب في أن أمراً يحب جليسي علي رضي باشا الركابي ، أحد رجال كراسي الحكم في سورية ، أن يفضى به إليّ على أن يكون مكتوما في ذلك الحين . .

* * *

خاض الركابي غمار الحديث . وخلاصة مايتعلق في موضوع هذا الكتاب منه أن الافرنسيين قد ضيقوا عليه الخناق وأنه لولا توسط الورد اللنبي مانجا من شرهم . وانتقل الى السؤال عن عمان وأميرها وحكومتها فلم أكتمه ما أعلم . وأطلعني على إزماعه الخروج من دمشق ، وأنه سيقيم في العراق أو شرق الاردن يعمل في الزراعة معتزلا كل مامن شأنه إنهاك شيخوخته ، فأخبرته بأن رئيس المشاورين الجديد بعمان مظهراً الرسلان[1]

(١) يلتبس على الكثيرين لفظ «أرسلان» بلفظ «الرسلان» فيظنهما من لا يعلم الحقيقة واحداً على مابينهما من البون ، فالاول لقب الامراء الارسلانيين في لبنان ومنهم الامير شكيب والامير عادل وغيرهما من المعروفين بمكانتهم في عالم الوجاهة والعلم . وأما « بيت الرسلان » فمن عائلات حمص وقد تعلم بعض شبانها ومنهم مظهر بك هذا الذى عرفناه وكيل متصرف في إالصلت ثم مشاورا عدلياً بعمان ثم رئيساً للمشاورين فيها .

منبوذ من الوطنيين هناك ، وكأن هذا القول أنعش الركابي ، فاستزادني فزدته ، وعرفت أن نزعة حب المنصب لا تزال قوية في نفسه على الرغم من إظهاره الزهد ، واتسع نطاق الكلام فاذا هو ينصب الشرك ويريد أن يصيد ، فاسترسلت معه ولم أكن لأرى بأسا فى أن يتولى زمام الحكم في شرق الاردن ، وانتقلنا من الاصول الى الفروع فسألني هل هناك أحزاب ؟ وكان يخشى شر الاحزاب . فقلت : ما هناك إلا حزب واحد يؤيدك ما عملت لمصلحة البلاد ، فقال : وهذه يدى أعاهدكم . وافترقنا على أن نلتقى بعمان . .

* * *

ولست بناس نشاط من أحسنوا بالركابي الظن ، في عمان ، وقيامهم بتمهيد السبيل لتوليه زمام الامر في تلك المقاطعة ، على علمهم بما له من سابقة كلها أثرة صفراء! وحقد أسود! ولكنهم خودعوا بوعد خلاب وعهد جذاب فانخدعوا ، ومن كالركابي في لينه ونعومة حديثه حين يخلو من منصب!

* * *

وبعد عشرين يوما ، من اجتماعي الاخير بالركابي في دمشق ، كنت فى عمان أجاهد في سبيل الاستعاضة عن كلمتي « مشاور » و «مشاورين» بلفظي « مستشار » و « مستشارين » وقد أبقت المدرسة التركية في أدمغة أكثر موظفينا كلمات يعز عليهم أن يفارقوها ، فنجحتُ . ودعاني رئيس المستشارين — يومئذ — مظهر بك الرسلان اليه ، وأنا مدير رسائل الرئاسة ، فأملى علي العنوان الرسمي الذى يجب أن نفتتح به رسائلنا الى المعتمد البريطاني ، وهو : «سعادة المحترم رئيس المعتمدين لحكومة بريطانيا

العظمى » وكان عنوانه من قبـل « حضرة المعتمد البريطاني المحترم »
وتناولت كتابين من الركابي ، أحدهما من مكة وقد زار فيها الملك حسيناً
والثاني من مصر وقد عاد اليها يحمل مشروعاً جديداً قال لي في كتابه
الثاني إنه « مشروع اتفق عليه مع الملك حسين ، يقضي بجلب قوة وسلاح
من الحجاز ، توضع في معان لتعتمد عليها حكومة عمان الوطنية في المستقبل»
وفي الكتابين مواعيد وأماني وأسئلة لولا قوله في منتهاهما « وأدع هذا
اسرك » لما بخلت بثلاث صفحات من كتابي أثبتهما فيها .

* * *

وأصبحت يوم الاحد ٥ آذار (مارس) ١٩٢٢ في القدس أساوم
على مطبعة عهدت الي حكومة شرق الاردن بشرائها ، وعلمت يوم الاثنين
أن الركابي يصل الى القدس في المساء ، فاستقبلته ، وعجب كلانا لاتفاق
وجودي هناك ، وحدثته بانه سيكون رئيس المستشارين لا محالة ، وأعلمته
بأن الامير في مشتاه بالشونة ، فأبرق الى سموه ، ودعاه أحد كتاب الامير
إلى « الشونة » بلسان الامير ، فذهب يوم الثلاثاء (٧ آذار) فالتقى بعبد
الله وصدرت « الارادة المطاعة » مؤرخة في ١٠ آذار (مارس) ١٩٢٢ ،
١٢ رجب ١٣٤٠ بنصب الركابي رئيسا للمستشارين على أن يكون مظهر بك
الرسلان مستشاراً للملكية (الداخلية)

* * *

وبعد أسابيع قليلة دعا الركابي من دمشق الشيخ سعيداً الكرمي فجعله
قاضياً للقضاة ودعا ابراهيم بك هاشم فنصبه مستشاراً عدلياً ، وكان احمد
حلمي بك قد تولى المالية في أيام مظهر بك ، وأصبح القائمون بشؤون الحكومة
الآتية أسماؤهم :

الامير شاكر بن زيد : نائب العشائر
على رضا باشا الركابي : رئيس المستشارين
الشيخ سعيد الكرمي : قاضي القضاة وعضو في مجلس المستشارين .
مظهر بك الرسلان : المستشار الملكي وعضو في مجلس المستشارين .
احمد حلمي بك : المستشار المالي وعضو في مجلس المستشارين
ابراهيم بك هاشم : المستشار القضائي وعضو في مجلس المستشارين.
احمد بك مريود : معاون نائب العشائر وعضو في مجلس المستشارين
وأبدل منصب « مستشار الامن والانضباط » بمنصب « مدير الامن
العام » على أن يكون هذا مرتبطاً برئيس المستشارين ، وليس له أن يحضر
اجتماعات المجلس .

* * *

صفا الجو لثالث الرؤساء ، وأخذ يمسح الدموع التي تساقطت من
عينيه حين عانق مريوداً وإخوانه في الشونة . ثم كان أول ما ابتـدأ به
أعماله طلبه أن يكون مرتبه الشهري مئة جنيه (وكان مرتب سلفيه خمسة
وأربعين جنيهاً) وعارضه أحد المستشارين منبها الى أن ضعف المنطقـة
المالي لايجيز تحميلها مثل هذا المرتب الباهظ ، وقال آخر: أما يكفي المنطقة
تبذير الامير .. فقطّـب الركابي ، معرضاً عن كل اعتراض ، وأدلى بحجته
التي هي تركه مرتب التقاعد في سورية وهو خمسون ورقة سورية مزدوجة . .
وكان له ما أراد .

بدع الركابي

أحدث الركابي باشا في منطقة شرق الاردن بدعاً جديدة لم تكن فيها قبل حلوله ، وقد دام بعضها الى مابعد نزوحه ، وبينهـا السيء الضار ، وقليل منها النافع الصالح .

أما داهية الدواهي ، التي لم تعرفها عمان قبل الركابي ، فالجاسوسية . . وهو أولع النـاس بها وأحرصهم علي الاستفادة منها . وله فيها أساليب وطرائق يصل بها الى القلوب الطاهرة فيعكر صفوها ويؤثر في تربيتها ، وفي هذا من المفسدة في الاخلاق مالا يطاق !

عرفنا الحكومات تتخذ أفراداً ، لاقلوب لهم ولاضمائر ، اعتادوا أن يؤرجوا أنفسهم لنبش دفائن النفوس ، فتسخرهم وتستعين بهم على معرفة ماقد يفيدها في أمن داخلي أو تآمر خارجي ، ولكن الركابي باشا بعيد عن هذا وذاك ، فلاهو يكتفى بأهل الاخصاء في الجاسوسية ولاهو يكلفهم ماتكلفهم الحكومات !

طريقة الركابي أن يصبغ الجاسوسية بلون فيه لمعان وبريق ، ويعدل بها عن اسمها الحقيقي الى اسم يستعيره لها ، فاذا دعا جاسوسا من أرصاده قال له : هلم يا أخي فى الوطنية والمبدأ ! واذا قذفه الى تجسس أحد الوطنيين ولاجرأة للركابي على غيرهم ، قال له : يجب علينا أن ندخل فى قلب هذا الرجل فنعرف دخائله خدمة للوطن والمبدأ . . ! واذا أراد استكتابه تقريراً أو وشاية قال له : لنسجل فى أوراقنا أعمال هذا الخائن . . !

فالركابي ، فى عمـــله هذا ، ساحر لايخلو من دهاء . ولو اتجهت جاسوسيته الى الامور العامة لهان الويل ، ولكنه يحصرها فى خدمة شخصه ومنصبه ، فهو يتجسس الاحزاب الوطنية ليعلم رأيها فيـه ، ويتجسس الافراد المخلصين ليعرف هل فيهم من يزاحمه على كرسيه ، فيتقيه أو يؤذيه . .

وهو لايجعـل لجواسيسه سبيلا لمعرفة أنهم جواسيس . . يعطيهم مرتبات ومكافآت ، ويسميها مساعدة وإعانة . . ويستدرجهم الى الوشاية ، ويسميها تضامناً شخصيا بينهم وبينه . . ويستكتبهم التقـارير ويسميها مذكرات تحفظ عندهم وعنده !

* * *

بهذه الوسائل وأشباهها لايعدم الركابي باشا ، أني أقام ، زمرة تحيط به ، يوهمها الصداقة والود ويستخدمها فى السعاية والشر . . وهو اذا أعوزه فى مكان أنصار من هذا النوع لم يعسر عليه أن يستقدم من سبقت له بهم صلة فى مكان آخر .

* * *

وأما الاحزاب فقد عرفت أيها القاريء خوف الركابي منها ، وبقى عليك أن تعرف طريقته في مناوأتها ومحاربتها . ولا تظننه ينتظر أن تبدأه الاحزاب بالشر فهو أبو عذرة الخصام ، تثيره الظنة وتحفظه الشبهة ، ولهذا تجد للاحزاب ضجة حوله فى كل موطن . فهو يحارب الاحزاب بأحزاب يحسبها مثلها ، وبينما يكون عضواً فى هذا الحزب لا تشعر به إلا قد نقم عليه أمراً فاستمال أشخاصا منه وأضاف اليهم آخرين من غيره أو ممن لاعهد لهم بدخول الاحزاب ، فخلق لهم اسما وغاية وبرنامجا وقال لهم : كونوا حزبا لى !

وهو لا يبالي اذا تألف حوله حزب ، أن يكون كثير العدد أو قليله واضح الخطة او مبهمها ، مادامت غايته الحقيقية ان يسمي حزبا وان يتخذ أعوانا ..

ولا ريب في ان افراد الحزب الاول او الاحزاب الاولى تضطر الى مجاهرته بالمناوأة بعد ان يجاهرها هو بها، فيحتدم الخلاف وينشب الشقاق، فلا تلبث ان تراه يشكو الاحزاب ويتململ من وقوعه بين سنابكها!

* * *

وصل الركابي إلى عمان وفيها ، كما علمت ، حزب واحد هو حزب الاستقلال العربي ، فلم يعتم صاحبنا ان أخذ يدس الدسائس لهذا الحزب ، فعاتبه بعض اعضائه ، فأنكر . ثم عاد الى طريقته الاولى فجمع عدداً من الشبان وسماهم «حزب ام القرى» وكان قد ردد هذا الاسم على سمع الملك حسين حين زاره في أم القرى (مكة) واوهمه بأنه اسم حزب كبير يعمل لتأييد جلالته وابث دعوته . ولما شعر بالحاجة الى حزب في عمان كان الاسم مهيئاً ..

وبهذا أصبح في عمان حزبان ، أو حزب وشبه حزب ..

وسمع من لا علاقة لهم بحزب الاستقلال من أهل شرق الاردن بالنغمة الجديدة فقال بعضهم : ونحن ما بالنا ؟ ألا يكون لنا ما لهؤلاء ؟ ؟ فألفوا حزباً سموه « حزب أحرار الاردن » فباتت الاحزاب ثلاثة ...

واذا أفردنا جماعة من رجال حزب « العهد » المعروف في سورية ، كانوا يعملون في شرق الاردن متآزرين مع الاستقلاليين لاتفاق وجهة الحزبين ومرماهما ، وأعدناهم الى منبعهم رأينا الاحزاب أربعة . وربما كان في الخفاء بعد ذلك ، غير هؤلاء ، وغير أولئك !

لاربعة أحزاب ، في بقعة صغيرة كعمان ، ضجة ما مثلها ضجة . كان الركابي مسعر نارها ومثير ضرامها، ولولاه ما اختلف الرأي ولا افترق المتضامنون ! فهذه بدعته الثانية . .

* * *

وهناك ثالثة لا أبيح لنفسي أن أسميها بدعة ، بل أرى من الواجب أن أعبر عنها بلفظ فيه من الاستكراه ما فيها . . انها « جريمة » لا بدعة ولو فتحت باباً للجرائم لما أوردتها في هذا الفصل :

ظل الامير عبدالله مدة اقامته في معان ثم في عمان ، الى أيام الركابي ، محتفظا بمزية واحدة كانت تستر كثيراً من سيئاته وتقيل غير القليل من عثراته تلك هي عرفانه فضل أحرار البلاد وحفظه كرامتهم واعترافه بما أسلفوه من خير ويد .

كان الامير يحترم الوطنيين احتراماً لو لم يكن فيه غير تهيبه الاقدام على كثير من المزالق الضارة بالبلاد وبسمعة أهلها ، لكفى .

كان الامير يرى في الوطنيين قوة كبيرة من قوى الامة العاملة ، ولايشك في أن سخط أحرار البلاد عليه مدعاة الى سخط الامة كلها .

كان لايجرؤ على مس وطني مخلص بأذى ، لعلمه بأن في الامة عطفاً على أبنائها البررة ، وحس رعاية لهم .

كان الامير عبدالله يعتقد بأن للأمة رأياً عاماً يجب النزول عند إرادته .

وجاء الركابي فكان من أسوأ ماصنع تحريشه بين الامير والوطنيين وتجرئته الامير على إيذاء الوطنيين . بل ارتكب ماهو أسوأ من هذا فأدخل في عقل الأمير أن رأي الامة هو رأى زعمائها وان الامر ما امروا به ؛

وعرّف له الزعماء بأنهم أهل الامارة والسيادة والسلطان !

لقد أساء الركابي بدروسه هذه إساءة مزدوجة أضرت بالامير وبأخلاق الامير كما أضرت بالوطنيين وبالناهجين نهج الوطنيين .

وماالذي استفاده الامير من دروس الركابي ؟..

تعلم الامير أن له ، هو وحده ، الامر والنهي والحكم والرأي ، وأن الامة ليست إلا سواداً بين يديه يقلبه ويسيره كيف يشاء

تعلم الامير الجرأة على الوطنيين وشعر بلذة التفلت من مراقبتهم له في أعماله وأقواله

استصغر الامير شأن الامة ، واستهان بنقمتها ، ونفر من أحرارها ، فكانت ضربة الركابي في أخلاق اميره اوجع منها في نفوس أباة الضيم من الامة .

* * *

واذا رجعنا الى بدع الركابي في شرق الاردن لمسنا حقيقة مبنيةعلى الارقام ، لاريب فيها ، هي تعويد الامير أن يمد يده الى صندوق الحكومة بشراهة وشراسة فيتناول مايريد . وقد كان ماانتزعه الامير من اموال تلك المقاطعة الفقيرة البائسة في خلال السنة التى تولى الركابي باشا رئاسة المستشارين فيها اكثر من كل مبلغ تناوله في غيرها ، وهو خمسة وسبعون الف جنيه !

ولأ برهن على صحة هذا القول اذكر ما انفقـه الامير على نفسه واضيافه وعبيده وحاشيته في مدة ثلاث سنين ، مستنداً الى أوثق المصادر ومن شاء فليرجع الى دفاتر «المقر» إن كان للمقر دفاتر !

جنيه مصري	
٥١٠٠٠	مجموع مادخل على الامير عبدالله في سنة ١٩٢١ (منه ٣٠ ألف جنيه من وزارة المستعمرات البريطانية اقساطا في ستة أشهر ، و١٢ ألف جنيه ارسلها اليه أبوه ، و٣ آلاف جنيه أقرضه إياها عوده أبي تايه)
٧٥٠٠٠	مجموع مادخل عليه في سنة ١٩٢٢ من صندوق حكومة شرق الاردن
٦٥٠٠٠	مجموع مادخل عليه في سنة ١٩٢٣ من صندوق حكومة شرق الاردن
١٩١٠٠٠	

* * *

هذا قليل من بدع الركابي باشا في عمان وسيأتي في ثنايا الفصول التالية مايجوز إضافته اليها .

* * *

وهنا نكتة لا يخلو ذكرها من فكاهة ، وان لم يكن للركابي رأي فيها .. الركابي ، باشا عتيق ، لا فضل للأمير عبد الله عليه في رتبته . وهو أول «باشا» تولى رئاسة المستشارين في عمان واتخذ مرافقاً (ياوراً) عسكرياً يجرى وراءه ويعد عليه خطواته وكيلو متراته لقبض «خرج راهاته» ! .

وقد أعجب الامير عبدالله أن يكون رأس مستشاريه « باشا » له مرافق فجعلها سنة ! وربما كان للركابي باشا شيء من الفضل في منح مظهر بك الرسلان رتبة « الباشية » التى وجهها الامير اليه بعد توليته الرئاسة على أثر استقالة الركابي ، فيكون مظهر بك مدينا برتبته لعصا العسبلي ولرتبة

الركابي معاً . وقد سبق لنا القول بأن الامير منح مظهراً لقب « الفخامة » أولاً ثم « الباشية » أخيراً وكانت بعد انصراف الركابي وبعد ترقية المسبلي الى رتبة القائد

ويؤيد هذا أن الامير بعد أن أقال مظهراً من الرياسة الثانية وولى حسن خالد بك الصيادى الرفاعى رياسة مستشاريه خلع عليه الرتبة نفسها مضيفاً اليها لقب الفخامة فدعاه «صاحب الفخامة حسن خالد باشا»

فهذا سبب من اسباب منح الالقاب لم نذكره حين أحصيناها ءايثاراً لذكره هنا ..

كيف يكتب الامير الى المندوب ؟

صورة كتاب بعث به الامير عبد الله الى المندوب السامى البريطانى في فلسطين :

فخامة المندوب السامي بفلسطين المعظم

تعلمون فخامتكم بأنه من المشاهد المحسوس ان منطقة الشرق العربية قد تدرجت نحو الانتظام تدرجا فعلياً ظهرت آثاره لكل عارف بسيرها ومراقب لخطواتها . وقد كان منها في ابتداء سنة الميزانية الحاضرة (نيسان ١٩٢٢) أن وضعت لها موازنة عامة بلغت نيفاً ومئتى الف جنيه اعتمد فيها على الواردات المقررة لها والمحصاة لديها فكان الدخل التقديرى مساويا للخرج التقديرى أيضاً وأخذنا نعمل على ترقية المنطقة بكل جهدنا ضمن هذه الموازنة بحيث مضت بضعة أشهر وسيرها متجه الى الاصلاح والتنظيم اللذين لم تعد آثارهما خافية على أحد كتوطيد الامن وتعبيد الطرق ومد الاسلاك البرقية لجميع أنحاء المنطقة وتوسيع نطاق المعارف والامور الصحية وغير ذلك من الامور الظاهرة

وكان في جملة ما اشتملت عليه موازنة الدخل واردات المكوس السورية وحصة المنطقة من واردات مكوس فلسطين وما يمكن ان يرد عليها من حصر الدخان بعد لغو دائرة « ازرى » والديون العمومية من المنطقة ولا يخفى ان لهذه الموارد الثلاثة ولتأمينها علاقة بحكومة فلسطين ولذا فاننا سنشرح كل ما تم بشأنها

١ — المكوس السورية : بدأنا في أول السنة الحاضرة بتشكيل ادارة خاصة لاستيفاء المكوس عن البضائع الواردة من المنطقة السورية ، وقبل شروع حكومتنا بالاستيراد توسط بالامر رئيس المعتمدين هنا ريثما تتم مخابرته مع فخامتكم فتوقفت حكومتنا عن العمل ، ومضى على ذلك خمسة أشهر دون ان نتوفق للوصول الى غاية ما فى هذا السبيل .

٢ — حصتنا من مكوس فلسطين : كان المقرر لهذه المنطقة منذ سنة ١٩٢٠ مبلغ ثمانية وعشرين الف جنيه في العام باسم الحصة من مكوس فلسطين ورغماً عن كون هذا المقدار قليلا بنسبة الوارد على منطقتنا من هذه الجهة وبنسبة ما ازدادته التجارة في فلسطين فقد رضينا به موقتاً على أمل أن يزاد بازدياد المعاملات التجارية بين فلسطين وشرق الاردن ، فازدادت العلائق التجارية بين المنطقتين بصورة محسوسة ولكن المبلغ فضلا عن انه لم يرد فقد كلفنا بان نحصى الموارد التجارية الواردة من جديد لنعلم ما سينتج ولا يخفى على فخامتكم ما يحتاج اليه هذا الاحصاء من الوقت ، ومثل ذلك ما يحسم من حصتنا باسم حصة الديون العمومية التى قدرتها حكومة فلسطين بثمانية عشر الف جنيه وكسور سنويا وهو تقدير ملؤه الغبن فعادت منطقتنا تتناول البقية الصغيرة التى هى تسعة آلاف جنيه وكسور فى العام لاغير . ولو عدلت هذه النسبة على نسبة ما تدفعه حكومة فلسطين باسم الديون العمومية لنقصت حصتنا الى العشرة أو الاثنى عشر الف جنيه .

وعلى أثر ما جرى من المخابرات المتوالية في هـذا الشأن تعاقبت المؤتمرات في القدس الواحد تلو الآخر وحضر آخر مؤتمر رئيس مستشارينا ووكيل فخامتكم والمستر فلبي وفهمنا من نتيجة المذاكرة التى جرت ان التدابير

الآنف ذكرها بشأن حصتنا من مكوس فلسطين ، والمكوس التى تقرر وضعها على الوارد من سورية ، بقيت بغير نتيجة قطعية وربما اقتضت عدة مذاكرات واجتماعات فى المستقبل لانه قد تقرر بان تعاين قوائم الاموال وتقيد وترسل بواسطة رئيس المعتمدين لمقام فخامتكم لاجل التوسط بارسال المبالغ التى ستقرر فيما بعد ذلك من رسوم المكوس ، ومع علمنا بأن النتيجة منفية فقد أخذنا بالاستعداد لتطبيق القرار اعتباراً من أول ايلول ٩٢٢ حسبما تقرر . وبينما الحال كذلك إذا برئيس المعتمدين يطلب أن نرسل الى فلسطين أحد موظفينا الماليين ليدرس الاصول المتبعة لديكم فى استيفاء المكوس ، فأرسلنا من نعتمد عليه في هذه المهمة ولكنه لم يبرح أن عاد من القدس يذكر تكليفا جديدا دعاه اليه مدير جمارك فلسطين المستر برن ومؤدى هذا التكليف (١) ارجاء البحث فيما يتعلق بمكوس المنطقة السورية (٢) وضع شروط ومواد جديدة يريد بها عقد اتفاق آخر .

٣ — انحصار الدخان : كانت حكومتنا قد ابتدأت منذ أول السنة المالية الحالية بوضع شروط لحصر الدخان فى المنطقة وأعلنت ذلك في الصحف فجاءها عدة تجار ، تبين لحكومتنا من مزايداتهم أن المبلغ سيتراوح بين خمسة عشر الف وعشرين الف جنيه سنويا ، فتوسط سعادة رئيس معتمديكم بالامر وقال ان حكومة فلسطين مستعدة للتعويض علينا بما يعادل المبلغ المقدر استيراده من هـذا الحصر وعلى ذلك ارجأنا أيضا استيفاء تلك الواردات الى انتهاء المفاوضة التى لم تنته بعد .

النتيجة — من الاطلاع على ما سبق ايراده يتضح لفخامتكم أن خمسة أشهر مضت من السنة الحاضرة وحكومتنا بين أخذ ورد ومفاوضات ومناقشات أنتجت توقفها عن استيراد المبلغ المقدر من مكوس بضائع

المنطقة السورية وهو لا يقل عن أربعين الف جنيه (سنويا) والمبلغ الذى يجب أن يضاف الى حصة المنطقة من جمارك فلسطين مع ما يجب تنزيله من حصة الديون العمومية بنسبة ما تدفعه حكومة فلسطين وهو لا يقل عن عشرين الف جنيه والمبلغ المقدر الحصول عليه من واردات حصر الدخان وهو لايقل عن خمسة عشر الف جنيه بحيث يكون مجموع النقص ما يناهز خمسة وسبعين الف جنيه أى ما يوازى ثلث الموازنة العامة في منطقة الشرق العربية

وليس بالخفى أن هذا النقص الفادح في موازنة الدخل يلقى حكومة المنطقة فى ارتباك مالى هائل ربما لا تستطيع بعده أن تضبط الامور على ما نروم فلا يقتصر الامر على توقف سيرها المنتظم الذى ترونه ونراه بل يتعدى الى الامن وفي هذا كما تعلمون فخامتكم ضرر على المنطقتين معاً بل على المناطق الثلاث في وقت واحد

فلذلك وتلافياً للوقوع في هـذه النتيجة التى تشاركوننا فخامتكم بوجوب التوقى منها ، نرى أن الحل الممكن هو المثابرة على ما كنتم بدأتم به من إعطاء المنطقة سلفة لا تقل عن خمسة آلاف جنيه شهريا على حساب الواردات السابق ذكرها بينما تنتهى المفاوضات في شؤون المكوس وحصر الدخان وتقف مالية حكومتنا في موقف ثابت غير متزلزل من الوجهة المالية ولا أظن فخامتكم الا توافقون على هذا الحل مراعاة المصلحة العامة المشتركة وتحاشياً لكل اضطراب مالى يحصل في هذه المنطقة فيؤدى الى ما نحذره أشد الحذر

وانى بانتظار جواب فخامتكم القطعى في هذا الشأن مقدما أخلص احتراماتي الفائقة م

عمان ٢ / ٩ / ٩٢٢ «عبد الله»

حادث القنيطرة

قد لايكون من الحسن أن أغفل هذا الحادث ، وإن لم يقع في عمان ، فهو من حوادث سورية التى كان لشرق الاردن شبه علاقة بها بعد وقوعها .

وخلاصة ما كان أن الجنرال غورو (المندوب الافرنسى الأعلى في سورية) قصد القنيطرة يوم الخميس ٢٣ يونيو ٩٢١ (١٧ شوال ٣٣٩) يريد زيارة الامير محمود الفاعور والشيخ نورى الشعلان . فبينما سيارته على بعد ٤٥ كيلو متراً من دمشق أطلق عليها عدد من الفرسان ١٥ عياراً نارياً أصاب ثلاثة منهـا حقي بك العظم (وكان على يمين غورو ، وهو يومئذ حاكم دمشق) وأصاب واحد يد الجنرال غير السليمة، واثنان الليوتنان برانيه (ترجمان غورو ، وكان جالسا الى جانب السائق)فشفي حقي وغورو ، وقتل برانيه .

* * *

علمنا بالحادث بعد وقوعه بأربعة أيام ، وفى اليوم الخامس تلقى الشريف شاكر وكيل الامير عبدالله (وكان الامير في الكرك) برقية من مصر بتوقيع «عبدالملك الخطيب » و « حبيب لطف الله» يقولان فيها ان الوكالة الافرنسية فى القاهرة قد أذاعت أن التعدى على الجنرال غورو كان مصطنعا من الامير عبـدالله ، وأنها تحتج لدى انكلترة . وطلب المبرقان التكذيب . فأبرق الشريف شاكر نافيـا علاقة شرق الاردن بالحادث .

* *

ولا أحب أن أؤلم القارىء بذكر ماصنعه الافرنسيون على أثر الحادث من فظائع التخريب والتعذيب ، والاقعاد على أطباق النحاس المحماة بالنار وأخذ البريء بجريرة المسيء ، فقد كان ذلك كله وا كثر منه ، واتهم بالحادث أشخاص قيل انهم لجأوا الى شرق الاردن .

* * *

ووردت على حكومة عمان ، بعد بضعة أسابيع ، رسالة من المعتمد البريطاني بعمان يقول فيها ان السلطة الافرنسية في سورية كتبت الى المندوب السامي بفلسطين وهذا كتب اليه طالباً من حكومة « شرق الاردن » تسليم المتهمين باطلاق الرصاص على الجنرال غورو ورفاقه . وفي ذيل الرسالة قائمة بأسماء الاشخاص الذين يتهمهم الافرنسيون . ويسرني هنا أن أن أسجل لمظهر الرسلان موقفاً شريفاً ، لو عرفت له غيره لما أغفلته ، وهو انه استطاع ان يتناسى علاقة شرق الاردن بفلسطين واجاب بما تجيب به الحكومة المستقلة غيرها . فاعترض على الطلب بما يلخص بثلاث مواد :

الاولى : ان الجرم سياسي لايحق لحكومة ان تطلب فاعليه من حكومة اخرى.

الثانية : ان بين الاشخاص المطلوبين افراداً ثبت وجودهم يوم الحادث في بيت باربد ، مشتركين بفرح .

الثالثة : ان اكثر الواردة اسماؤهم مجهولون لايعرف مقرهم .

* * *

وطال الاخذ والرد بين عمان وفلسطين وبيروت الى عهد الركابي بعمان فدعاني يوما ، وانا رئيس ديوانه ، واخبرني بأن الانكليز قد شددوا الوطأة على الامير بطلب المعتدين على غورو وأنهم ابانوا اسموه

ان الامتناع عن تسليم هؤلاء مفض الى نتيجتين : احداهما تتعلق به وبالافرنسيين وهي تكدير الصفاء بينه وبينهم . . والاخرى تتعلق به وبالبريطانيين وهي عرقلة سفره الى لندن (وكان الامير يتهيأ له)

وأطلعني الركابي باشا على ارادة مطاعة ، كانت في جيبه ، تقضي بأن يكتب رئيس المستشارين الى المندوب السامي بفلسطين اقتراحاً بشأن المتهمين بالاعتداء ، خلاصته أن تنتدب حكومة فلسطين مندوباً وتنتدب حكومة شرق الاردن مندوباً ويتناقش المندوبان في الموضوع ويكون قرارهما النافذ في الحكومتين . فأخذت الارادة منه وبنيت عليها كتاباً أرسلناه الى المندوب السامي بواسطة رئيس المعتمدين البريطانيين بعمان .

* * *

وجاء جواب حكومة فلسطين بالموافقة على الاقتراح ، وانتدبت رئيس محكمة نابلس الابتدائية نائبا عنها ، وانتدبت حكومة شرق الاردن المستشار القضائي فيها ابراهيم بك هاشم . واجتمع المندوبان يومين متواليين في بدء تشرين الاول (اكتوبر) ٩٢٢ يتناقشان ويستعرضان الموضوع من كل وجوهه . وأخيراً اتفقا على مواد أثبتاها كتابة وأمضياها

وكانت خلاصة المواد المتفق عليها أن الجرم سياسي لا عادي إذ لا عداوة شخصية بين الجنرال والمتصدين له ، وأن حكومة شرق الاردن غير مجبرة قانونا على تسليم المتهمين إلا إذا شاءت مجاملة الحكومتين المجاورتين لها الخ .

* * *

هذا جلّ ما علمته عن الحادث ولعل آخر فصوله اجتماع المندوبين وصدور قرارهما الذي لم يكن ليقنع السلطتين الانكليزية والافرنسية ، ولكنه

اضطرها إلى التوقف عن الحاحها السابق والعدول عن لهجة الانذار التى كانتا تخاطبان بها حكومة شرق الاردن صراحة وتلويحا الى لهجة يقتضيها استدراج الامير الى مراعاة الجارتين ومجاملتهما . .

فى المسجد العمرى

نزل الأمير عبد الله يصحبه رئيس المعتمدين البريطانيين المستر فلبي ليشهدا تصحيح القبلة في « المسجد العمرى » بعمان ، وبعد ان اقتربا من المحراب القديم أخرج المستر فلبي إبرة مغناطيسية والتفت الى الأمير قائلا: إن هذا المحرابَ منحرف ياسمو الأمير!

فاستغرب الأمير ما يقول لاعتقاده بقدم المحراب ، ونظر معه في الابرة، فصدرت الارادة المطاعة للبنائين بتحويله في الحال .

وكان في جملة الواقفين كهل معروف في بلاد الشام بارتجال الشعر العامى (وهو كالزجل في مصر) اسمه طراف حيمور ويلقب بابي ناصر ، رأى البنائين قد شرعوا بهدم المحراب الاول لاقامة المحراب الثاني محله على ما صححه المسترفلبي ، فارتجل قائلا:

أميرنا زي القمر   منور شرقى مع غربى
ترك لقبلة عمر   واستنسب قبلة فلبى

الوهابيون فى شرق الاردن

اصبح الامير عبدالله يوم الاحد ١٣ آب (أغسطس) ٩٢٢ وفى خيمته بدوى يحدثه منفرداً . ولم يكد يتم الحديث حتى انصرف البدوي وفى جيبه بضع ذهبات مكافأة من الامير ، وقام سمو الامير على الاثر فدعا اليه رئيس المستشارين الركابى باشا ، وأخبره بأن فى جسمه توعكا وأنه سينتقل بمقره وحاشيته ورجاله الى صويلح (وهى أول قرية ينزلها الراحل من عمان فى طريقه الى الصلت أو القدس)

* * *

وانتقل المقر وامير المقر الى صويلح فعلاً عشية هذا اليوم وارسل الامير الى رئيس المستشارين بلاغا رسميا يقول فيه انه سيمكث فى عزلته هذه ثلاثة أيام التماسا للراحة ، واذاع رئيس المستشارين خلاصة البلاغ فى دوائر الحكومة كسائر مايرد عليه من الارادات المطاعة ، وبات صاحب السمو الملكي ليلة الاثنين وليلة الثلاثاء فى اطراف صويلح محاطا بعبيده وخدمه وأمنائه .

* * *

ونهض الناس فى عمان صباح الثلاثاء على دوىّ الطبل الشديد ، فتسابقوا اليه يسألون عما حدث وكان من العادة — قبل صيرورة عمان عاصمة — أن يُضرب هذا الطبل استنفاراً لاهلها وإنذاراً بوقوع حادث فجائى مخوف . ولم يلبثوا أن سمعوا النذير يصيح بأن الوهابيين اغاروا على قرى بنى صخر المجاورة لعمان وان القتال لايزال ناشبا بينهم وبين بنى صخر .

وما انتصف النهار حتى كانت الحكومة قدسيرت ماعندها من القوة العسكرية وماالحق بها من البدو ، نجدة لبني صخر ، وأخذ الركابي باشا يغدو ويروح بسيارته بين عمان وصويلح وبين بيته ودار رئيس المعتمدين البريطانيين بعمان ، وأمسى المساء فأخذنا نسمع بعمان صوت الرصاص المتبادل من العشي الى الصباح . وقد مكث الركابي باشا عند رئيس المعتمدين الى نحو نصف الليل يحاول عبثاً أن يقنعه بالسماح للطيارات والدبابات البريطانية بالاشتراك في القتال . وكانت هذه الحادثة أول غارة هاجمها الوهابيون شرق الاردن .

* * *

ودام القتال من فجر الثلاثاء الى ضحى الاربعاء وقد طارت الطيارات بعد أن تغلب أعراب شرق الاردن على المغيرين من الوهابيين وعادت فأخبر راكبوها بأنهم لم يروا أحداً .

* * *

ولقد أبلى رجال بنى صخر في تلك الواقعة بلاء عجيبا ولاسيا شيخ مشايخهم مثقال باشا ومنور بن حديد وحديثة الخريشة ، ووردت في اليوم الثانى برقيـة على الامير عبد الله من مصر ببيتين من الشعر قالهما الاستاذ شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمى ، أذكر منهما البيت الثانى وهو :

وليحي أقوام مثقال فقد وزنوا   من الرجال بمثقـال قناطيرا !

* * *

وكان يوم الاربعاء يوم ذعر أيضاً فان الاخبار وردت بأن جموع الوهابيين لجأت الى « العمرى » وهو على نحو ثمانين كيلومتراً من عمان ،

فقصدتهم الدبابات الانكليزية وعادت وجنودها يزعمون أنهم لم يهتدوا الى الطريق . .

* * *

وعاد سمو الامير صباح الخميس بعد أن تم جلاء المهاجمين ، والتقيت بالشيخين حديثـة الخريشة ومنور بن حديد — وهما من ليوث بنى صخر — فأخبرانى بأن عدد الوهابيين كان نحو الف وخمس مئة مقاتل وان قتلاهم لا تقل عن ثلاث مئة . وقد قتل من بني صخر وغيرهم جماعة بينهم ابن عم لمثقال .

وفي ضحى هذا اليوم سافر الركابى باشا الى القدس يشكو إحجام رئيس المعتمدين بعمان عن الاشارة الى الطيـارات والدبابات بمساعدة حكومة الامير عبد الله ورجال منطقته في هـذه الواقعة . فمكث يومين وعاد يوم السبت فعلمت منـه أنه اجتمع بالمندوب السامي السرهربرت صموئيل وأن المندوب وعده باسترداد دومة الجنـدل (الجوف) من الوهابيين وضمها الى شرق الاردن . .

رحلة لندن

مقدماتها . منشور الامير . خطبة الامير . سفر الامير والركابي . افتراقهما في لندن . عودة الأمير . خطبته بعمان . عودة الركابي . نصوص المذكرات الرسمية التي تبودلت بين الركابي ووزارة المستعمرات . نفقات الرحلة .

* * *

كان يوم ١١ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٢ موعد حفلة تقيمها في القدس حكومة فلسطين، ورددت الأفواه قبل ذلك اليوم أن المندوب السامي بفلسطين السر هربرت صموئيل سيلقي خطبة رسمية موضوعها حق اليهود باتخاذهم فلسطين وطناً قوميا لهم وبلغ أسماع زعماء الوطنيين في فلسطين أن الأمير عبدالله ورئيس مستشاريه الركابي باشا قد تلقيا دعوة لحضور تلك الحفلة التي ستجمع كبار الموظفين في سورية الجنوبية، فلم يختلفوا في أن الامير ستكون صفته في هذا الجمع صفة سائر زملائه حكام المقاطعات الفلسطينية، وعز عليهم أن يحضر الامير العربي اجتماعا لخصومهم المصلحة فيه، فبادروا يمطرون سمو الامير ببرقياتهم التماساً منه أن يأبى حضور الحفلة، واستحلفته اللجنة التنفيذية بجده النبي الأعظم وبشرفه العربي أن

لا يشهد مصرع فلسطين وهو راض، فوعدهم الأمير بالنظر في طلبهم ... وأبرق الى المندوب السامي يساومه على تلبية الدعوة وكان في جملة برقيته « انني عالم بأن حضوري الحفلة سيكون طعنة خنجر في قلب فلسطين »

وأخيراً حضر الحفلة ومعه رئيس مستشاريه، فدخلا القدس وأبواب متاجرها مغلقة، وأصوات مؤذنيها ونواقيسها تدوي احتجاجا وحداداً طول ذلك النهار .

ولما عوتب الأمير، اعتذر بان الانكليز أنذروه بأنه إن لم يحضر الحفلة يمنع من السفر الى لندن ..

* * *

وتردد في الافواه وعلى الاسماع بعد ذلك، خبر الرحلة . وجعل الناس يتساءلون عن سببها والغاية منها الى ان كانت . .

ولا ريب في أن الامير كان يرى أسباب الرحلة بغير العين التي كان الانكليز يرونها بها، فان حرصه الشديد عليها ليدل على ما طمحت اليه يومئذ نفسه من حمل تاج أو زيادة مرتب او اعتراف رسمي بامرته على الاقل . وأما الانكليز فقد قال أحدهم المستر « لودر » في كتاب له ترجم الى العربية وسمي «القول الحق» ما معناه:

«لم يتمكن الامير عبد الله بحسب الظاهر من تأسيس الحكم

على صورة قوية ثابتة فذهب في خريف عام ١٩٢٢ الى انكلترة ليتذاكر مع البريطانيين بشأن مستقبل تلك البلاد . . الخ »

* * *

وبتاريخ اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٢ تلقى رئيس المستشارين من مقر الأمير الارادة المطاعة الآتي نصها الحرفي :

رقم ٨٠

دولة رئيس المستشارين

بما اننا متوجهون الى لندن بناء على الدعوة الواردة من الحكومة المفخمة البريطانية يوم الثلاثاء القادم المصادف ٣ تشرين الاول سنة ٩٢٢ و١٢ صفر سنة ٣٤١ نأمر بما يأتي :

١ — سمو الامير شاكر يكون وكيلا عنا مدة غيابنا ووكيلا عن دولة رئيس المستشارين وان يكون المستشار القضائي معاونا لسموه في الوقت ذاته .

٢ — لا يجوز احداث شيء جديد مطلقا ويجب المحافظة على الوضعية الحاضرة لحين العودة .

٣ — يجب الاهتمام الشديد بالمحافظة على الامن العام .

٤ — يجب اخراج المشاغبين والمتشردين والمشبوه بهم من المنطقة عند أقل بادرة تصدر منهم .

٥ — يجب عدم السماح للاحزاب بالاجتماعات ظاهرة كانت اوخفية .

٦ — الدوام على ايفاء الوظائف كما كان سابقا .

٧ — يجب بذل المجهود في جباية الاموال .

٨ — يجب عدم السماح بما يعكر جريان الاحوال التي كانت سائرة عليه المنطقة مع المناطق المجاورة والسهر على هذه النقطة والقاء المسئولية على أى كان من المأمورين ان حصل منه أدنى تساهل في هذا الامر .

٩ — بذل الهمة في استمرار روح المودة بين المستشارين ومعاونة بعضهم البعض .

١٠ — يجب ترتيب مقدار خمسين جنديا من عموم درك المنطقة تحت قيادة أحد الضباط وارسالهم الى قصر الجفر واحتلاله .

١١ — محافظة الحال الحاضرة المشكورة بين دار الاعتماد والحكومة بروح التفاهم الجارية الآن

١٢ — تعليق كل تكليف يأتي من الحكومة بفلسطين يراد استحداثه لحين حضورنا .

١٣ — ان تأخر إشغال المحلات العسكرية بالقريات تجب المذاكرة مع بيك بك في اتخاذ التدابير الشديدة الفعلية واحتلالها جبراً .

١٤ـ مراعاة كل ماذكر من المواد بعاليه وتطبيقها بكل اهتمام ودقة

١٠ صفر ١٣٤١ الموافق ١ تشرين الاول ١٩٢٢ « عبد الله »

* * *

أما « الجفر » الوارد ذكره في المادة « ١٠ » فهو قصر يبعد عن معان مسيرة اربع ساعات الى الجنوب كان يسكنه الشيخ عوده ابو تايه. ولي كلمة في ابي تايه هذا اذكرها في احد الفصول الاتية

* * *

وقد آلم بلاغ الأمير جمهور الوطنيين في شرق الاردن، حتى كتب مراسل جريدة « الاهرام » رسالة نشرت فيها، مشتملة على بعض مواد البلاغ، معلقا عليها بما يلي:

«وقد علمت ان هـذا البلاغ أحدث تأثيراً سيئا لما فيه من التضييق علي الحرية الشخصية وأظن ان تطبيق هذه السياسة في شرق الاردن صعب خصوصا على الحكومة الحاضرة فيها، لان الامير يوم كان فى المنطقة مع حوله وطوله واطاعة الحكومة له طاعة عمياء لم يتمكن من انفاذ هذه السياسة انفاذاً مطلقا لما يعتورها من المصاعب، ولان الذين يشتغلون بالسياسة في شرق الاردن ليسوا بأفراد وانما هم جماعات وفيهم بعض مشايخ القبائل المسلحة، فاجبارهم على نوع من الحكم غير مرضى ليس من الهنات الهينات الخ

واجتمعت وفود المودعين في مقر الامير يوم الاثنين ٢ تشرين الاول ٩٢٢ فحدثها الأمير بما ينوى عمله في رحلته هذه وما يجب ان تكون البلاد عليه مدة غيابه وختم كلامه بقوله:

« مضى علي مدة غير قليلة وأنا أتحمل فيها الاتعاب والمشاق تحت الخيام صابراً أروض الامور حتى ألين مستعصيها وأظن أن الوقت قد حان لاقتطاف ثمار هذا الصبر واني ذاهب الى لنـدن الآن بدعوة من حكومتها.. وسأبحث في القضية العمومية لنصل للنتائج المطلوبة وأحب من هيئة الحكومة ان تحافظ على الوضعية التي سأترك المنطقة عليها حتى لا تشوش عليّ مفاوضاتي وأعمالى وأحب ان تبقى الصلات الحسنة بين حكومة هذه المنطقة وبين حكومة فلسطين دائمة وان البلاد العربية مفتقرة لمساعدة الدول الاجنبية ربع قرن قبل ان تتمكن من حكم نفسها بنفسها .. »

* * *

وبرح الامير والركابي باشا، ومن صحبهما في رحلتهما، بلدة عمان صباح الثلاثاء ٣ تشرين الاول (١ كتوبر) ٩٢٢ فباتوا في القدس، وبرحوها صباح الاربعاء الى الاسكندرية ومنها الى تريستة فاوستند (المرفأ البلجيكي) فدوفر فلندن.

ولم يخف على الوطنيين في فلسطين والسوريين في مصر حال

الامير ، وضعفه بين يدى الاجنبي ، فودعه أحرار القدس ببيان أبرق به مكاتب جريدة « المورننج بوست » من القدس قائلا :

« سلمت اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني كتاباً الى الامير عبد الله أكدت فيه طلبها استقلال فلسطين وانشاء حكومة قومية ولغو السياسة القائمة على جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود . وقد طلبت اللجنة في كتابها هذا من الامير عبد الله أن لا يتكلم باسم فلسطين الا بهذه المطالب . . »

وأبلغه أحرار السوريين بمصر مادل على حيطتهم واضطراب ثقتهم فيه أيضا .

* * *

/ ونزل الأمير ومن معه في فندق «كارلتون» بلندن ، واتفق وصولهم في اثناء اشتداد ازمة وزارية فيها سقطت على أثرها وزارة لويد جورج ، وكتب الي الركابي باشا بتاريخ ٢٥ اكتوبر كتابا يقول فيه : « إن وصولنا الى لندرة كان شؤما على وزارة لويد جورج فسقطت ، واليوم تعين غيرها ، وسيبدأ عملنا من اليوم ومن الله التوفيق»

* * *

أما الأمير فقد ضاق صدره في لندن ، حتى كان الخفقان يعاوده مراراً في اليوم ، لأن الجدّ هو كل شيء في ذلك البلد ، فلم يحتمل طول الاقامة فيه ، ولجأ الى رئيس مستشاريه الركابي باشا راغبا اليه أن ينوب عنه في المذاكرات ، ورأي الركابي وجوب بقاء الامير ، فأصر هذا علي الاوبة ، وقد غلبه الشوق الى الحجاز ، فعهد الى الركابي بالعمل ، ورحل ..



مسالم لا ثائر !

أحب أن أدعو القارىء الى القاء نظرة ثانية على بعض الفصول الاولى من هذا الكتاب، ولا سيما منشور الامير الثائر في معان، وخطبة الامير الحائر في عمان ، ليعرف اين أصبح الثائر الحائر بعد اوبته من لندن !

قفل الأمير عبد الله آيبا من لندرة، تاركا الركابي ينوب عنه فيها، واتجه الى الحجاز حيث أنس باخوان صباه ، وبل الغلة من شوقه الى صغيريه طلال ونايف ، وقبّل يدى جلالة والده الحسين ، ثم انحرف يريد عمان ...

ومر بمصر حاملا الى جلالة مليكها وساما من جلالة أبيه . والتمس يوم تقديم الوسام ضابطا عربيا برتبة « باشا » يرافقه في دخول قصر عابدين، فلم يجد . وتلقيت برقية منه ـ وكنت وكيلا لوكيل رئيس المستشارين [1] ـ خلاصتها أنه أنعم على الزعيم (أمير الألاى) العسكرى رشدى بك الصفدى برتبة أمير لواء (باشا) ولم ادرك سبب هذه النعمة الا بعد وصول الامير الى شرق الاردن وشيوع خبر الوسام وحاجة الامير الى باشا يرافقه بمصر .. !

(١) ذلك لان معاون وكيل رئيس المستشارين كان قد ذهب الى السويس لاستقبال الامير فكان الشريف شاكر وكيل الامير عبدالله ووكيل رئيس الحكومة يكتب الي شخصيا بهذا اللقب والصواب أن يدعوني يومئذ : وكيل معاون وكيل رئيس المستشارين !!

وبلغ الامير عبد الله عمان في أول كانون الثاني (يناير) ۹۲۳ (١٤ جمادي الاولى ١٣٤١) قادماً من الشونة عن طريق الصلت، وقد اجتمعت وفود البلاد تلتمس بياناً من سموه تطمئن به قلوبهم، وفي اليوم الثاني القى عليهم بيانه الاتي نصه :

خطبة الامير

ـ بعد أوبته من لندن ـ

« ليست من عادتي كتابة خطاباتي ثم تلاوتها ولكن في سوء تصرف الرواة وتحريف بعضهم للقول وأهمية الموضوع مايحملني على ما ترونه لذلك اتلو عليكم ماسيأتي : لاشك في انكم تتطلعون الى ماستسمعونه عن رحلتي المعلومة وانتم محقون في ذلك وعليه اقول: اعلموا ان هذه الرحلة كانت لصالحكم وانها والحمد لله جرى فيها كل ما هو مطابق لصالحكم ورغائبكم خصوصا امر استقلال منطقتكم . فأنه الجزء المهم من سلسلة التشبثات التي ستطلعون على تفاصيلها ان شاء الله تعالى بعد قدوم دولة رئيس المستشارين المتخلف لانهاء هذه الاغراض

« وعلاوة على هذا أقول لكم انني رجعت وانا كلي الرجاء في الوصول بمشيئة الله الى النتيجة الحسنة فيما رمت اليه النهضة

العربية المستندة على الآمال القومية. وانني كما قلت للمجموع فى موقفي هذا عند قدومى الى هذه المنطقة كما تتذكرون من انه لو كانت لى سبعون نفساً فقدتها كلها في سبيل القومية والوطن لما رأيتني قمت بالواجب

«ولكن لخدمة الوطن وجوه، ولكل وجه سبب وأفضل تلك الوجوه الآن وفي كل آن أسلمها عاقبة وأقلها ضرراً ومع انني عالم بثقل لوازم الوطن ومقتضياته ومتاعب الوصول الى غاياته أقول ان كل هذه الصعاب ستذلل ان شاء الله بالحكمة القومية والتعقل العنصرى اللذين ورثتموهما عن آبائكم مع الاتكال على الله تعالى في كل الاحوال. ويحسن بى القول هنا أيضا انني قد عدت من هذه الرحلة وأنا مشاهد آثار المودة البريطانية التي سنجنى باستمرارها حقائق المنافع المرموقة كما وانني عظيم الرجاء من أن الحكومة الجمهورية الفرنساوية الفخيمة الموجودة الآن على الوجه المعلوم بالقسم الشمالى من وطننا المحبوب لا تحمل حقداً على قوميتنا وقضيتنا واننا بمشيئة الله سنصل قريبا الى اسعاد الوطن كله بتعضيد دولتى التحالف الكبيرتين وانكشاف الآمال الشريفة القومية على الوجه المطلوب

« هـــذا وقبل ان أختم قولي اريد ان أثنى على

رجال حكومتنا الذين قاموا في غيابنا بما أودع اليهم من الامور حق القيام كما وانني أشكر للاهلين جميعا حميتهم الوطنية وائتمارهم بأوامر الحكومة وانصرافهم الى أعمالهم التي تعود عليهم وعلى وطنهم بالخير والسلام

« وهنا أعلن بلسان الصراحة تأكيد عزمي السابق من جعل هذه البلاد بلاد دعة وأمان ترتاح لحسن اشارتها أفكار محبيها خالية من وجود ما يوجب شكاوى قاطنيها ومجاوريها وأتعشم أنني أصبت بهذه الصورة ما يرتأيه محبو الوطن وطالبو الخير له والله الموفق لما فيه النجاح والمصوب لما فيه السداد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته « اهـ »

أوبة الركابي

وصل الركابي باشا الى شونة نمرين بالغور (مشتى الامير عبد الله) صباح الاربعاء ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ آيباً من لندن، بعد أن أتم جانبا من مذاكراته مع مندوب وزارة المستعمرات، وخلا في الشونة بالأمير فحدثه بنتائج عمله، واستأنف السير الى الصلت حيث كانت وكالة رئاسة المستشارين.

* * *

وفي مساء هذا اليوم (١٦ يناير) رفع الركابي باشا الى أعتاب الأمير كتاباً أتى فيه على خلاصة أعماله في لندن وربط به صوراً عما دار بينه وبين الانكليز من المفاوضات، والى القاريء نص هذا الكتاب وما ربط به:

* * *

وسيجد القارىء في الجزء الثاني، الذى سيصدر قريباً، نص «كتاب الركابي وصور المفاوضات» و «نفقات الرحلة» نقلا عن رسالة خاصة بعث بها الركابي الى الامير من دمشق، وابحاثا في «أسرار مقر الامير» و «آثار شرق الاردن» و «قبائلها ونفوسها» و «المضحكات المبكيات» و «هجمة الثائر» و «ديوان التفتيش» وغير ذلك من مختلف الاخبار والاحاديث.